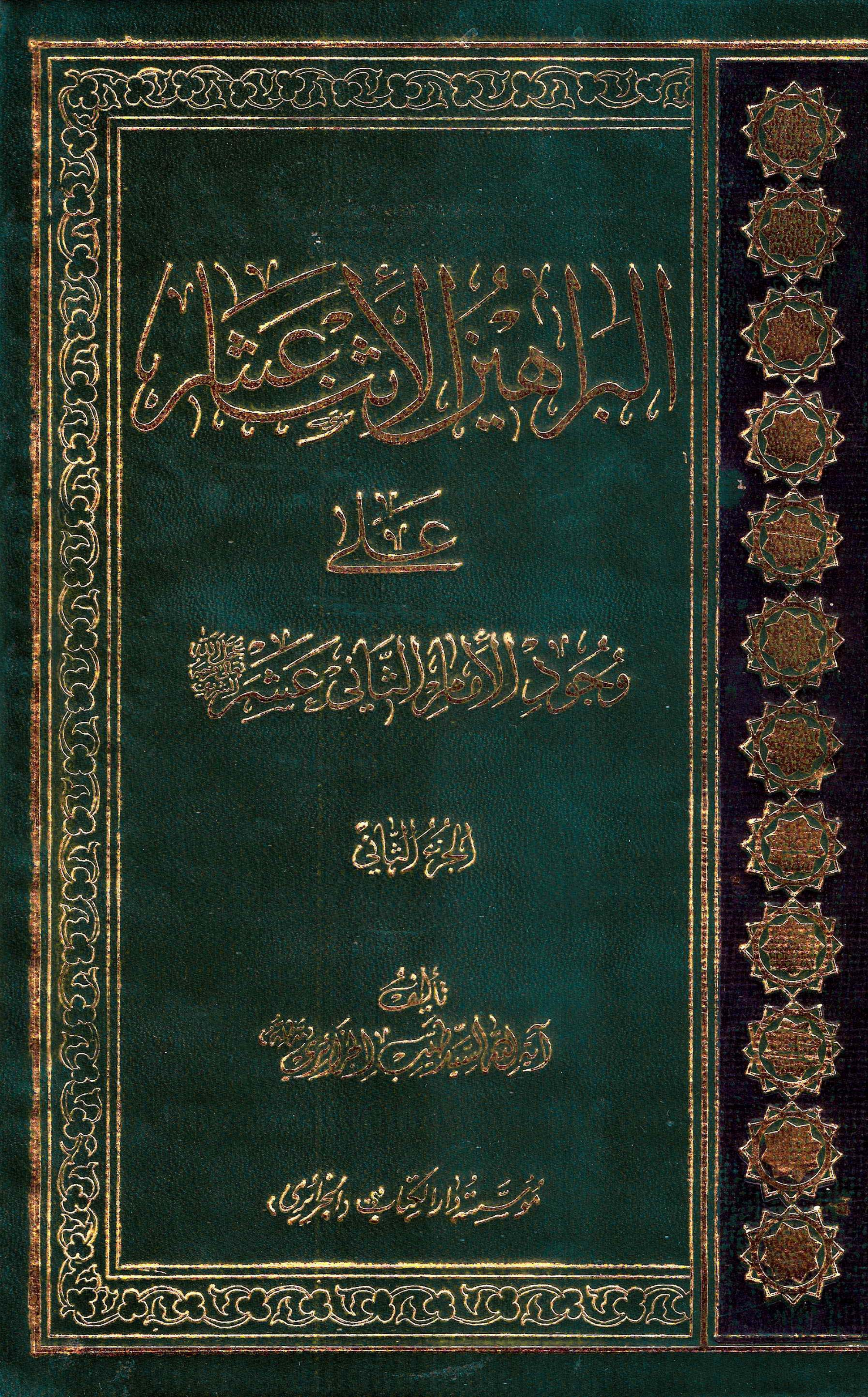

البراهين الأثني عشر
على
وجود الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف
الجزء الثاني
تأليف
آية الله السيد الطيب الجزائري
مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)





على

وجود الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف

الجزء الثاني

تأليف

آية الله السيد طيب الجزائري (مد ظله)

مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)، شارع إرم ـ قم

الهاتف ٧٤٢٤٢٨ الفاكس ٧٤٤٥٦٨







هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... البراهين الاثنا عشر على وجود الامام الثاني عشر

المؤلف: .... آية الله السيد طيب الموسوى الجزائرى

تحقيق: .... مؤسسة علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ قم

صفّ الحروف: .... مؤسسة دارالكتاب (قسم الكمبيوتر) تليفون: ٧٤٣٣٠٠

الفلم والزنك: .... تيزهوش

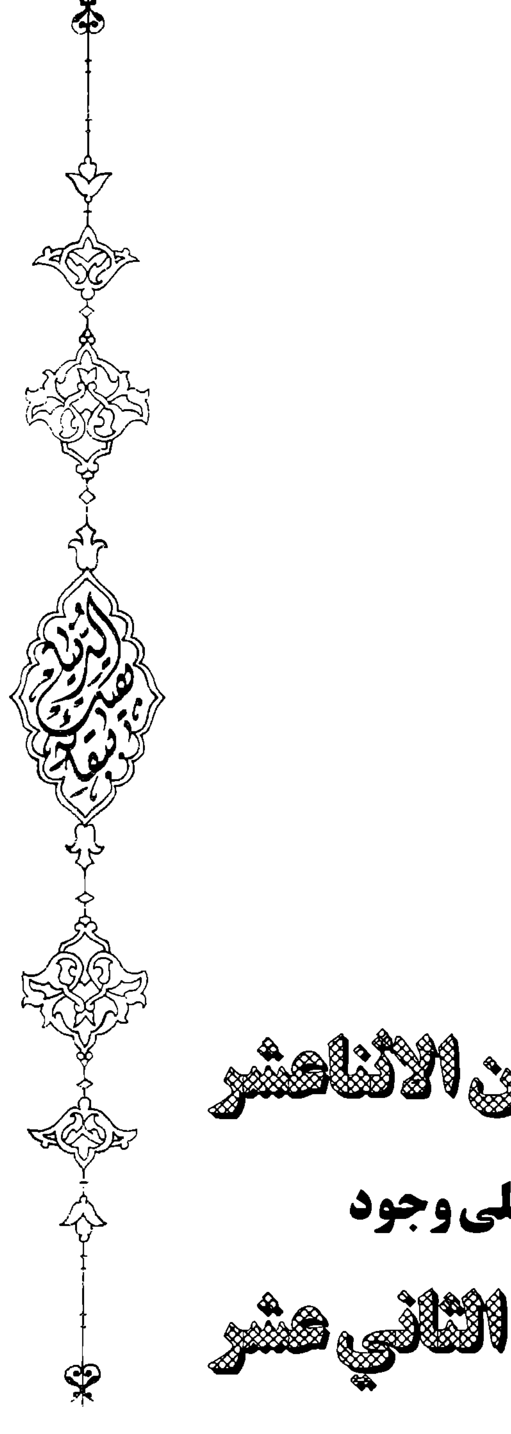
المطبعة: .... امير ـ قم

الطبعة الاولى: .... شعبان المعظم ١٤١٧ هـ. ق

العدد: .... ١٥٠٠ نسخة

الناشر: .... مؤسسة دارالكتاب (الجزائرى)

شارع ارم، قم، ايران ـ تليفون: ٧٤٢٤٢٨ فاكس: ٧٤٤٥٦٨



البراهين الاثنا عشر

على وجود

الامام الثاني عشر







﴿ ٥ ﴾

﴿ هارون الرشيد بن المهدي ﴾

هو أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور بن عبدالله بن محمد بن علي بن العباس استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين و مائة .

و هذه الليلة ولد له عبدالله المأمون و لم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة ، و قام خليفة ، و ولد خليفة الا هذه الليلة[1] وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتان و عشرين سنة[2] .

و ربما يبالغ أهل التأريخ في مدحه كما مدحه الحافظ السيوطي قائلاً : « انه كان من أمير الخلفاء ، له نظر في العلم و الأدب ، وكان يصلي في خلافته في كل يوم

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧١ .



مائه ركعة الى أن مات لا يتركها الا لعلّة ، و يتصدّق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ، و كان يحبّ العلم و أهله »[١].

و قال الآخرون : انه كان يبكي حينما يعظه واعظٌ ، و ازدهرت الممالك الاسلامية في أيام حكومته علماً و أدباً ، الى غير ذلك من المدائح المبالغ فيها ، انّها لو صحّ سندها لم تنفعه ، لأنه أغرق نفسه في المعاصي الموبقة ، و المآسي المهلكة ، من الظلم و العدوان و الغدر و الطغيان ، و جله الأبرياء ، و سفك الدماء ، طلباً للدنيا الفانية ، و ابقاءً لحكومته الجانية ، مع ما كان عليه من الترف و الخلاعة و ارتكاب الفجور ، و شرب الخمور ، و اتخاذ القينات ، و غير ذلك من المساوي المهلكات ، و المخازي التي يخجل الانسان الغيور بذكرها ، كل ذلك فعله على منصّة الخلافة النبوية ، و الحكومة الدينية الالّهية فيصدق عليه قوله تعالى ﴿ **فأمّا من طغىٰ و آثر الحياة الدنيا فانّ الجحيم هي المأوىٰ** ﴾[٢] و قوله تعالى : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون أُولئك ليس لهم في الآخرة الّا النّار و حبط ما صنعوا فيها و باطلٌ ما كانوا يصنعون** ﴾[٣].

الخوض في اللهو و اللذّات المحظورة

قال الذهبي : « له أخبار في اللهو و اللّذات المحظورة و الغناء سامحه الله »[٤] و

---

١ – تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ – النازعات ٧٩ : ٣٩ .

٣ – هود ١١ : ١٦ .

٤ – تاريخ الخلفاء ص ٢١٩ .

كان الرّشيد ـ سامحه الله على قول الذهبي ـ أوّل من لعب الصَّوَالجة و الكرة و رمى النشّاب في البرجاس ، و أوّل خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس »[١] .

و كان يسرف أموالاً هائلة من بيت مال المسلمين في اللهو و اللعب و الغناء ، قال ابن خلّكان :

«مات سالم في أيام الرشيد و قد اجتمع عنده ستة و ثلاثون ألف دينار فأودعها أبا السمراء الغسّاني ، و انّ ابراهيم الموصلى (مغنّي هارون) دخل يوماً على الرشيد و غنّاه فأطربه فقال : سل ما شئت ، قال : نعم يا سيدي ! أسأل شيئاً لا يزرأك ، قال : ما هو ؟ قال : ما ت سالم و ليس له وارث و خلف ستة و ثلاثين ألف دينار عند أبي السّمراء الغسّاني تأمره أن يدفعها اليّ ، فتسلمّها »[٢] .

قدم اسماعيل بن الهربذ (المغنيّ) على الرّشيد من مكّة فدخل اليه و عنده ابن جامع و ابراهيم و ابنه اسحاق و فُلَيح و غيرهم ، و الرّشيد يومئذٍ خاثر ، فغنّى ابن جامع ، ثم فُلَيح ثم ابراهيم ثم اسحاق ، فما حرّكه أحدٌ منهم و لا أطربه ، فاندفع ابن الهربذ يغنّي ، فعجبوا من اقدامه في تلك الحال على الرّشيد ، فغنّى :

يا راكب العيس التي وفدتَ من البلد الحرام

الى آخر الأبيات ، فكاد الرّشيد يرقص ، و استخفّه الطرب حتى ضرب بيديه و رجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم[٣] .

---

١ - المصدر ص ٢١٧ .

٢ - **وفيات الأعيان** ج ٢ ص ٣٥١.

٣ - **قصص العرب** ج ٤ ص ٩٦ .



ابن جامع (المغنّي) في قصر الخلافة

قال ابن جامع (مغنّي الرشيد المشهور) ضمّني الدهر ضمّاً شديداً بمكة فانتقلت منها الى المدينة ، فأصبحت يوماً و ما أملك الا ثلاثة دراهم . . .

ثم اني خرجت الیٰ بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب محوّل[1] فبقيت لا أدري أين أتوجّه و لا من أقصد ، فذهبت أمشي مع الناس حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ثم انتهيت الى شارع المدينة فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ، فدخلته و حضرت صلاة المغرب و أقمت بمكاني حتى صلّيت العشاء الآخرة على جوع و تعب ، و انصرف أهل المسجد ، و بقي رجلٌ يصلّي ، خلفه جماعة خدم و خَول ينتظرون فراغه ، فصلّى مليّاً ثم انصرف و رآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً و ليس لي بها منزلٌ و لا معرفةٌ . و ليست صناعتي مما يُمَتُّ بها الى أهل الخير .

قال : و ما صناعتك ؟ قلت : أتغَنّى . فوثب مبادراً ، و وكّل بي بعض من معه ، فسألت الموكَّل بي عنه ، فقال : هذا سلّام الأبرش[2] .

قال ابن جامع : و اذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي الى قصرٍ من قصور الخلافة ، و جاز بي من مقصورة الى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ، و دعا بطعام فأُتيتُ بمائدة عليها من طعام الملوك فأكلت حتى امتلأت .

---

١ - محلّةٌ كبيرةٌ في بغداد .

٢ - من خدم المنصور و تولّى المظالم للمهدي ثمّ عاصر الهادي و الرّشيد أيضاً .

فانّي لكذلك اذ سمعت ركضاً في الدهليز و قائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل هو ذا ، قال ادعوا له بغسول[١] و خلعة و طيب ، ففعل ذلك بي ، فحملت على دابّة الى دار الخلافة ـ عرفتها بالحرَس و التكبير و النيران ـ فجاوزت مقاصير عدّة ، حتى صرت الى دارٍ قوراء[٢] فيها أسرّة في وسطها ، قد أُضيف بعضها الى بعض .

فأمرني الرجل بالصعود ، فصعدت ، و اذا رجلٌ جالسٌ عن يمينه ثلاث جوارٍ في حجورهن العيدان ، و في حِجر الرجل عودٌ ، فرحّب الرجل بي . و اذا مجالس حياله كان فيها قومٌ قد قاموا عنها ، فلم ألبث أن خرج خادمٌ من وراء الستر فقال للرجل : تغنَّ . فانبعث يغنّي بصوتٍ لي ، و هو :

لم تمش ميلاً و لم تركب على قَتَبٍ و لم تر الشمس الا دونها الكلل

(الى آخر الأبيات) فغنّى بغير اصابة ، و بأوتار و دساتين[٣] .

ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تغنّي . فغنّت أيضاً بصوتٍ لي ، كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، و هو :

يا دار أضحت خلاءً لا أنيس بها الّا الظباء و الّا الناشط[٤] الفرد

(الى آخر الأبيات) .

ثم عاد الخادم الى الجارية التي تليها ، فانبعثت تغنّي :

فو الله ما أدري أيغلبني الهوىٰ اذا جدّ وشك البين أم أنا غالبه

(الى آخر الأبيات) .

---

١ – الماء يغتسل به .

٢ – الواسعة .

٣ – الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دُستان .

٤ – الثور الوحشي .

ثم عاد الخادم الى الجارية الثالثة ، فغنّت :

مررنا على قيسيّةٍ عامريّةٍ لها بشرٌ صافي الأديم هجان[1]

(الى آخر الأبيات الكثيرة التي غنّى بها الرجل و الجواري بالتناوب الى أن) خرج الخادم فقال لي : تغنَّ عافاك الله ! فتغنّيت بصوت الرجل الأوّل على غيرما غنّاه ، فقالوا ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فانصرفوا عني . و خرج اليّ الخادم و قال : كذبت ! هذا الغناء لابن جامع .

و دار الدور ، فلما انتهى الغناء اليّ قلت للجارية التي تلي الرجل : خذى العود فعلمت ما اريد ، فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيت به . فخرجت الجماعة الاولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لي ، فرجعوا و خرج الخادم فقال : كذبت .

ثم تغنّيت بصوتٍ لي ، فلا يُعرف الآبي و هو:

عوجي عليّ فسلّمي جبرُ فيم الصدود و أنتم سفْرُ

ما نلتقي الّا ثلاث مِنىً حتى يفرّق بيننا الدّهرُ

فتزلزلت والله الدّار عليهم ، و خرج الخادم فقال : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ، ثم خرج فقال : كذبت ! هذا غناء ابن جامع ، فقلت : فأنا اسماعيل ابن جامع .

فما شعرت الّا و أميرالمؤمنين و جعفر بن يحيى [البرمكي] قد أقبلا من وراء السِّتر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضل بن الربيع : هذا أميرالمؤمنين قد أقبل اليك ، فلمّا صعد السّرير وَ ثبتُ قائماً ، فقال لي : ابن جامع ؟

---

١ – الهجان : الأبيض الخالص من كل شيء .



قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أميرالمؤمنين !

قال : ويحك ! متى كنت في هذه البلدة ؟ قلت : آنفاً ، دخلتها في الوقت علم بي أميرالمؤمنين . قال : اجلس ، ويحك يابن جامع !

ثم قال لي : غنّني يابن جامع ، فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء ، فأمرت الرجل باصلاح العود على ما أردت من الطبقة ، فعرف ما أردت ، فوزن العود وزناً ، و تعاهده حتى استقامت الأوتار ، و أخذت الدساتين مواضعها ، و انبعثت اغني بصوت الجارية الحميراء :

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا : ما أقصر الليل عندنا

(الى قوله) :

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فنظر الرّشيد الى جعفر و قال : أسمعت مثل هذا قطّ ؟ فقال : لا والله ما خرق مسامعي قطّ مثله . فرفع الرَّشيد رأسه الى خادم بالقرب منه . و دعا بكيس فيه ألف دينار فجاء و رمى به اليّ ، فصيّرته تحت فخذي و دعوت لأميرالمؤمنين .

فقال : يابن جامع ! ردّ على أميرالمؤمنين هذا الصوت ، فرددته ، و تزيّدتُ فيه ، فقال له جعفر : يا سيدي ! أما تراه كيف يتزيّد في الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أوّلاً ، و ان كان الأمر في اللحن واحداً .

فرفع الرَّشيد رأسه الى ذلك الخادم ، و دعا بكيس آخر فيه ألف دينار ، فجاءني به ، فصيّرته تحت فخذي .

فلم أزل أفعل ذلك الى أن عسعس الليل . فقال : أتعبناك يا اسماعيل هذه الليلة بالغناء ، فدعا الخادم و أمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألف دينار .

(الى أن قال) فنزلت من السرير و لا أدري أين أقصد ، فابتدرني فرّاشان

فصارا بي الى دار قد أمر بها أميرالمؤمنين ، ففرشت و أُعدّ فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك و ندمائهم ، و من كل آلة وخَوَلٍ[١] الى جوار و وُصَفاء. فدخلت بغداد فقيراً و أصبحت من جِلّة[٢] أهلها و مياسيرها . هذا ملخّص ما ذكره ابن خلكان في قصص العرب (ج ٤ ص ٦٣ ـ ٧١) .

(و لا يقال) إنّ راوي هذه القصّة رجلٌ مغنّ لا اعتبار له **(لأنه)** يذكرون أنّه و ان اشتهر بالغناء ، لكنّه كان من أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وكان ورعاً تقياً يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة ، فيصلّي الصبح ثم يصفّ قدميه حتى تطلع الشمس ، و لا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف الى منزله[٣] .

و المقصود من نقل هذه القصّة مع طولها بالرغم من أننا لخصّناها و قصّرناها ، الفات النظر الى أُمور :

(الأول) أنّ الخليفة هارون الرّشيد كيف كان يصلّي مائة ركعة يومياً ؟ (كما عملت من كلام السيوطي) مع اشتغاله بالغناء طول الليل ، و لا يسهره كذلك الامن كان له عادة بذلك.

(الثاني) انّ ابن جامع المسكين كيف تحوّل من فقره الى غنائه ، ببركة صوته و غنائه ، اجحافاً بأموال بيت مال المسلمين .

(الثالث) انّ ابن جامع قد اعترف بأنّ صناعته مما لا يُرغب فيها عند أهل الخير ، لكنّ الخليفة قد استحسنها ، ألم يكن من أهل الخير ؟

---

١ - الخدم .

٢ - الجِلّةُ جمع جليل : عظيم .

٣ - راجع هامش **قصص العرب** ج ٤ ص ٦٣ .

(الرابع) أليس وظيفة كل خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و امام الامة أن يقضي حوائج الناس و يدبّر أُمورهم في النهار، و يناجى ربه و يسأله التوفيق فى الليل ؟ و كيف يناجي ربه الباري، من يستمع الغناء في حلقة الجواري ؟

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي : « ذكر ابن جرير و غيره : أنه كان في دار الرّشيد من الجواري و الحظايا و خدمهنّ و خدم زوجته و أخواته ، أربعة آلاف جارية ، و أنهنّ حضرن يوماً بين يديه فغنّته المطربات منهن فطرب جدّاً ، و أمر بمالٍ فنُثر عليهنّ ، وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهنّ ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم (قال) رواه ابن عساكر أيضاً .

(ثم قال ابن كثير) و روي أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جدّاً فأمر باحضار مواليها و من يلوذ بهم ليقضي حوائجهم ، فقدموا عليه بثمانين نفساً ، فأمر الحاجب ـ و هو الفضل بن الربيع ـ أن يتلقّاهم و يكتب حوائجهم (ثم أتبع قائلاً) و فضائل الرّشيد و مكارمه كثيرة جدّاً »[1] .

قال الجزائري : ياللعجب ! لقد دخل اشتراء آلاف من الجواري و الحظايا و المطربات من أموال المسلمين المأخوذة منهم جبراً في المكارم ! فما هي المساوي يا ترىٰ ؟

وفاة الجارية « غادر »

و ذكر ابن كثير أيضاً : «كانت « غادر » جارية لموسى الهادي ، كان يحبّها

---

١ – البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

حبّاً شديداً جدّاً، وكانت تحسن الغناء جدّاً، فبينما هي يوماً تغنّيه اذا أخذته فكرة غيبته عنها و تغيّر لونه، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أميرالمؤمنين ؟ فقال : أخذتني فكرة أن أموت و أخي هارون يتولى الخلافة بعدي و يتزوّج جاريتي هذه، ففدّاه الحاضرون و دعوا له بطول العمر.

ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع، فعوّذه الرّشيد من ذلك، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلّظه من الطلاق و العتاق و الحجّ ماشياً حافياً أن لا يتزوّجها، فحلف له، و استحلف الجارية كذلك فحلفت له، فلم يكن الّا أقل من شهرين حتى مات الهادي.

ثم خطبها الرّشيد، فقالت : كيف بالأيمان التي حلفناها أنا و أنت ؟

فقال : اني أُكفّر عني و عنك، فتزوّجها و حظيت عنده جدّاً، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرّك خشية أن يزعجها.

فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبهت مذعورة تبكي، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أميرالمؤمنين ! رأيت الهادي في منامي هذا و هو يقول :

أخلفت عهدي بعد ما ... جاورت سكّان المقابر
و نسيتني و حنثتِ في ... أيمانك الكذب الفواجر
و نكحت غادرة أخي ... صدق الذي سمّاك غادر
أمسيت في أهل البلى ... و عُددت في الموتى الغوابر
لا يهنك الألف الجديـ ... ـدُ و لا تُدَرْ عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا ... ح و صرتِ حيث غدوت صائر

فقال لها الرّشيد : أضغاث أحلام. فقالت : كلّا، والله يا أميرالمؤمنين ! فكأنّما كتبت

هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالت ترتعد و تضطرب حتى ماتت قبل الصباح »[١] .

وفاة الجارية « هيلانة »

و ذكر ابن كثير : « فيها (اي في سنة ١٧٣) ماتت « هيلانه » جارية الرّشيد ، و هو الذي سمّاها هيلانة لكثرة قولها : « هي لأنه » .

قال الأصمعي : وكان لها محبّا ، وكانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك . فدخل الرّشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه و قالت : أما لنا منك نصيب ؟ فقال : و كيف السبيل الى ذلك ؟ فقالت : استوهبني من هذا الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد ، فوهبها له و حظيت عنده . و مكثت عنده ثلاث سنين ثم توفّيت فحزن عليها شديداً و رثاها[٢] وكان من قوله فيها :

قاسيت أو جاعاً و أحزاناً ... لمّا استخصّ الموت هيلانا
فارقت عيشي حين فارقتها ... فما أُبالي كيف ما كانا
كانت هي الدنيا فلما ثوت ... في قبرها فارقت دنيانا
قد كثر الناس ولكنّني ... لست أرىٰ بعدك انسانا
والله لا أنساك ما حركت ... ريح بأعلى نجدٍ أعصانا[٣]

و قال العباس بن الأحنف في موتها :

---

١ – البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

٢ – المصدر .

٣ – تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦ .



يا مـن تـباشرت القـبور بـموتها　　　قــصد الزمــانُ مسـاءتى فـرماك
أبغي الأنيس فما أرىٰ لي مـؤنساً　　　الا التــردّد حـيث كـنت أراك

(الى آخر الأبيات) قال : فأمر له الرّشيد بأربعين ألف ، لكل بيت عشرة آلاف »[١].

الجواري المعطّرة على الكراسي المبخّرة

ذكر الطبرى عن علي عن أبيه : « خبّرت أنه كان له في كل يوم القيظ تغارٌ من فضّة يعمل فيه العطّار الطّيب و الزعفران و الأفاويه[٢] و ماء الورد ، ثم يُدخل الى بيت مقيله ، و يُدخل معه سبع غلائل قصب[٣] رشيدية تقطيع النساء ، ثم تغمس الغلال في ذلك الطّيب ، و يؤتى في كل يوم بسبع جوار ، فتخلع عن كل جارية ثيابها ثم تخلع عليها غلالة و تجلس على كرسيّ مثقّب ، و ترسل الغلالة على الكرسي فتجلّله ، ثم تبخّر من تحت الكرسي بالعود المدرّج في العنبر أمداً حتى يجفّ القميص عليها ، يفعل ذلك بهنّ ، و يكون ذلك فـي بـيت مـقيله ، فـيعبق ذلك البيت بـالبخور و الطّيب »[٤].

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧٦.

٢ - جمع الأفواه ، مفرده : فُوهُ : الطّيب .

٣ - غلائل جمع الغِلالة : شعار يلبس تحت الثوب ، القَصَبُ : جمع القَصَبَةِ : الخصلة الملتوية من الشَعر ، و منه الثياب المقصّبة : أي المطوية و المزيّنة بالشريط المطروق من الذهب و الفضّة (المنجد) .

٤ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٣٥٦ .



شرب الخمر

ذكر ابن خلكان ناقلاً عن أبي الفرج الاصبهاني ما لفظه : «كان الرّشيد كثيراً ما ينزل هذا الدير (أى دير عذارىٰ)[1] و يشرب فيه ، و فيه يقول حجظة البرمكي :

ألا هل الى ديـر العـذارىٰ و نـظرة	الى مـن بـه قـبل المـمات سـبيل
و هل لي به يوماً من الدهر سكرة	تـعلّل نـفسي و المشـوق عـليل
اذا نـطق القسّـيس بـعد سكـوته	و شـمعل مـطران و لاح قـتيل
غدونا على كـأس الصبوح بسحرة	فـدارت عـلينا قـهوة و شـمول
نـريد انـتصاباً للـمدام بـزعمنا	و يـرعشنا ادمـانها فـنميل
سقى الله عـيشاً لم يكـن فـيه دولةٌ	أتـمّ و لم يُـنكر عـليّ عـذول[2]

و قال الطبري « و كان الرّشيد قد عتب على الفضل بن يحيى و ثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه »[3] .

الاسراف في بيت المال

قال الحافظ السيوطي : «كان الرّشيد يحبّ المديح و يجيز عـليه الأمـوال

---

١ - كان في شمال بغداد على شاطي الدجلة بالقرب من مدينة بلد ، و كان من أ نزه الأديار و أحسنها ، و يقال له دير العلث أيضاً (معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٣) و المنجد قسم الأعلام ص ٤٧٣ ، ط ٧ .

٢ - **وفيات الأعيان** ج ١ ص ٤٥٦ .

٣ - **تاريخ الطبري** ج ٨ ص ٢٩٣ .



الجزيلة »[١] .

و قال أيضاً : «كان الرشيد يقتفي آثار جدّه أبي جعفر الا في الحرص فانه لم يُر خليفة قبله أعطىٰ منه ، أعطى مرّه سفيان بن عيينة مائة ألف ، و أجاز اسحاق الموصلي (المغنّي) مرّةً بمائتي ألف ، و أجاز مروان بن أبي حفصة مرّةً على قصيدة خمسة آلاف دينار و خلعة و فرساً من مراكبه و عشرة من رقيق الرّوم ، و كذلك أعطىٰ مرّةً الأصمعي خمسة آلاف دينار »[٢] .

و قال أيضاً : « خلف الرّشيد مائة ألف ألف دينار ، و من الأثاث و الجوهر و الورق و الدّواب ما قيمته مائة ألف ألف دينار و خمسة و عشرون ألف دينار »[٣] .

هارون الرّشيد و بُهلول

خرج الرشيد إلى الحجّ فلمّا كان بظاهِرِ الكُوفة إذ أبْصر بُهلُولاً[٤] المجنون على قَصبةٍ ، و خلفه الصبيان و هو يعدو ، فقال : من هذا ؟ فقيل له : بهلول المجنون ، فقال : كنت أشتهى أن أراه ، فادعوه من غير ترويع ، فذهبوا إليه و قالوا : أجب أميرالمؤمنين ؛ فلم يجب .

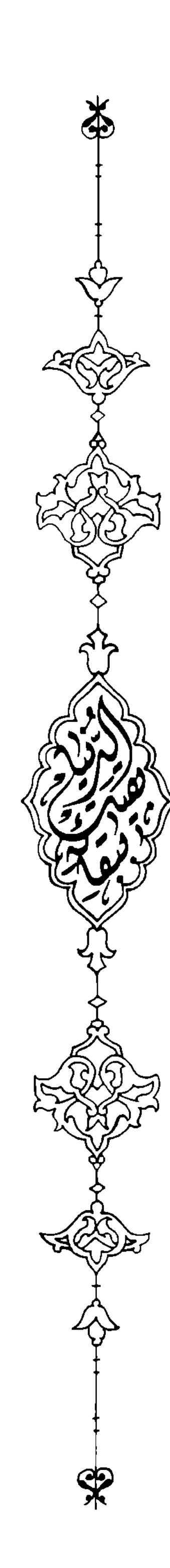
---

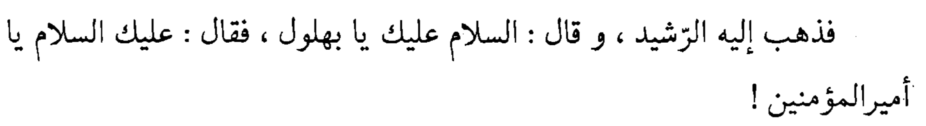
١ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ - المصدر ص ٢١٨ .

٣ - المصدر ص ٢٢٦ .

٤ - هو بُهلول بن عمرو الصيرفي ، أبو وهيب : من عقلاء المجانين ، له أخبار و نوادر و شعر ، ولد و نشأ في الكوفة سنة نحو (١٩٠ هـ) و استقدمه الرّشيد و غيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان في منشأه من المتأدّبين ثم وسوس فعرف بالمجنون (الأعلام للزّركلي ج ٢ ص ٧٧) .





فذهب إليه الرّشيد ، و قال : السلام عليك يا بهلول ، فقال : عليك السلام يا أميرالمؤمنين !

فقال : دعوتك لاشتياقي إليك ، فقال بهلول : لكّني لم أشتق إليك ! فقال الرشيد : عظني يا بهلول ، فقال : و بِمَ أعظك؟ هذي قصورهم و هذي قُبورُهم !

فقال الرشيد : زدني فقد أحسنتَ ! فقال يا أميرالمؤمنين : مَن رزقه الله مالاً و جمالاً ، فعفّ فی جماله ، و واسی فی ماله ،کُتب فی دیوان الابرار ، فظن الرشید أنه یرید شیئاً ؛ فقال : قد أمرنا لك أن يقضىٰ دينك ، فقال : لا ، يا أميرالمؤمنين ، لا يقضى الدَّيْن بدَين ، ارْدُدِ الحق على أهله و اقْض دين نفسك من نَفْسِك ، قال : فإنّا قد أمرنا أن يُجرى عليك . فقال : يا أميرالمؤمنين ؛ أتَرى الله يُعطيك و يَنساني ! ثم ولّى هارباً [1] .

هارون الرّشيد و الفضيل بن عياض[2]

حدّث سفيان بن عيينة ، قال : دعانا هارون الرّشيد فدخلنا عليه ، و دخل الفضيل آخرنا مقنّعاً رأسه بردائه فقال لي : يا سفيان ، و أيّهم أميرالمؤمنين ؟ فقلت : هذا ، و أومأت إلى الرشيد ، فقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذي أمر هذه

---

١ - **قصص العرب** ج ٤ ص ٤٢٤ .

٢ - هو الفضيل بن عياض التّميمي الطالقاني الزّاهد المشهور ، كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق ، و كان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران اليها سمع تالياً يتلو : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فقال : يا رب قد آن ، فرجع و كان من كبار السادات (وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٧) .

الأُمّة في يدك و عنقك ؟ لقد تقلّدت أمراً عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتي كل رجل منا ببدرة ، فكلٌ قبلها إلا الفضيل ، فقال الرشيد : يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دَيْنٍ أو أشبع بها جائعاً أو اكس بها عارياً ، فاستعفاه منها ، فلمّا خرجنا قلت : يا أبا علي ، أخطأت ، ألا أخذتها و صرفتها في أبواب البرّ ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد و المنظور إليه و تغلط مثل هذا الغلط ؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .

و يحكى أنّ الرشيد قال له يوماً : ما أزهدك ! فقال الفضيل : أنت أزهد مني ، قال : و كيف ذلك ؟ قال : لأني أزهد في الدنيا ، و أنت تزهد في الآخرة ، و الدنيا فانية و الآخرة باقية[1] .

هارون الرشيد و القاضي أبو يوسف

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي ما لفظه : « القاضي أبو يوسف : اسمه يعقوب بن ابراهيم كان أكبر أصحاب أبي حنيفة . روى الحديث عن الأعمش و همام بن عروة و محمد بن اسحاق و غيرهم . و عنه محمد بن الحسن و أحمد بن حنبل .

قال علي بن الجعد : سمعته يقول : توفي أبي و أنا صغير فأسلمتني أُمّي الى قصّار ، فكنت أمّر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها ، فكانت أُمّي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة و تذهب بي الى القصّار ، ثم كنت أُخالفها في ذلك و أذهب الى أبي حنيفة .

---

١ - **وفيات الأعيان** ج ٤ ص ٤٨ .



فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة : انّ هذا صبيٌّ يتيمٌ ليس له شيءٌ الّا ما أُطعمه من مغزلي ، و انك قد أفسدته عليّ . فقال لها : اسكتي يا رعناء ! ها هو ذا يتعلم العلم و سيأكل الفالوذج بدهن الفستق في صحون الفيروزج . فقالت له : انّك شيخٌ قد خرفت .

قال أبو يوسف : فلمّا ولّيت القضاء فبينا أنا ذات يوم عند الرّشيد اذ أُتيَ بفالوذج في صحن فيروزج ، فقال لي : كل من هذا ، فانه لا يصنع لنا في كل وقت .

فقلت : ما هذا يا أميرالمؤمنين ؟ فقال : هذا الفالوذج .

قال : فتبسّمت ، فقال : ما لك تتبسّم ؟ فقلت : لا شيء أبقى الله أميرالمؤمنين . فقال : لتخبرني . فقصصت عليه القصّة .

فقال : انّ العلم ينفع و يرفع في الدنيا و الآخرة . ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

و كان أبو حنيفة يقول : عن أبي يوسف : انه أعلم أصحابه »[1] .

و قال طلحة بن محمد بن جعفر : « أبو يوسف مشهور الأمر ، ظاهر الفضل ، أفقه أهل عصره ، و أول من وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، و أملى المسائل و نشرها ، و بثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض ، و قال عمّار بن مالك : ماكان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف ، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ، و لا محمد بن أبي ليلى ، ولكنّه هو نشر قولهما و بثّ علمهما »[2] .

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

٢ - **وفيات الأعيان** ج ٦ ص ٣٨٢ .

لمحةٌ الى قضايا أبي يوسف العجيبة

(القضية الاولى) قال الحافظ ابن كثير : « روى المعافي بن زكريا الجريري ، عن محمد بن أبي الأزهر ، عن حمّاد بن أبي اسحاق ، عن أبيه ، عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش اذا رسول الخليفة يطرق الباب ، فخرجت منزعجاً . فقال : أميرالمؤمنين يدعوك .

فذهبت فاذا هو جالسٌ و معه عيسىٰ بن جعفر فقال لي الرّشيد : انّ هذا قد طلبت منه جارية يهبنيها فلم يفعل ، أو يبعنيها ، و انّي أُشهدك ان لم يجبني الى ذلك أقتله .

فقلت لعيسىٰ : لِمَ لَمْ تفعل؟ فقال : انّي حالف بالطّلاق و العتاق و صدقة ما لي كلّه أن لا أبيعها و لا أهبها .

فقال لي الرّشيد : فهل له من مخلّص ؟ فقلت : نعم ! يبيعك نصفها و يهبك نصفها . فوهبه النّصف و باعه النّصف بمائة ألف دينار . فقبل منه ذلك .

و أُحضرت الجارية ، فلما رآها الرّشيد ، قال : هل لي من سبيل عليها الليلة ؟ والله لئن لم أبت معها ليلتي هذه اني أظنّ أنّ نفسي ستخرج ، فقلت : يا أميرالمؤمنين تعتقها و تتزوّجها فانّ الحرّة لا تستبرأ .

قال : فأعتقها و تزوّجها منه بعشرين ألف دينار ، و أمر لي بمائتي ألف درهم و عشرين تختاً من ثياب ، و أرسلت اليّ الجارية بعشرة آلاف دينار »[١] .

(أقول) : انّ بيع الجزء وكذا هبته داخلٌ في بيع الكل ، فاذا حرم بيع الكل و

---

١ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ١٩٥ ، **وفيات الأعيان** ج ٦ ص ٣٨٥ .

هبته حرم جزؤه أيضاً ، فما أدري كيف أفادت هذه الحيلة أبا يوسف ، نعم أفادته بلحاظ الجائزة التي حصّلها من هارون ، فانا لله و انا اليه راجعون .

(القضية الثانية) ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي : « أخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك ، قال : لما أفضت الخلافة الى الرّشيد وقعت في نفسه جارية من جوار أبيه المهدي ، فراودها على نفسها .

فقالت : لا أصلحُ لك ، انّ أباك قد طاف بي ، فشغف بها ، فأرسل الى أبي يوسف ، فسأله أعندك في هذا شيء ؟ فقال : يا أميرالمؤمنين أو كلما ادّعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدّق ، لا تصدّقها ، فانها ليست بمأمونة .

قال ابن المبارك : فلم أدر ممن أعجب . من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين و أموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أميرالمؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض و قاضيها قال : اهتك حرمة أبيك و اقض شهوتك و صيرّه في رقبتي .

(القضية الثالثة) و عن عبدالله بن يوسف قال : قال الرّشيد لأبي يوسف اني اشتريت جارية و أُريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء ، فهل عندك حيلة ؟

قال : نعم . تهبها لبعض ولدك ، ثم تتزوّجها .

و عن اسحاق بن راهويه قال دعا الرّشيد أبا يوسف ليلاً فأفتاه فأمر له بمائة ألف درهم . فقال أبو يوسف : ان رآى أميرالمؤمنين بتعجيلها قبل الصبح ، فقال : عجّلوها . فقال بعض من عنده : انّ الخازن في بيته و الأبواب مغلقة .

فقال أبو يوسف : فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني ففتحت »[1] .

---

١ – تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢ .



الظلم و الجور و سفك الدماء

ذكر اليعقوبي : « أخذ الرّشيد العمّال و التنأة و الدهاقين و أصحاب الضياع و المبتاعين للغلات و المقبلّين ، وكان عليهم أموال مجتمعة فولّى مطالبتهم عبدالله بن الهيثم فطالبهم بصنوف من العذاب »[1] .

حدّث أبو عمر ابن عبد ربه الاندلسي : « قام رجلٌ الى هارون الرّشيد ، و هو يخطب بمكّة ، فقال : ﴿ **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾[2] فأمر به فضرب مائة سوط ، فكان يئنّ الليل كلّه و يقول : الموت ! الموت ! »[3] .

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : انّ جعفراً كانت له جارية يقال لها فتينة مغنّية لم يكن لها في الدنيا نظير ،كان مشتراها بمن معها من الجواري مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرّشيد ، فامتنع ذلك فقتله الرّشيد ، فلما قتله اصطفى تلك الجارية ، فأحضرها ليلة في مجلس شرابه و عنده جماعة من جلسائه و سمّاره ، فأمر من معها أن يغنّين ، فاندفعت كل واحدة تغنّي ، حتى انتهت النّوبة الى فتينة ، فأمرها بالغناء ، فأسبلت دمعها و قالت : أما بعد السّادة فلا . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، و أمر بعض الحاضرين أن يأخذها اليه فقد وهبها له . ثم لمّا أراد الانصراف قال له فيما بينه و بينه : لا تطأها . ففهم أنه انما يريد بذلك كسرها .

فلمّا كان بعد ذلك أحضرها و أظهر انه قد رضي عنها و أمرها بالغناء ،

---

١ - **تاريخ اليعقوبي** ج ٢ ص ٤١٥ .

٢ - **الصّف** ٦١ : ٣ .

٣ - **العقد الفريد** ج ١ ص ٦٠ .

فامتنعت و أرسلت دمعها و قالت : أما بعد السّادة فلا .

فغضب الرّشيد أشدّ من غضبه في المرّة الاولىٰ ، و قال : النطع و السيف . و جاء السيّاف فوقف على رأسها ، فقال له الرشيد : اذا أمرتك ثلاثاً و عقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب .

ثم قال لها : غنّي . فبكت و قالت : أما بعد السادة فلا . فعقد أصبعه الخنصر . ثم أمرها الثانية فامتنعت ، فعقد اثنتين ، فارتعد الحاضرون و أشفقوا غاية الاشفاق و أقبلوا عليها يسألونها أن تغنّي لئلا تقتل نفسها ، و أن تجيب أمير المؤمنين الى ما يريد .

ثم أمرها الثالثه فاندفعت تغنّي كارهةً :

لمّا رأيت أنّ الدنيا قد درست   أيقنت أنّ النّعيم لم يعد

قال : فوثب اليها الرّشيد و أخذ العود من يدها ، و أقبل يضرب به وجهها و رأسها حتى تكسّر ، و أقبلت الدماء و تطايرت الجوار من حولها ، و حملت من بين يديه ، فماتت بعد ثلاثة أيّام »[1] .

العقاب بلا جناية

قال ابن مناذر (الشاعر) حجّ الرّشيد بعد ايقاعه بالبرامكة و حجّ معه الفضل بن الربيع ، فهيأت فيه قولاً أجدت تنسيقه و تنوّقت فيه[2] ، فدخلت اليه في يوم

---

١ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ٢٠٨ .

٢ - أي بالغت في تجويده .

التروية ، و اذا هو يسأل عنّي و يطلبني ، فبدرني الفضل بن الرّبيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أميرالمؤمنين ! هذا شاعر البرامكة و مادحهم ـ و كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت ـ فتنكّر و عبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أميرالمؤمنين أن ينشدك قوله فيهم :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك .

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعَّدني و أكرهنى فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبارٍ و يا حسن منظر

(الى آخر الأبيات) ثم أتبعت ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أميرالمؤمنين أيّام مدحتهم ، و كانوا في طاعتك ، لم يلحقهم سخطك ، و لم تحلل بهم نقمتك ، و لم أكن في ذلك مبتدعاً ، و لا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، و كانوا قوماً قد أظلّني فضلهم ، و أغناني رفدهم ، فأثنيت بما أوتوا .

فقال : يا غلام ! الطم وجهه ، فلُطِمتُ و الله حتى سَدِرتُ [1] و أظلم ماكان بيني و بين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، و الله لأحرمّنك ، و لا تركت أحداً يعطيك شيئاً هذا العام ! فسحبت حتى أُخرجت .

و انصرفت و أنا أسوأ الناس حالاً في نفسي و حالى و ما جرىٰ عليّ ، لا والله ما عندي ما يكفي عيالي لعيدهم ، فاذا بشاب قد وقف عليّ ، ثم قال : عزيزٌ عليّ والله يا كبيرنا بما جرىٰ عليك ، و دفع اليّ صرّة و قال : تبلّغ بما في هذه ! فظننتها دراهم ، فاذا هي ثلاث مائة دينار ، فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك أبو نواس ، فاستعن بهذه الدنانير و أعذرني ، فقبلتها و قلت : وصلك الله يا أخي و أحسن

---

١ - سدر بصره : أظلم و لم يبصر .

جزاءك ![1].

فتك الرّشيد بالبرامكة

كانت البرامكة أحبّ الناس و أعزّهم على هارون الرّشيد ، لم يقدر على مفارقتهم يوماً ما ، وكانت العلاقة بينهم و بينه من قديم الزمان ، لأنّ أول من وزر من آل برمك خالد بن برمك لأبي العباس عبدالله السفّاح[2] فكانوا يعدّون في الحقيقة من مؤسّسي الدولة العبّاسية ، و من المخلصين لهم و المفدّين عليهم ، بل انّ جعفراً كان أخا هارون من الرضاعة وكان فعّالاً لما يشاء في اموره ، يدخل عليه كل وقت يريد بلا استيذانٍ منه ، لكنّ كل ذلك لم يفده شيئاً ، لأنّ الرّشيد قد تغيّر عليه و على عشيرته مرّةً واحدةً فدمّرهم تدميراً ، و لم يبق من ملكهم نقيراً . و نذكر لمحةً من أخبارهم ليكون عبرةً للقارئين ، و تبصرةً للمتطلّعين .

قال المؤرّخ المسعودي : « ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لمّا بلغ جعفر بن يحيىٰ بن خالد بن برمك و يحيىٰ بن خالد و الفضل و غيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك ، و تناهوا اليه من الرياسة ، و استقامت لهم الأُمور حتى قيل : انّ أيّامهم عروسٌ و سرورٌ دائم لا يزول ، قال الرّشيد لجعفر بن يحيىٰ : ويحك يا جعفر ! انه ليس فى الأرض طلعةٌ أنا بها آنس ، و لا اليها أميل ، و أنا بها أشد استمتاعاً و أُنساً من رؤيتك ، و انّ للعبّاسة اختي منّي موقعاً ليس بدون ذلك ، و قد نظرت في

---

١ – **قصص العرب** ج ٢ ص ٣٠٣ .

٢ – **وفيات الأعيان** ج ١ ص ٣٣٢ .

أمري معكما ، فوجدتني لا أصبر عنك و لا عنها ، و رأيتني ناقص الحظّ و السّرور منك يوم أكون معها ، و كذلك حكمي منك في يوم كوني معك دونها ، و قد رأيت شيئاً يجتمع لي به السرور ، و تتكاثف لي به اللّذة و الأُنس .

فقال : وفقك الله يا أميرالمؤمنين .

قال الرّشيد : قد زوّجتكما تزويجاً تملك به مجالستها و النظر اليها و الاجتماع بها في مجلسٍ أنا معكما فيه ، لا سوى ذلك .

فزوّجه الرّشيد بعد امتناعٍ كان من جعفر اليه في ذلك ، و أخذ الرّشيد عليه عهد الله و مواثيقه و غليظ أيمانه أنّه لا يخلو بها ، و لا يظلّه و اياها سقف بيت الا و الرّشيد ثالثهما . فحلف له جعفر على ذلك .

و كانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها و جعفر في ذلك صارف بصره عنها هيبة لأميرالمؤمنين ، و وفاءً بعهده و ايمانه و مواثيقه »[1] .

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : « قد كان جعفر يدخل على الرّشيد بغير اذنٍ حتى يدخل عليه و هو في الفراش مع حظاياه[2] ـ و هذه وجاهة و منزلة عالية ـ و كان عنده من أحظى العشراء على الشراب المسكر ـ فانّ الرّشيد كان يستعمل في أواخر أيّام خلافته المسكر ـ و كان أحبّ أهله اليه أُخته العباسة بنت المهدي ، و كان يحضرها معه ، و جعفر البرمكي حاضر أيضاً معه . فزوّجه بها ليحلّ النظر اليها ، و اشترط عليه أن لا يطأها .

و كان الرّشيد ربما قام و تركهما وهما ثملان من الشراب ، فربما واقعها

---

١ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٧٦ .

٢ - **الحظايا** كالخطايا جمع الحَظِيّةِ : السريّة المكرّمة عند ملك .

جعفر فحبلت منه ، فولدت ولداً و بعثته مع بعض جواريها الى مكة .

(ثم قال ابن كثير) و ذكر ابن خلكان : أنّ الرّشيد لمّا زوّج اخته العبّاسة من جعفر أحبّته حبّاً شديداً ، فراودته عن نفسه ، فامتنع أشدّ الامتناع خوفاً من الرّشيد .

فاحتالت عليه ـ وكانت امّه تهدي له في كلّ ليلة جمعة جاريةً حسناء بكراً ـ فقالت لأُمّه : أدخليني عليه بصفة جارية ، فهابت ذلك فتهدّتها حتى فعلت ذلك .

فلمّا دخلت عليه لم يتحقّق وجهها فواقعها ، فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ و حملت تلك الليلة . فدخل على أُمّه فقال : بعتيني والله برخيص »[١] .

و قال ابن خلكان : « وكان جعفر متمكناً عند الرّشيد ، غالباً على أمره ، و بلغ من علوّ المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه ، حتى إنّ الرّشيد اتخذ ثوباً له زيقان ، فكان يلبسه هو و جعفر جملة ، و لم يكن للرشيد صبرٌ عنه ، وكان الرّشيد أيضاً شديد المحبّة لأُخته العبّاسة ابنة المهدي (ثم ذكر قصة تزويجهما و علوق العبّاسة من جعفر الى أن قال) :

وكان يحيىٰ بن خالد (أبو جعفر) ينظر الى قصر الرّشيد و حرمه ، و يغلق أبواب القصر و ينصرف بالمفاتيح معه ، حتى ضيق على حرم الرّشيد ، فشكته زبيدة الى الرّشيد .

فقال (الرّشيد) له : يا أبتِ ـ وكان يدعوه بذلك ـ ما لزبيدة تشكوك ؟ فقال يحيىٰ : أمتّهمٌ أنا في حرمك يا أميرالمؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فلا تقبل قولها فيّ ، و ازداد يحيىٰ عليها غلظة و تشديداً .

فقالت زبيدة مرّة أُخرىٰ للرّشيد في شكوىٰ يحيىٰ ، فقال الرّشيد لها : يحيى

---

١ – البداية و النّهاية ج ١٠ ، ص ٢٠٤ .



عندي غير متّهم في حرمي ، فقالت : فلم لم يحفظ ابنه مما ارتكبه ؟ قال : و ما هو ؟ فخبّرته بخبر العباسة ، قال : و هل على هذا دليل ؟ قال : و أيّ دليل ادلّ من الولد ؟ قال : و اين هو ؟ قالت : كان هنا ، فلمّا خافت ظهوره و جّهت به الى مكّة .

قال : و علم بذا سواك ؟ قالت : ليس بالقصر جارية الا و علمت به ، فسكت عنها ، فأظهر ارادة الحج ، فخرج له و معه جعفر ، فكتبت العبّاسة الى الخادم و الدّاية بالخروج بالصبيّ الى اليمن ، و وصل الرشيد مكّة ، فوكل من يثق به بالبحث عن أمر الصبيّ حتى وجده صحيحاً ، فأضمر السوء للبرامكة .

و قال الواقديّ : نزل الرّشيد العُمْرَ بناحية الأنبار في سنة (١٨٧) منصرفاً من مكّة ، و غضب على البرامكة ، و قتل جعفراً في أول يوم من صفر ، و صلبه على جسر بغداد ، و جعل رأسه على الجسر و في الجانب الآخر جسده .

و قال السندي بن شاهك : كنت ليلة نائماً في غرفة الشرطة بالجانب الغربي حتى سمعت صيحة الرّابطة و الشرط و دُقّ باب الغرفة فأمرت بفتحها ، فصعد سلاّم الأبرش الخادم ، و كان الرّشيد يوجهه في المهمات ، فانزعجت و أرعدت مفاصلي ، و ظننت أنّه أمر فيّ بأمر ، فجلس الى جانبى و أعطاني كتاباً ففضضته ، و اذا فيه :

يا سندي ! هذا كتابنا بخطّنا مختم بالخاتم الذي في يدنا ، و موصله سلاّم الأبرش ، فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض الى دار يحيى بن خالد ، و سلاّم معك حتى تقبض عليه ، و توقّره حديداً ، و تحمله الى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزّنادقة ، و تقدّم الى الفضل ابنه ـ قبل انتشار الخبر ـ و أن تفعل به مثل ما تقدّم به اليك في يحيىٰ و أن تحمله أيضاً الى حبس الزّنادقة ، ثم بثّ بعد فراغك من هذين ، أصحابك في القبض على أولاد يحيىٰ و أولاد اخوته و قراباته .

(و قال ابن خلكان) و سَرَد صورة الايقاع بهم ابن بدرون أيضاً سرداً فيه

فوائد زائدة على هذا المذكور ، فأحببت ايراده مختصراً ههنا ، قال عقيب كلامه المتقدم :

ثم دعا (الرّشيد) السندي بن شاهك فأمره بالمضيّ الى بغداد و التوكّل بالبرامكة و كتّابهم و قراباتهم و أن يكون ذلك سرّاً ، ففعل السنديّ ذلك سرّاً ، و كان الرّشيد بالأنبار بموضع يقال له العُمرُ ، و معه جعفر و كان بمنزله ، و قد دعا أبا زكار و جواريه و نصب الستائر و أبو زكار يغنّيه :

ما يريد الناس منّا … ما ينام الناس عنّا

انما همهم أن … يظهروا ما قد دفنّا

و دعا الرّشيد ياسراً غلامه و قال : قد انتخبتك لأمر لم أر له محمداً و لا عبدالله و لا القاسم (يريد أولاده الثلاثة الأمين و المأمون و المؤتمن) فحقّق ظنّي ، و احذر أن تخالف فتهلك .

فقال : لو أمرتني بقتل نفسي لفعلت .

فقال : اذهب الى جعفر بن يحيىٰ و جئني برأسه السّاعة ، فوجم لا يحير جواباً ، فقال له : ما لك ويلك ؟

قال : الأمر عظيمٌ ، وددت أني متّ قبل وقتي هذا ، فقال : امض لأمري ، فمضىٰ حتى دخل على جعفر و أبو زكار يغنّيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتي … عليه الموت يطرُق أو يغادي

و كل ذخيرة لابدّ يوماً … و ان بقيت تصير الى نفاد

ولو فوديت من حَدَث الليالي … فديتك بالطريف و بالتلاد

فقال له جعفر : يا ياسر سررتني باقبالك و سؤتني بدخولك من غير اذن ، فقال : الأمر أكبر من ذلك ، قد أمرني أميرالمؤمنين بكذا و كذا .



فأقبل جعفر يقبّل قدمي ياسر و قال : دعني أدخل و أُوصي ، قال : لا سبيل الى الدخول ، ولكن أُوص بما شئت »[١] .

قال المسعودي : « فلمّا كان في اليوم الذي عزم فيه الرّشيد على قتل جعفر ـ و جعفر عنده في موضع يعرف في الأنبار بالعُمْرِ ـ فأقاما يومها بأحسن هيئة و أطيب عيش ، فلمّا انصرف جعفر من عنده خرج الرّشيد حتى ركب مشيّعاً له ، ثم رجع الرّشيد فجلس على كرسي و أمر بماكان بين يديه فرُفع . فمضىٰ جعفر الى منزله .

(ثم ذكر المسعودى حضور ياسر عند جعفر) فقال له : أنّ أميرالمؤمنين قد أمرني فيك بكيت وكيت . فقال جعفر : انّ أميرالمؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فأحسب أنّ هذا جنس منه .

فقال : والله ما رأيته الا جاداً ، قال : فان يكن الأمر كما قلت فهو اذاً سكران .

قال : لا والله ما افتقدت من عقله شيئاً ، و لا ظننته شرب نبيذاً في يومه مع ما رأيت من عبادته .

قال : فارجع اليه فأعلمه أنك قد نفّذت ما أمرك به فان أصبح نادماً كانت حياتي على يديك جارية ، وكانت لك عندي نعمة مجدّدة ، و ان أصبح على مثل هذا الرّأي نفّذت ما أُمرتَ به في غدٍ .

قال : ليس الى ذلك سبيل .

قال : فأصير معك الى مضرب أميرالمؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه و مراجعته ايّاك ، فاذا أبديت عذراً و لم يقنع الا بمصيرك اليه برأسي خرجت فأخذت

---

١ - **وفيات الأعيان** ج ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

رأسي من قرب .

قال : أما هذا فنعم ، فمضيا جميعاً الى مضرب الرّشيد ، فدخل اليه ياسر ، فقال : قد أخذت رأسه يا أميرالمؤمنين . و ها هو ذا بالحضرة .

فقال له : ائتني به و الا والله قتلتك قبله . فخرج فقال له : أسمعت الكلام ؟

قال : فشأنك و ما أمرت به .

فأخرج جعفر من كمّه منديلاً صغيراً فعصب به عينيه ، و مدّ رقبته فضربها ياسر و أدخل رأسه الى الرشيد [قال في تاريخ الفخري ص ۲۱۰ : و أُتي برأسه على ترسٍ الى الرشيد و ببدنه في نطع] .

فلمّا رأى الرأس بين يديه أقبل عليه و جعل يذكره بذنوبه ، ثم قال : يا ياسر ! ائتني بفلان و فلان فلما أُتي بهم قال لهم : اضربوا عنق ياسر ، فانّي لا أقدر أن أنظر الى قاتل جعفر »[۱] .

و قال الحافظ ابن كثير : « و بعث الرشيد برأس جعفر و جثّته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى ، و شُقّت الجثّة باثنين ، فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل ، و الآخر عند الجسر الآخر ، ثم أُحرقت بعد ذلك .

و نودي في بغداد أن لا أمان للبرامكة و لا من آواهم .

(ثم ذكر ابن كثير) و قدكان الرشيد في اليوم الذي قتل جعفراً في آخره ، هو و اياه راكبين في الصيد في أوله ، و قد خلا به دون ولاة العهود ، و طيّبه في ذلك بالغالية بيده فلمّا كان وقت المغرب ودّعه الرّشيد و ضمّه اليه و قال : لولا أنّ الليلة ليلة خلوتى بالنساء ما فارقتك ، فاذهب الى منزلك و اشرب و اطرب و طب عيشاً

---

۱ - **مروج الذهب** ج ۳ ص ۳۸۰ .

حتى تكون على مثل حالي ، فأكون أنا و أنت في اللّذة سواء .

فقال : والله يا أميرالمؤمنين ! لا أشتهي ذلك الا معك . فقال : لا ! انصرف الى منزلك . فانصرف عنه جعفر فما هو الا أن ذهب الليل بعضه حتى أوقع به من البأس و النّكال ما تقدّم ذكره . وكان عمر جعفر اذ ذاك سبعاً و ثلاثين سنة »[1] .

(قال الجزائري) : من الذي يسائل الرّشيد : أيّ ذنب كان لجعفر حتى استحقّ هذا العذاب الأليم ؟ و ما هذا الجفاء بعد نهاية القرب و الوفاء ، و هل يجوز اجبار الزّوج على أن لا يقارب حليلته المشروعة ؟ و اذا لم يمتنع فهل يجوز قتله ؟

و ماكان ذنب خادمك الوفي المخلص ياسر حتى حرمته حياته ؟ و مجرّد أنّك لا تقدر أن ترىٰ وجه قاتل جعفر ، هل هو عذرٌ يقبله ربّك ؟ هو قتله بأمرك فالقاتل الأول أنت .

ثم ماكان ذنب شقيقتك العباسة حتى صيّرتها أرملة و أيتمت طفلها .

ثم ماذا جنى والده يحيىٰ و سائر اُسرته حتى لاقوا منتهى عقابك ، و عذّبوا بأنواع عذابك ؟ و بعد اللتيا و التي أنت أميرالمؤمنين و خليفة المسلمين !

عبرتان من غيَر الزمان

(الأُولىٰ) قال ابن الطقطقا : « و من طريف ما وقع في ذلك ما رواه العمرانيّ المؤرّخ قال : حدّث فلانٌ قال : دخلت الديوان فنظرت في بعض تذاكر النـوّاب فرأيت فيها أربعمائة ألف دينار ثمن خلعةٍ لجعفر بن يحيىٰ الوزير ، ثم دخلت بعد

---

١ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ٢٠٦ .

أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط و بواري لاحراق جثّة جعفر بن يحيىٰ ، فعجبت من ذلك»[١] .

(الثانية) حدّث المسعودي : « قال محمد بن عبدالرحمن الهاشميّ : دخلت على والدتي يوم نحر ، فوجدت عندها امرأة برزة متكلمة في أثواب رثّة ، فقالت لي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه عبّادة أُمّ جعفر بن يحيىٰ . فأقبلت اليها بوجهي أُحدّثها و أُعظّمها ، ثم قلت لها : يا أُمّاه ما أعجب ما رأيت ؟

قالت : يا بني ! لقد أتىٰ عليّ عيدٌ مثل هذا ، و أنا على رأسي أربعمائة وصيفة ، و انّي لأعدُّ ابني عاقاً لي ، و لقد أتىٰ عليّ هذا العيد و ما أتمنّىٰ سوى جلد شاتين افترش أحدهما و ألتحف الآخر .

قال : فدفعت اليها خمسمائة درهم ، فكادت تموت فرحاً بها »[٢] .

أسباب نكبة البرامكة

قد قيل في ايقاع الرّشيد بهم أُمورٌ مختلفة ، منها : قضية العبّاسة التي ذكرها أكثر المؤرّخين[٣] .

و منها : اتّساع سلطتهم على العام و الخاص ، و اظهار سعة باعهم على الناس ، لا سيما على الشعراء ، فصاروا يمدحونهم أزيد مما كانوا يمدحون به الرّشيد ، فحسد

---

١ - **تاريخ الفخري** ص ٢١٠ .

٢ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٨٣ .

٣ - **تاريخ الفخري** ص ٢٠٨ .

عليهم و خاف منهم على ملكه لأنّ الناس كانوا أميل اليهم من الرّشيد ، و يحبّونهم من أجل عطاياهم اليهم كما هو ظاهرٌ من القصص المعروفة فيهم ليس هذا مكان ذكرها .

و الظاهر أنه لا مناسبة بين هذين السببين فيمكن صدق أحدهما دون الآخر ، لكنّنا اذا تأمّلنا في قضايا الرّشيد و سياسته و حبّه للجاه و الملك ، رأينا أنّ هناك مناسبةً شديدةً بين القضيتين ، و كل واحدة منهما مربوطة بالأُخرىٰ ، و ذلك لأنّ أصل اختلاف الرّشيد مع البرامكة كما ذُكر محبوبيتهم عند النّاس ، و غلبتهم على جميع أُمور السّلطنة ، فحسد عليهم و خاف منهم كما روي عن طبيبه الخاص بختيشوع أنه قال : دخلت يوماً على الرّشيد و هو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام ، و كان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر و بينهم و بينه عرض دجلة .

قال : فنظر الرّشيد فرأى اعتراك الخيول و ازدحام الناس على باب يحيى بن خالد . فقال : جزى الله يحيىٰ خيراً تصدّى للامور و أراحني من الكدّ و وفّر أوقاتي على اللذّة .

ثم دخلتُ عليه بعد أوقات ، و قد شرع يتغيّر عليهم ، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرّة ، فقال : استبدّ يحيىٰ بالأُمور دوني فالخلافة في الحقيقة له و ليس لي منها الّا اسمها، قال: فعملت أنّه سينكبهم . ثم نكبهم عقيب ذلك[1] .

فعلم من هذا أنّ أصل سبب ازالتهم و هو الحسد أو الخوف منهم لكنّه لما لم يجد لقتلهم مبرّراً مكربهم مكراً و هو اقتراحه أن يزوّج جعفر من اخته العبّاسة مع

---

١ - **تاريخ الفخرىٰ** ص ٢٠٨ .

منعه عن الاتصال بها .

و هذا الشرط كما ترىٰ من قبيل أن تأمر أحداً أن يأكل الطعام و لا يحرّك لحييه ، أو تأمره بالمشي بدون أن يحرّك رجليه ، ففي الحقيقة جعل الرّشيد اخته العبّاسة طعمةً لصيده ، ليوقع جعفر في شراك كيده ، لأنه كان يعلم علم يقين أنّ جعفراً لا يتمالك نفسه عن مقاربتها ، لكونه ميّالاً الى النساء ، و لا يبالي مخالفة الرّشيد لأنه يعلم أنّه يحبّه حبّاً شديداً فيغضّ البصر عن اقدامه ، أو يعفو عنه بعد اظهار شيء من انكاره .

و كيف كان فقد وقع جعفر في الشراك ، فأباده الرّشيد و أباد معه كل عشيرته ، فراحت شوكة البرامكة ريح الصبا ، و لم يبق منها الاّ ذكرها بين الملأ .

هذا سبب ظاهريٌّ ـ لكنّ لهذه النكبة سبباً باطنياً أيضاً ذكره جدّنا السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله في الأنوار النعمانية : فانه روىٰ عن محمد بن الفضل قال : كان أبوالحسن (الرضا) عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ، ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك ؟ فقال : انّي كنت أدعو الله على البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا ، فاستجاب الله لي فيهم اليوم ، فلمّا انصرف لم يلبث الا يسيراً حتى بطش بجعفر و حبس يحيىٰ و تغيّرت حالهم[1] .

ثم انّ يحيى بن خالد أبا جعفر ، أشار علىٰ الرّشيد بقتل الامام الرضا عليه السلام أيضاً فقال له : « هذا علي ابنه قد قعد و ادّعى الأمر لنفسه ، فقال الرّشيد : ما يكفينا ما صنعنابأبيه ؟ تريد أن نقتلهم جميعاً »[2] .

---

١ - **الأنوار النعمانية** ج ٤ ، ص ٧٨ .

٢ - هامش **الأنوار النعمانية** ج ٣ ص ٣٨ .



و ذكر أبوالفرج الاصبهاني أيضاً ائتمار البرامكة بموسى بن جعفر عليهما السلام بالتفصيل[١] بل انّ يحيىٰ هو الذي وقف مراقباً على السندي بن شاهك حتى انه أجرى عملية قتله أمام عينيه[٢].

مقتل يحيى بن عبدالله

ذكر الحافظ ابن كثير الدّمشقي: «و في هذه السنة (١٧٦) كان ظهور يحيىٰ بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ببلاد الديلم[٣] و اتّبعه خلق كثير و جمّ غفير و قويت شوكته، و ارتحل اليه النّاس من الكور و الأمصار، فانزعج لذلك الرّشيد و قلق أمره.

فندب اليه الفضل بن يحيىٰ بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً، و ولاّه كور الجبل و الرّي و جرجان و طبرستان و قموس و غير ذلك.

فسار الفضل بن يحيىٰ الى تلك النّاحية في أُبهّة عظيمة، و كُتُب الرّشيد تلحقه مع البرد في كل منزلة و أنواع التحف و البرّ.

و كاتب الرّشيد صاحب الديلم و وعده بألف ألف درهم ان هو سهّل خروج يحيىٰ اليهم[٤].

---

١ - **مقاتل الطالبيين** ص ٣٣٤.

٢ - **مقاتل الطالبيين** ص ٣٣٦.

٣ - قال اليعقوبي (في تاريخه ج ٢ ص ٤٠٨): و كان يحيىٰ بن عبدالله بن الحسن قد هرب الى خراسان و دخل أرض الديلم، فكتب هارون الى صاحب الديلم بطلبه و يتهدّده.

٤ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ١٧٨.



كتاب الأمان ثم الغدر به

كتب الفضل الىٰ يحيىٰ بن عبدالله يعده و يمنّيه و يؤمّله و يرجّيه ، و أنّه ان خرج اليه أن يقيم له العذر عند الرّشيد . فامتنع يحيى أن يخرج اليهم حتى يكتب له الرّشيد كتاب امانٍ بيده .

فكتب الفضل الى الرّشيد بذلك ففرح الرّشيد و وقع منه موقعاً عظيماً و كتب الأمان بيده و أشهد عليه القضاة و الفقهاء و مشيخة بني هاشم ، منهم عبدالصمد بن علي (و غيرهم) .

و بعث الأمان و أرسل معه جوائز و تحفاً كثيرة اليهم ، ليدفعوا ذلك جميعه اليه . ففعلوا و سلّمه اليه ، فدخلوا به بغداد ، و تلقّاه الرّشيد و أكرمه و أجزل له في العطاء و خدمه آل برمك خدمة عظيمة »[١] .

قال ابن الطقطقا : « فقدم يحيىٰ مع الفضل فلقيه الرّشيد في أول الأمر بكلّ ما أحبّ ثم حبسه عنده و استفتى الفقهاء في نقض الأمان ، فمنهم من أفتىٰ بصحّته فحاجّه ، و منهم من أفتى ببطلانه فأبطله ، ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة »[٢] .

الآية التي ظهرت في قضية يحيىٰ

قال ابن الطقطقا حضر رجل من آل الزّبير بن العوّام عند الرّشيد ، و سعى

---

١ - المصدر .

٢ - تاريخ الفخرى ص ١٩٥ .



بيحيىٰ و قال : انه بعد الأمان فعل و صنع ، و دعا الناس الى نفسه ، فأحضره الرّشيد من محبسه ، و جمع بينه و بين الزّبيريّ .

فقال له يحيى : ان كنت صادقاً فاحلف .

فقال الزّبيريّ : والله الطالب الغالب ـ و أراد أن يتمّ اليمين ـ .

فقال له يحيىٰ : دع هذه اليمين ، فانّ الله تعالى اذا مجّده العبد لم يعجّل عقوبته ، ولكن احلف بيمين البراءة ، و هي يمينٌ عظمىٰ و صورتها أن يقول عن نفسه : بَرِئَ من حول الله و قوته ، و دَخَل في حول نفسه و قوتها ان كان كذا و كذا .

فلمّا سمع الزّبيري هذه اليمين ارتاع لها ، و قال : ما هذه اليمين الغريبة ! و امتنع أن يحلف بها .

فقال له الرّشيد : ما معنىٰ امتناعك ان كنت صادقاً فيما تقول ؟ فما خوفك من هذه اليمين .

فحلف بها ، فما خرج من المجلس حتى ضرب برجله و مات .

فحملوه الى القبر و حطّوه فيه ، و أرادوا أن يطمّوا القبر بالتراب ، فكانوا كلما جعلوا التراب فيه ذهب التراب و لا ينطمّ القبر ، فعلموا انها آيةٌ سماويةٌ ، فسقّفوا القبر و راحوا .

و الى ذلك أشار أبو فراس بن حمدان في ميميته بقوله :

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غدرُ الرّشيد بيحيىٰ كيف ينكتم؟

ذاق الزبيريُّ غبّ الحنث و انكشفت عن ابن فاطمة الأقوال و التّهم

(ثم أردفه ابن الطقطقا قائلاً) و مع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيىٰ



في الحبس شرّ قتلة »[١] .

قال الطبري[٢] : « دعا الرّشيد يوماً بيحيىٰ بن عبدالله بن حسن ، و قد حضره أبو البختريّ القاضي و محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف ، و أحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيىٰ ، فقال لمحمد بن الحسن : ما تقول في هذا الأمان ، أصحيح هو ؟ قال : هو صحيحٌ ، فحاجّه في ذلك الرّشيد .

فقال محمد بن الحسن : ما تصنع بالأمان لو كان محارباً ثم ولّي كان آمناً . فاحتملها الرّشيد على محمد بن الحسن .

ثم سأل أبا البختري أن ينظر في الأمان . فقال أبو البختري : هذا منتقض من وجه كذا و كذا .

فقال الرشيد أنت قاضي القضاة و أنت أعلم بذلك ، فخرّق الأمان و تفل فيه أبو البختريّ[٣] .

---

١ - **تاريخ الفخري** ص ١٩٥

٢ - **تاريخ الطبري** ج ٨ ص ٢٤٧ .

٣ - و هو وهب بن وهب بن كبير بن عبدالله المشهور بأبي البختري (.... ـ ٢٠٠) متفق على الكذب و الافتراء بين الفريقين (السنة و الشيعة)

قال النجاشي : « وهب بن وهب بن عبدالله . . . أبو البختري روى عن أبي عبدالله عليه السلام و كان كذّاباً و له أحاديث مع الرشيد في الكذب » (**رجال النجاشي** ١١٥٥ ص ٤٣٠ ط قم) .

قال الزِّرَكلي : « وهب بن وهب بن كبير بن عبدالله . . . من قريش أبو البَختري قاض من العلماء بالأخبار و الأنساب متّهم بوضع الحديث ، ولد و نشأ في المدينة و انتقل الى بغداد في خلافة هارون الرشيد ، فولّاه القضاء بعسكر المهدي (في شرق بغداد) ثم قضاء المدينة . . . قال الامام أحمد : هو أكذب الناس .

و قال ابن الجارود : كان عامة الليل يضع الحديث . و فيه يقول المعافي التميمي : =



و حدّث الطبري أيضاً عن عيسى بن جعفر فقال : «كنت يوماً عند أميرالمؤمنين الرّشيد فدعا بيحيىٰ بن عبدالله فأُخرج من السجن مكبّلاً في الحديد ، و عنده بكّار بن ذظعبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزّبير ـ وكان بكّار شديد البغض لآل أبيطالب ، وكان يبلّغ هارون عنهم ، و يسيء بأخبارهم ، وكان الرّشيد

= ويلٌ و عولٌ لأبي البَختري اذا توافى الناس في المحشر

و هو الذي أفتى الرشيد بتمزيق كتاب أمانه ليحيىٰ بن عبدالله الطالبي (راجع **الأعلام** ج ٨ ص ١٢٦) .

قال محمّد صديق حسن (المؤرخ و المحدّث السنّي الهندي المتوفىٰ ١٣٠٧ هـ) ناقلاً عن تاريخ ابن عساكر برواية زكريا السّاجي قال : « بلغني أنّ أبا البَختري دخل على الرشيد و هو يطير الحمام فقال هل تحفظ في هذا شيئاً ؟ قال حدّثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يطيّر الحمام » (نعوذ بالله من ذلك) (**فلك النجاة** ج ١ ص ٧٨ عن **منهج الوصول** ص ٩٦ تأليف السيد محمد صدّيق حسن خان) .

و له قضيّه أُخرىٰ أيضاً مع الرشيد نقله الدميرى : « و ذكر أنّ هارون الرشيد كان يعجبه الحمام و اللعب به فأُهدي له حمام و عنده أبوالبختري وهب القاضي ، فروى له بسنده عن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا سبق الا في خف أو حافر (أو جناح) فزاد (أو جناح) و هي لفظة وضعها للرشيد ، فأعطاه جائزة سنية، فلمّا خرج قال الرشيد : تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمر بالحمام فذبح ، فقيل له : و ما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترك العلماء حديث أبي البختري لذلك » (راجع **حياة الحيوان** ج ١ ص ٣٧٠) .

(أقول) من كان مذهبه الكذب ، و سجيته الافتراء على الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف ينصب على منصب القضاء و الفتيا حتي يلعب بدماء المسلمين و يهتك ناموس الدين .

و ان تعجب فاعجب من هذا الخليفة الذي ذبح الحمام اظهاراً لتقواه ، و لم يذبح هذا الكذّاب الأشر لعظيم رزئه و بلواه ، نعم أبقاه و حيّاه ، لأنه كان محتاجاً الى هذا المدلّس و فتواه ، و اشترى به دنياه ، و ترك آخرته و عقباه ، و لقد طال بنا الكلام في هذا المقام لأنه كان مشتملاً على العجائب المودعة في تاريخ الخلفاء المدّعين الاسلام ، و العبر الموجودة لاولي الأبصار و الأفهام .

ولّاه المدينة و أمره بالتضييق عليهم ـ قال : فلّما دُعي بيحيىٰ قال له الرّشيد : هيه هيه! متضاحكاً ، و هذا يزعم أيضاً أنّا سمّمناه !

فقال يحيىٰ : ما معنى يزعم ؟ ها هوذا لساني ـ قال : و أخرج لسانه أخضرّ مثل السِلق ـ قال : فتربّد هارون و اشتدّ غضبه .

فقال يحيىٰ : يا أميرالمؤمنين ! انّ لنا قرابةً و رحماً ، و لسنا بترك و لا ديلم ، يا أميرالمؤمنين ! انّا و أنتم أهل بيت واحد ، فاذكّرك الله و قرابتنا من رسول الله ﷺ علامَ تحبسني و تعذّبني ؟ [1] .

قال اليعقوبي : « خبّرني رجلٌ من موالي بنيهاشم قال : كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيىٰ بن عبدالله ، فكنت الى جانب البيت الذي هو فيه ، فربّما كلّمني من خلف حائط قصير ، فقال لي يوماً : انّي قد مُنعت الطعام و الشّراب من تسعة أيّام .

فلمّا كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكّل به ، ففتّش البيت ، ثم نزع عنه ثيابه ، ثم حلّ سراويله ، فاذا بأنبوبة قصب شدّها في باطن فخذه ، فيها سمن بقر كان يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم برمقه ، فلمّا أخذها لم يزل يفحص برجله حتى مات .

فحدَّثني أبو جميل قال : خرجت الى البصرة في أيام المأمون ، فركب معنا في السّفينة خادم ، فكان يخبرنا أنّه من خدم الرّشيد ، ثم حدّثنا بحديث يحيىٰ بن عبدالله و أنّه الذي تولّى قتله بمثل ما تقدّم ذكره ، فلمّا كان في الليل قام اليه رجلٌ كان في السّفينة ، فدفعه في الماء ، و السّفينة تسير ، فغرّقه » [2] .

---

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٤٥ .

٢ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٠٨ .

شهادة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام

قال ابن الأثير : « و كان سبب حبسه أنّ الرّشيد اعتمر في شهر رمضان من سنة تسع و سبعين و مائة ، فلمّا عاد الى المدينة ، على ساكنها السلام ، دخل الى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزوره ومعه الناس ، فلمّا انتهى الى القبر وقف فقال : السّلام عليك يا رسول الله ! يا ابن عمّ ! افتخاراً على من حوله ، فدنا موسى بن جعفر فقال : السّلام عليك يا أبه ، فتغيّر وجه الرّشيد و قال : هذا الفخر يا أبا الحسن جدّاً[1] ثم أخذه معه الى العراق ، فحبسه عند السّندي بن شاهك ، و تولّت حبسه اخت السندي بن شاهك ، وكانت تتديّن ، فحكت عنه أنه كان اذا صلّى العتمة حمد الله و مجّده و دعاه الى أن يزول الليل ، ثم يقوم فيصلّي حتى يصلّي الصبح ، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم يقصد الى ارتفاع الضحىٰ ، ثم يرقد ، و يستيقظ قبل الزّوال ، ثم يتوضّأ و يصلّي حتى يصلّي العصر ، ثم يذكر الله حتى يصلّي المغرب ، ثم يصلى ما بين المغرب و العتمة ، فكان هذا دأبه الى أن مات .

و كانت اذا رأته قالت . خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرّجل الصّالح !

و كان يلقّب بالكاظم لأنه كان يُحسن الى من يُسيء اليه ، كانت هذه عادته أبداً .

و لمّا كان محبوساً بعث الى الرّشيد برسالة أنّه لن ينقضي عنّي يومٌ من البلاء الاّ ينقضي عنك معه يومٌ من الرّخاء ، حتى ينقضيا جميعاً الى يوم ليس له انقضاء

---

١ - و في **وفيات الأعيان** ج ٥ ص ٣٠٩ أنه قال له : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقّاً .

يخسر فيه المبطلون »[١] .

رؤيا الرّشيد يؤمر فيها بالتخلية عن موسى بن جعفر

ذكر عبدالله بن مالك الخزاعي ـ وكان على دار الرشيد و شرطته ـ قال : أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط ، فانتزعني من موضعي و منعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك منه ، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم ، فعرّف الرشيد خبري ، فأذن لي في الدخول عليه ، فدخلت ، فوجدته قاعداً على فراشه ، فسلّمت فسكت ساعة ، فطار عقلي و تضاعف الجزع عليّ ثم قال لي : يا عبدالله ! أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا والله يا أميرالمؤمنين ! قال : إني رأيت السّاعة في منامي كأنّ حبشياً قد أتاني و معه حربة فقال لي : إن لم تُخَلِّ عن موسى بن جعفر السّاعة نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخلِّ عنه .

فقلت : يا أميرالمؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثاً .

قال : نعم ، أمض السّاعة حتى تطلق موسى بن جعفر و أعطه ثلاثين ألف درهم ، و قل له : إن أحببت المقام قِبَلَنا فلك عندي ما تحب ، و إن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك .

قال : فمضيت إلى الحبس لأُخرجه فلما رآني موسى وثب إليّ قائماً و ظنّ أنّي قد أمرت فيه بمكروهٍ فقلت: لا تخف، قد أمرني أميرالمؤمنين بإطلاقك ، و أن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم و هو يقول لك : ان احببت المقام قبلنا فلك ما تحب ، و

---

١ – **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ١٦٤ .



ان احببت الانصراف الى المدينة فالأمر في ذلك مطلق اليك ، و أعطيته ثلاثين ألف درهم و خليت سبيله ، و قلت : لقد رأيت من أمرك عجباً ؟

قال : فإني أُخبرك : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا موسىٰ ! حبست مظلوماً ، فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس .

فقلت بأبي و أُمّي ما أقول ؟

فقال : قل :

« يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، وَ يَا سَابِقَ الْفَوْتِ ، وَ يَاكَاسِيَ الْعِظَامِ لَحماً وَ مُنْشِرَهَا »

« بَعْدَ الْمَوْتِ. أسأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسنىٰ وَبِإِسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَكْبَرِ الْمَخْزُوْنِ »

« الْمَكْنُـوْنِ الَّـذِي لَـمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوْقِيْنَ ، يَـا حَلِيمـاً ذَا أَنَاةٍ لاَ »

« يُقْوىٰ عَلىٰ أَنَاتِه[1] يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِيْ لاَ يَنْقَطِعُ أَبَداً وَ لاَ يُحْصىٰ عَدَداً »

« فَرِّجْ عَنِّي »

فكان ما ترىٰ[2] .

لكنّ هذا الاخطار لم ينفع الرّشيد ، لأنه حبس الامام موسى بن جعفر مـرّة أُخرىٰ و كان لم يزل في حبسه الى أن قتله مسموماً ، قال المسعودي :

« و قبض موسى بن جعفر بن محمد بن عـلي بـن الحسين بـن عـلي بـن أبي طالب عليهم السلام ببغداد مسموماً لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرّشـيد ، سـنة (١٨٦) و هو ابن أربع و خمسين سنة »[3] .

---

١ - كذا في المروج و الوفيات لعلّ معناه : أنّه لا يغلب على حلمه و وقاره أحدٌ و لا يقدر على كسره أحدٌ .

٢ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٤٦ ، **وفيات الأعيان** ج ٥ ص ٣١٠ .

٣ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٥٥ .

و قال ابن الطقطقي : « و أمّا الرّشيد ، فانّه حجّ في تلك السنة ، فلمّا ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام ، و حمله في قبّة الى بغداد فحبسه عند السنديّ بن شاهك ، وكان الرّشيد بالرقّة فأمر بقتله فقتل قتلاً خفيّاً . ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه إظهاراً أنه مات حتف أنفه »[١] .

مقاتل كثيرة من آل الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم

لم يقنع الرّشيد بصبغ يده من دم الامام موسى بن جعفر عليهما السلام و يحيىٰ بن عبدالله فحسب ، بل هناك فهرس طويل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و اسرته المظلومين المقتولين الذين صبغ الرّشيد يده بدمائهم الطاهرة ، و لم يكن جريمتهم غير انّهم كانوا آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو آل أبي طالب عليه السلام فانّهم لمّا رأوا ضنك العيش و الذلّ و الهوان عليهم من ناحية الدولة العباسية خرجوا عليها مختارين الموت في عزٍ على الحياة مع الذلّ .

كما قال الشاعر :

هوان الحياة و ذلّ المماة ... وكلاً أراه طعاماً وبيلا

قد ذكر أبوالفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين (ص ٣٠٨ الى ٣٣٧) عدّةً من هؤلاء السّادة الذين قتلهم الرّشيد مفصلاً ، و نحن نذكرهم عنه مختصراً و مفهرساً :

(١) يحيى بن عبدالله بن‌الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ص ٣٠٨ .

---

١ - **تاريخ الفخري** ص ١٩٦ .



(٢) ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قتله الرّشيد بواسطة يحيىٰ بن خالد البرمكي ببلاد البربر (قرب افريقيه) ص ٣٢٤.

(٣) عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (أبن الأفطس) الذي قُتل بيد جعفر بن يحيىٰ البرمكي في حبسه. ص ٣٢٨.

(٤) محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام توفّي في حبس الرّشيد. ص ٣٢٩.

(٥) الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهم الذي أخذه بكّار الزّبيري عامل الرّشيد على المدينة فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً فمات من ذلك الضرب. ص ٣٣٠.

(٦) العباس بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دخل على هارون فكلّمه كلاماً طويلاً فقال له هارون: يا ابن الفاعلة! فقال العباس: تلك أُمّك[1] التي تواردها النخّاسون فأمر به فأُدني فضربه بالجرز حتى قتله. ص ٣٣١.

(٧) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام و قد مضىٰ شطر من كيفية وفاته، و أضاف أبوالفرج ما حاصله: أنّ الرّشيد

---

١ - و هي الخيزران جارية المهدي، قال الحافظ ابن كثير: و فيها (أي في سنة ١٧٣) توفيت الخيزران جارية المهدي و أُمّ أميرالمؤمنين الهادي و الرّشيد، اشتراها المهدي و حظيت عنده جدّاً، ثم أعتقها و تزوّجها، و لما عرضت الخيزران على المهدي ليشتريها أعجبته الّا دقّة ساقيها، فقال لها: يا جارية انك لعلى غاية المنىٰ و الجمال لولا دقّة ساقيك و خموشهما. فقالت: يا أميرالمؤمنين! انّك أحوج ما تكون اليهما لا تراهما. فاستحسن جوابها و اشتراها. (**البداية و النهاية** ج ١٠ ص ١٧٣)

أمر أولاً الفضل بن الرّبيع بقتله فأبىٰ ، فكتب اليه ليسلمه الى الفضل بن يحيى البرمكي و أراد ذلك منه فلم يفعله . و بلغ يحيى بن خالد الخبر ، فحضر عند الرّشيد و قال له : يا أميرالمؤمنين ! انّ ابني الفضل حدث و أنا أكفيك ما تريد . ثم خرج يحيىٰ بن خالد بنفسه على البريد حتى وافى بغداد و دعا بالسندي و أمره بقتل موسى بن جعفر فقتله . و نودي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرّافضة أنه لا يموت . ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦ .

(٨) اسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام حبسه هارون فمات في حبسه . ص ٣٣٧ .

موت الرّشيد

و بالأخير انتهت حكومة هارون الرّشيد و شوكته بعد ما تسيطر على هذه الأُمّة المضطهدة و ملك رقابها من سنة (١٧٠) الى سنة (١٩٣) ثلاثة و عشرين عاماً ، و الدليل على أنه كان يحسب نفسه مالكاً لرقاب المسلمين أنّه أقطع ملكه بين أولاده الثلاثة (الأول) محمد الأمين (الثاني) عبدالله المأمون (الثالث) القاسم المؤتمن ، فولّى الأمين العراق و الشّام الى آخر المغرب ، و ولّى المأمون من همذان الى آخر المشرق ، و ولّى المؤتمن الجزيرة و الثغور و العواصم ، و جعل كل واحد منهم ولياً لعهده بالترتيب . و أخذ على ذلك البيعة من الناس ، و علّق كتاب العهد في الكعبة[1] .

---

١ – **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ١٧٣ .



قال ابن الأثير : « لما سار الرّشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر و قد اشتدّت علته و سار الى طوس و اشتدّ به الوجع حتى ضعف عن الحركة فلمّا أثقل أرجف به النّاس ، فبلغه ذلك ، فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس فأُتي بفرس فلم يقدر على النهوض ، فأُتي ببرذون فلم يطق النهوض ، فأُتي بحمار فلم ينهض ، فقال : ردّوني ! رّدوني ! صدق والله الناس »[١] .

آخر أعماله الذي جعله ذُخراً ليوم مآله

قال ابن الأثير : « و وصل اليه ـ و هو بطوس ـ بشير بن اللّيث أخو رافع بن اللّيث بن نصر بن سيّار[٢] .

فقال الرّشيد : والله لو لم يبق من أجلي الّا أن أُحرّك شفتيّ بكلمة لقلت ، اقتلوه . ثم دعا بقصّاب فأمر به ، ففصّل أعضاءه ، فلمّا فرغ منه أُغمي عليه ، و تفرّق الناس عنه .

فلمّا أيس من نفسه أمر بقبره ، فحفر في موضع من الدار التي كان فيها ، و أنزل و هو في محفّة على شفير القبر يقول : وا سوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و قال الهيثم بن عديّ : لمّا حضرت الرّشيد الوفاة غشي عليه ، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الرّبيع على رأسه ، فقال : يا فضل :

---

١ - المصدر ، ص ٢١٢ .

٢ - ظهر رافع بن اللّيث على الرّشيد بسمرقند ، و لمقابلته خرج الرشيد من الرّقة الى خراسان في حالة مرضه فلم يقدر عليه ، و أُخذ أخو رافع أسيراً فانتقم منه كما ستقرأ .

أحــين دنـا مـا كـنت أرجـو دنـوه رمتني عيون النّاس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً و كنت مـحسّداً فصبراً على مكروهٍ تـلك العـواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا و أنـدبُ أيّـام السـرور الذواهب[1]

هكذا مات هارون الرّشيد متحسرّاً على دنياه، متحمّلاً أوزاره و خطاياه، سنة (١٩٣) و دفن في طوس.

قال المسعودي: «و أمر بحفر قبر، فلما أطّلع فيه قال: ﴿ **ما أغنىٰ عنّي ماليه. هلك عنّي سلطانيه**[2] ﴾[3]».

نعم! هكذا مات ذلك الجبّار (هارون الرّشيد) سنة (١٩٣) و دفن في طوس. ثم ولي مكانه حسب توليته ابنه محمد الأمين.

﴿٦﴾

﴿ محمد الأمين ﴾

و هو أبو عبدالله محمد الأمين بن هارون الرّشيد، اُمّه زبيدة بنت جعفر بن المنصور الدوانيقى، كان ولي عهد أبيه فولي الخلافة بعده، كان مولده سنة (١٧٠)[4] فكان عمره لما بويع (٢٣) سنة.

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٢١٣.
٢ - **الحاقّة** ٦٩: ٢٩.
٣ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٦٦.
٤ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ٢٦٢.



قال الحافظ جلال الدين السيوطي : «كان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلاً ذا قوة مفرطة ، لكن كان سيء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرّأي ، أرعن لا يصلح للامارة ، فأول ما بويع بالخلافة أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة .

ثم في سنة أربع و تسعين عزل أخاه القاسم عمّا كان الرّشيد ولّاه ، و وقعت الوحشة بينه و بين أخيه المأمون .

ثم بايع بولاية العهد لابنه موسىٰ و لقّبه « الناطق بالحق » و هو اذ ذاك طفل رضيعٌ »[1] .

اللهو و اللعب و الاشتغال بالغلمان

قال الحافظ السيوطي : « قال ابن جرير : لمّا ملك الأمين ابتاع الخصيان و غالى بهم ، و صيرّهم لخلوته و رفض النساء و الجواري .

و قال غيره : لما ملك وجّه الى البلدان فى طلب الملهّين ، و أجرىٰ لهم الأرزاق ، و اقتنىٰ الوحوش و السّباع و الطّيور ، و احتجب عن أهل بيته و امرائه و استخفّ بهم ، و محق ما في بيوت الأموال ، و ضيّع الجواهر و النفائس ، و بنىٰ عدّة قصور للهو في أماكن .

و أجاز مرّةً من غنّى له :

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ .

هجرتك حتى قلت لا يعرف القِلىٰ[1] و زرتك حتى قلت ليس له صبر

(الى آخر الأبيات) بملأ زورقه ذهباً ، و عمل خمس حرّاقات على خلقة الأسد و الفيل والعقاب و الحيّة و الفرس ، و أنفق في عملها أموالاً كثيرة ، فقال أبو نواس :

سخّر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب‌المحراب

(الأبيات) قال الصولي : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه ، فجعل الأمين يمسح الدّم عن وجهه ثم قال :

ضربوا قرّة عيني و من أجلي ضربوهُ

أخذ الله لقلبي من أُناس أحرقوه

و لم يقدر على زيادة فأحضر عبدالله بن التيمي الشاعر ، فقال له : قل عليهما ، فقال :

ما لمن أهوىٰ شبيه فبه الدنيا تتيهُ

وصله حلوٌ ولكن هجره مرٌّ كريهُ

(الأبيات) فأوقر له ثلاث بغال دراهم .

و له أيضاً في خادمه كوثر :

ما يريد الناس من صبّ بمن يهوىٰ كئيب

كوثر ديني و دنياي و سُقمي و طبيبي

(الى آخره)[2] و قال بعض الشعراء فيه :

أضاع الخلافة غشّ الوزير و فسق الأمير ، و جهل المشير

ففضل وزير ، و بكر مشير يريدان ما فيه حتف الأمير

---

١ – القِلىٰ كالعِرىٰ : البُغض .

٢ – تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

لواط الخليفة أعجوبةٌ و أعجب منه حُلاق الوزير[١]

(الى آخر الأبيات)[٢]

كثرة الفساد و خراب بغداد

ثم تأجّجت نار الحرب بين الأخوين (الأمين و المأمون) بعد ما دار بينهما المراسلات بالقال و القيل ، فعزم كل واحد منهما أن يلعب مع أخيه دور قابيل ، كل منهما يريد الخلافة ، ولو ابتلى الامّة بكلّ مصيبة و آفة ، مع أنّ كل واحد منهما كان بما في يده غنياً ، و بالحصون و المئون منيعاً ، لم يكن أحدهما من الآخر متقارباً ، و لا من حيث المكان متجاوراً ، لأنه كان بينهما مسافة شاسعة ، و أراض واسعة ، كان المأمون في خراسان ، و الأمين في بغداد ، لكنهما لم يقنعا بما أُوتيا من البلاد ، بل حاولا أن يُظهرا العناد ، و يكثرا في الأرض الفساد ، فأراد كل واحد منهما أن يسلب من الآخر ما في يده بالعدوان ، ولو ترتّب على الناس ما ترتّب من الخسران ، فالتقى العسكران ، و وقعت بينهما المعارك و الحدثان ، و فجّرت الأنهار من دماء المسلمين ، تلفت فيها آلاف النفوس من الآدميين ، و وقعت على الناس أضرار كثيرة ، و نزلت عليهم آفات خطيرة ، الى أن ظهرت الهزيمة في عسكر الأمين ، و دخلت جيوش المأمون بغداد ، فأكثروا فيها الفساد ، و لم يكن أهلها من خطر

---

١ - الحُلاق : معناه أن لا تشبع الأنثىٰ من السّفاد و المراد هنا علّة الأبنة (الهامش على **تاريخ الخلفاء** ص ٢٢٨) .

٢ - **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٢٨ .

المأمون مأموناً، و لا من القتل و النهب مصوناً، كثر بين الناس اراقة الدّماء، و تصاعد الدّخان من البيوت المحرّقة الى عنان السّماء، و هتكت العصم و الستور، و خرجت منها ربّات الخدور، داعيات بالويل و الثبور، هذه تنوح لأطفالها، و تلك تبكي لمالها، و الحاصل كأنّ القيامة قائمة، لا تحيط بآفاتها قائمة، و دونك نبذة ممّا ذكره المؤرّخون:

قال الحافظ ابن كثير الدّمشقيّ: «... و اشتدّ حصار بغداد، و نصب عليها المجانيق و العرّادات و ضاق الأمين ذرعاً. و لم يبق معه ما ينفق في الجند. فاضطرّ الى ضرب آنية الفضّة و الذهب دراهم و دنانير، و هرب كثير من جنده الى طاهر، و قُتل من أهل البلد خلقٌ كثيرٌ، و أُخذت الأموال الكثيرة منهم.

و بعث الأمين الى قصور كثيرة، و دور شهيرة مزخرفة، و أماكن و محال كثيرة فحرقها بالنار، لما رآى في ذلك من المصلحة، فعل كل هذا فراراً من الموت و لتدوم الخلافة له، فلم تدم، و قتل و خربت دياره. كما سيأتي قريباً.

و فعل طاهر (رئيس جيش المأمون) مثل ما فعل الأمين حتى كادت بغداد تخرب بكمالها، (الى أن قال) و ضعف أمر الأمين جدّاً، و لم يبق عنده مالٌ ينفقه على جنده و على نفسه، و تفرّق أكثر أصحابه عنه، و بقي مضطهداً ذليلاً.

ثم انقضت هذه السنة (١٩٧) بكمالها و الناس في بغداد في قلاقل و أهوية مختلفة، و قتال و حريق و سرقات، و ساءت بغداد فلم يبق فيها أحدٌ يردّ عن أحد كما هي عادة الفتن.

ثم دخلت سنة (١٩٨) ... و دخل طاهر يوم الخميس الى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه و نادىٰ بالأمان لمن لزم منزله، و جرت عند دار الرّقيق و الكرخ و غيرهما وقعات، و أحاطوا بمدينة أبي جعفر و الخلد و قصر زبيدة، و نصب

المجانيق حول السّور و حذاء قصر زبيدة ، و رماه بالمنجنيق ، فخرج الأمين بأُمّه و ولده الى مدينة أبي جعفر ، و تفرّق عنه عامّة الناس في الطريق ، لا يلوي أحدٌ على أحدٍ حتى دخل قصر أبي جعفر ، و انتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمي المنجيق ، و أمر بتحريق ماكان فيه من الأثاث و البسط و الأمتعة و غير ذلك »[١] .

و قال المسعودي « و لم تزل الحرب قائمة بين الفريقين أربعة عشر شهراً ، و ضاقت بغداد بأهلها ، و تعطّلت المساجد ، و تركت الصلاة ، و نزل بها ما لم ينزل بها قطّ مثله منذ بناها أبو جعفر المنصور . . . وكان عسكر الأمين يقاتلون عراة في أواسطهم التبابين و الميازر ، و قد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص و سمّوها الخوذ ، و دَرَقاً من الخوص و البواري و قد قيّرت وحشيت بالحصىٰ و الرّمل . . .

و عملت المنجنيقات بين الفريقين ، وكثر الحريق و الهدم ببغداد و الكرخ و غيره من الجانبين ، حتى درست محاسنها فقال الشاعر :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زماناً قرة العين

ألم يكن فيك قومٌ كان قربهم وكان مسكنهم زيناً من الزين

(الأبيات) و قال الآخر :

بكت عيني على بغداد لما فقدت غضارة العيش الأنيق

تبدّلنا هموماً من سرور و من سعة تبدّ لنا بضيق

أصابتنا من الحسّاد عين فأفنت أهلها بالمنجنيق

فقوم أحرقوا بالنار قصراً و نائحة تنوح على غريق

و صائحة تنادي : يا صحابي و قائلة تنادي : يا شقيقي

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٥٩ ـ الى ـ ٢٦١ .

و حـــوراء المـــدامـــع ذات دلٍّ ... مـــضمّخة المـــجاسد بـالخلوق
تـنـادي بـالشفيق ، فـلا شـفيق ... و قـد فـقد الشـفيق مع الرفـيق
و قــومٌ أُخـرجـوا مـن ظـل دنـيا ... مـتاعهم يـباع بكـلّ سـوق
و مـغتـرب بـعيـد الدار مـلقىً ... بـلا رأس بـقارعة الطـريق
تـوسط مـن قـتـالهم جـميعاً ... فـما يـدرون مـن أي الفـريق
فـلا ولد يـقيم عـلى أبـيـه ... و قد هرب الصديق عن الصديق[1]

حال الخليفة خلال هذه الاضطرابات

لقد رأينا في طبيعة الانسان ، مهما بلغ من الطغيان و العصيان ، أنه اذا حلّت به المصيبة يخرج من طغيانه ، و يتضرّع الى ربّه ، رجاء أن ينجيه من هذه البليّة ، كما قال الله العزيز : ﴿ **و اذا مسّ الأنسان ضرٌّ دعا ربّه منيباً اليه** ﴾[2] ولكن هذا الانسان ، لم ندر كيف كانت طبيعته ؟ و من أيّ شيء أُسّست سيرته و سريرته ؟ فانه لم يفتح عينيه ، حتى اذا أحاطت البلية جانبيه ، لم يزل غارقاً في شهواته ، منهمكاً في لذّاته ، معرضاً عن آفاته ، هالكاً في عاهاته ، فانه بدل أن يدعو ربّه و يناجيه ، كان مشغولاً بغلمانه و ملاهيه .

قال ابن الأثير : « و أمّا الأمين فانه أتاه نعي علي بن عيسى (قائد جيشه) و هو يصطاد السمك ، فقال للذي أخبره : ويلك دعني : فانّ كوثراً (غلامه) قـد اصطاد

---

١ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤٠٢ الى ٤٠٥ .
٢ - **الزمر** ٣٩ : ٨ .



سمكتين ، و أنا ما صدت شيئاً بعد »[1] .

و قال المسعودي : « ذكر ابراهيم بن المهدي : استأذنت على الأمين يوماً ، و قد اشتدّ الحصار عليه من كلّ وجه ، فأبوا أن يأذنوا لي بالدخول عليه ، الى أن كاثرت و دخلت ، فاذا هو قد تطلّع الى دجلة بالشبّاك ، وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق إلى الماء في دجلة ، و في المخترق شبّاك حديد ، فسلمت عليه و هو مقبل على الماء ، و الخدم و الغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء و هو كالواله .

فقال لي ـ و قد ثنّيت بالسّلام و كرّرت ـ : لا تدري يا عمّي ! مقرّطتي قد ذهبت من البركة الى دجلة ـ و المقرّطة : سمكة كانت قد صيدت له ، و هي صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب ، فيهما حبّتا دُرٍّ ، و قيل : ياقوت ـ قال : فخرجت و أنا آيس من فلاحه ، و قلت : لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت »[2] .

عاقبة أمر الخليفة الأمين

قال الطبري : « انّ طاهراً (رئيس جيش المأمون) غدا يوم الخميس على المدينة المشرقية و أرباضها ، و الكرخ و أسواقها ، و هدم قنطرتي الصراة العتيقة و الحديثة و اشتدّ عندهما القتال ، و اشتدّ طاهر على أصحابه ، و باشر القتال بنفسه (الى أن قال) و خرج محمد بأُمّه و ولده الى مدينة أبي جعفر و تفرّق عنه عامّة جنده و خصيانه و جواريه في السكك و الطرق ، لا يلوي منهم أحد على أحد ، و تفرّق

١ – **تاريخ الكامل** لابن الاثير ج ٦ ص ٢٤٥

٢ – **مروج الذهب** ج ٣ ص ٣٩٤ .

الغوغاء و السّفلة »[١] .

و قال المسعودي : « و أتاه هرثمة[٢] في الحرّاقة[٣] الى باب خراسان ، و دعا الأمين بفرسٍ يقال له الزهيري أغرّ محجّل أدهم محذوف ، و دعا بابنيه موسى و عبدالله فعانقهما و شمّهما و بكىٰ ، و قال : الله خليفتي عليكما ، فلست أدري أألتقي معكما بعدها أو لا ، و عليه ثياب بيض و طيلسان أسود ، و قدّامه شمعةٌ ، حتى أتى باب خراسان الى المشرعة ، و الحرّاقة قائمة ، فنزل و دخل الحرّاقة ، فقبّل هرثمة بين عينيه ، و قدكان طاهر نمي اليه خروجه فبعث بالرجال و الملاّحين في الزوّارق على الشطّ ، فدفعت الحرّاقة ، و لم يكن مع هرثمة عدة من رجاله ، فأتى أصحاب طاهر عراةً فغاصوا تحت الحرّاقة فانقلبت بمن فيها ، فلم يكن لهرثمة شاغلٌ الا أن نجا بحشاشة نفسه ، و شقّ محمد ثيابه عن نفسه و سبح فوقع نحو السراة الى عسكر قرين الديراني غلام طاهر ، فأخذه بعض السوّاس حين شمّ منه رأئحة المسك و الطيب »[٤] .

مقتل الخليفة الأمين

قال المسعودي : « و ذكر أحمد بن سلام ـ و قدكان مع الأمين في الحرّاقة

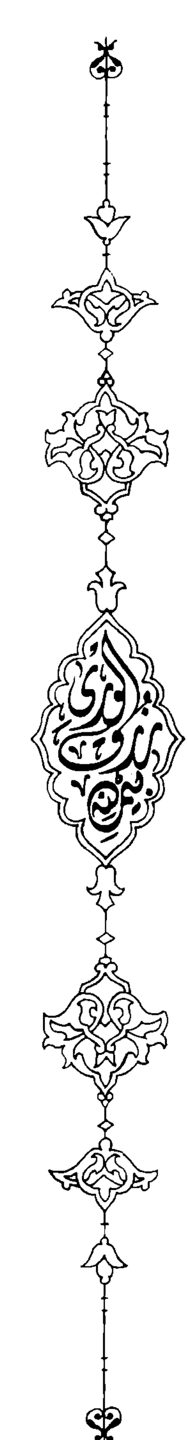
---

١ ـ تاريخ الطبري ج ٨ ص ٤٧٤ .

٢ ـ رئيس آخر في جيش المأمون و كان بين الرئيسين ، طاهر و هرثمة مناقشةٌ في الأمين فأراد هرثمة أن يأخذه حياً و أراد طاهر أن يقتله لئلاّ يكون الفخر لهرثمة .

٣ ـ الحرّاقة : سفينة فيها مرامي نيران يُرمىٰ بها العدو .

٤ ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٤١١ ـ ٤١٢ .



حين انقلبت ، فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر و أراد قتله ، فأرغبه في عشرة آلاف درهم ، و انه يحملها اليه في صبيحة تلك الليلة ـ قال : فأُدخلت بيتاً مظلماً ، فبينا أنا كذلك اذ دخل عليّ رجلٌ عريان عليه سراويل و عمامة قد تلثّم بها ، و على كتفه خرقة فجعلوه معي ، فلّما استقرّ في الدّار حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد (الأمين) .

فاستعبرت و استرجعت فيما بيني و بين نفسي ، و جعل ينظر اليّ ثم قال : أيّهم أنت ؟ قلت : أنا مولاك يا سيّدي ، قال : و أي الموالي أنت ؟ قلت : أحمد بن سلام .

ثم قال : يا أحمد ! قلت : لبيّك يا سيدي ! قال ادن منّي و ضمّني اليك فاني أجد وحشة شديدة .

قال فضممته اليّ ، فاذا قلبه يخفق خفقاناً شديداً .

ثم قال أخبرني عن أخي المأمون أحيّ هو ؟ قلت له : فهذا القتال عمّن اذن ؟ قال : قبّحهم الله ! ذكروا أنه مات ، قلت : قبّح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد .

فقال لي : يا أحمد ليس هذا موضع عتاب ، فلا تقل في وزرائي الا خيراً ، فما لهم ذنبٌ ، و لست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه .

قلت : البس ازاري هذا و ارم بهذه الخرقة التي عليك ، فقال : يا احمد ! من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ، ثم قال لي : يا أحمد ! ما أشكّ أنّه سيحملونني الى أخي ، أفترىٰ أنّ أخي قاتلي ؟

قلت : كلاّ ، انّ الرحِم سيعطّفه عليك ، فقال لي : هيهات ، الملك عقيم لا رحِم له ، فقلت : انّ أمان هرثمة أمان أخيك .

قال : فلقّنته الاستغفار و ذكر الله ، فبينا نحن كذلك اذ فُتح باب البيت فدخل

علينا رجل عليه سلاحٌ فاطّلع في وجه محمد مستثبتاً له ، فلما أثبته معرفةً خرج و أغلق الباب و اذا هو محمد الطاهري .

قال : فعلمت أنّ الرجل مقتولٌ و قدكان بقي عليّ من صلاتي الوتر ، فخفت أن أُقتل و لم أُوتِر ، فقمت لأُوتِر ، فقال لي : يا أحمد ! لا تبعد منّي و صلِّ بقربي ، فاني أجد وحشة شديدة ، فدنوت منه .

فقلّ ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل و دقّ باب الدار ، ففتح الباب فاذا قومٌ من العجم بأيديهم السيوف مصلتة ، فلما أحسّ بهم محمد قام قائماً و قال : انا لله و انا اليه راجعون ، ذهبت والله نفسي في سبيل الله ، أما من حيلة ؟ أما من مغيث ؟

و جاؤا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه ، و جعل بعضهم يقول لبعض : تقدّم و يدفع بعضهم بعضاً ، فأخذ محمد بيده وسادة و جعل يقول : أنا ابن عم رسول الله ، أنا ابن هارون ، أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي ، فدخل عليه رجلٌ منهم مولى لطاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه ، و ضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده ، و اتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح الرجل بالفارسية : قتلني الرجل ، فدخل منهم جماعةٌ ، فنخسه[1] أحدهم بسيفه في خاصرته ، فكبّوه فذبحوه من قفاه ، و أخذوا رأسه ، و مضوا به الى طاهر ، و أُتي بخادمه كوثر و كان حظيّةً[2] ، معه الخاتم ، و البُرد ، و السيف ، و القضيب (زعموا أنها لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

و حمل الرأس الى خراسان الى المأمون في منديل و القطن و عليه الأطلية ،

---

١ – نخس : غرز .

٢ – الحَظِيّة جمع حَظَايا : مؤنث الحظي : السريّة المكرمة عند أمير أو ملك .

فأمر المأمون بنصب الرّأس في صحن الدّار على خشبته ، و أعطى الجند ، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض و يلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له : العن هذا الرأس . فقال : لعن الله هذا و لعن والديه و ما ولدا و أدخلهم في كذا و كذا من أُمّهاتهم .

فقيل له : لعنت أميرالمؤمنين . و ذلك بحيث يسمعه المأمون فتبسّم و تغافل ، و أمر بحطّ الرّأس »[1] .

و ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : «ثم ذبحوه و أخذوا رأسه و جثته فأتوا بهما طاهراً ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، و أمر بنصب الرأس فوق رمحٍ هناك حتى أصبح الناس فنظروا اليه فوق الرّمح عند باب الأنبار ، و كثر عدد النّاس ينظرون اليه .

ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمّه محمد بن مصعب ، و بعث معه البردة و القضيب و النعل ـ و كان من خوص مبطّن ـ فسلّمه الى ذي الرّياستين ، فدخل به على المأمون على ترس . فلمّا رآه سجد و أمر لمن جاء به بألف ألف درهم .

و قد قال ذو الرياستين حين قدّم الرأس يؤنّب طاهراً : أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به الينا عقيراً .

فقال المأمون : مضىٰ ما مضىٰ »[2] .

---

١ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤١٢ الى ٤١٤ .

٢ - **البدايه و النهاية** ج ١٠ ص ٢٦٤ .



يا أُمّ قومي و اطلبي الثّأر مثل عائشة

و من لطيف ما يذكر في المقام أنّ بعض الناس أشاروا زبيدة أُمّ الأمين أن تقوم على المأمون قيام عائشة بنت أبي بكر لطلب ثأر دم عثمان ، قال المسعوديّ :

« و لمّا قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال لها : ما يُجلسك و قد قتل أميرالمؤمنين محمد ؟!

فقالت : ويلك و ما أصنع ؟

فقال : تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان .

فقالت : اخسأ لا امّ لك ، ما للنساء و طلب الثأر و منازلة الأبطال ؟ ثم أمرت بثيابها فسوّدت ، و لبست مسحاً من شعر »[1] .

هكذا انتهى دور الخليفة الأمين صاحب العادات العجيبة ، و الصفات القبيحة الغريبة ، جامع المنكرات ، فاعل الفضيحات ، لكنّه مع ذلك كان خيراً من أبيه ، و أحسن من أخيه ، حيث أنه لم يظلم الا نفسه ، و لم يجدع الا أنفه ، لأنه لم يُسمع أنه ضرب عنق أحد من عباد الله ، و لا قتل واحداً من آل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أما سائر أعماله القبيحة ، و حركاته الشنيعة ، فأمرها راجع الى نفسه ، و الجائر على نفسه خيرٌ من الذي يجور على غيره .

كانت ولايته أربع سنين و سبعة أشهر و ثمانية أيام و قتل سنة (١٩٨) و عمره آنذاك ثمانية و عشرون عاماً .

---

١ – مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٥ .



كيف كان انعقاد نطفة المأمون

ذكر صاحب عيون التواريخ و غيره : أن المأمون مر يوما على زبيدة أم الأمين ، فرآها تحرّك شفتيها بشيء لا يفهمه : فقال لها : يا أماه أتدعين عليّ لكونى قتلت ابنك و سلبته ملكه ؟ فقالت : لا والله يا أميرالمؤمنين . قال : فما الذى قلته ؟ قالت : يعفيني أميرالمؤمنين ، فألحّ عليها و قال : لابدّ أن تقوليه .

قالت : قلت : قبّح الله الملاححة . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأني لعبت يوماً مع أميرالمؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم و الرضا فغلبني ، فأمرني أن أتجرّد من أثوابي و أطوف القصر عريانة ، فاستعفيته ، فلم يعفنى فتجردت من أثوابي و طفت القصر عريانة ، و أنا حانقةٌ عليه ، ثم عاودنا اللعب فغلبته ، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ و يطأ أقبح جارية و أشوهها خلقة فيه ، فاستعفانى من ذلك فلم أعفه ، فبذل لي خراج مصر و العراق فأبيت و قلت : والله لتفعلن ذلك ، فأبى فألححت عليه و أخذت بيده و جئت به للمطبخ ، فلم أر جارية أقبح و لا أقذر و لا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك ، فكنت سبباً لقتل ولدي و سلبه ملكه ، فولى المأمون و هو يقول : لعن الله الملاححة ، أي التي ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر[1] .

---

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١١٠ .

﴿ ٧ ﴾

﴿ عبدالله المأمون الرشيد ﴾

هو أبو العباس عبدالله المأمون الرّشيد بن هارون الرشيد جلس على سرير الخلافة بعد ما قتل أخاه (الأمين) و عمره حينئذ (٢٨) عاماً .

قال الديار بكري : «كان أمره نافذاً من افريقية الى أقصىٰ خراسان ، و ماوراء النّهر و السند ، و برع في الفقه و العربيّة من النحو و اللغة و أيام الناس و الأدب ، و لماكبر عني بالفلسفة و علوم الأوائل حتى مهر فيهما فجرّأه ذلك الى القول بخلق القرآن و امتحان العلماء ، ولو لا ذلك لكان أعظم بني العبّاس . فحمل الناس على القول به ، و كل من لم يقل به عاقبه أشدّ عقوبة .

و كان الامام أحمد بن حنبل امام أهل السنّة من الممتنعين من القول بخلق القرآن فحمل الى المامون مقيّداً »[1] .

و الى مذهبه أشار بعض الشعراء و رماه بالزندقة :

يا أيها الناس لا قولٌ و لا عملٌ ... لمن يقول : كلام الله مخلوق

ما قال ذاك أبوبكر و لا عمر ... و لا النبيُّ و لم يذكره صديق

و لم يقل ذاك الاكلّ مبتدع ... على الرّسول و عند الله زنديق

بشرٌ أراد به إمحاق دينهم ... لأنّ دينهم و الله ممحوق

---

١ - **تاريخ الخميس** ج ٢ ص ٣٧٢ .

يا قوم أصبح عقلٌ من خليفتكم مقيّداًوهوفيالأغلالموثوق[1]

و قد كان أوصىٰ الى أخيه المعتصم و كتب وصيته بحضرته و بحضرة ابنه العباس و جماعة القضاة و الامراء والوزراء و الكتاب و فيها القول بخلق القرآن و لم يتب من ذلك، بل مات عليه، و انقطع عمله و هو على ذلك لم يرجع عنه و لم يتب منه، و أوصى أخاه المعتصم أن يعتقد ماكان يعتقده أخوه المأمون في القرآن و أن يدعو الناس الى ذلك[2].

و مما زاد الطّين بلّةً ادّعاؤه التشيّع في اعتقاده ، و نصبه الامام علي بن موسى الرّضا عليه‌السلام وليّ عهده ، قال المسعوديّ :

« و هجا المأمون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمّه ، و كان المأمون يظهر التشيّع ، و ابن شكلة التسنّن ، فقال المأمون :

اذ المرجيء[3] سرّك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدّد عنده ذكرىٰ عليٍّ و صلّ على النبيّ و آل بيته

فأجابه ابراهيم رادّاً عليه:

اذ الشيعيّ جمجم في مقالٍ فسرّك أن يبوح بذات نفسه

---

١ - **البداية و النهاية** ج ١٠ ص ٣٠٦.

٢ - **المصدر** ص ٣٠٧.

٣ - قال جدّنا السيد الجزائرى رحمه‌الله : (الفرقة الرابعة) من كبار الفرق الاسلامية: المرجئة، لُقّبوا به لأنهم يرجئون العمل عن النيّة، أي يؤخرونه في الرتبة عنها و عن الاعتقاد، أو لأنّهم يقولون لا يضرّ مع الايمان معصيةٌ، كما لا ينفع مع الكفر طاعةٌ، فهم يعطون الرّجا فعلى هذا ينبغي أن لا يهمز لفظ (المرجئة) و فرقهم خمسٌ (الى أن قال) و قد كان المعتزلة في الصدر الأول يلقّبون من خالفهم في القدر « مرجئاً » (راجع الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) و المراد هنا هو المعنى الأخير.



فصلّ على النّبى و صاحبيه وزيـريه و جـاريه بـرمسه[١]

فكان في الوقت هناك خليفتان : خليفة سنّيٌّ و خليفة شيعيٌّ .

قال ابن الأثير : « فأخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدي ، و أنّ أهل بغداد قد سمّوه الخليفة السنّي ، و أنّهم يتهمون المأمون بالرّفض لمكان علي بن موسى عليهما السلام منه »[٢] .

قال الحافظ السيوطي : « و في سنة (٢٠١) خلع أخاه المؤتمن من العهد ، و جعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصـادق عليهم السلام ، حمله على ذلك افراطه في التشيّع ، حتى قيل انه همّ أن يخلع نفسه و يفوّض الأمر اليه ، و هو الذي لقّبه الرّضا[٣] و ضرب الدراهم باسمه ، و زوّجه ابنته (أُمّ حبيب) و كتب الى الآفاق بذلك ، و أمر بترك السواد و لبس الخضر ، فاشتدّ ذلك على بني العـبّاس جـدّاً و خـرجـوا عـليه و بـايعوا (عـمّ المأمـون) ابـراهـيم بـن المـهدي (ابن شكلة) »[٤] .

(أقول) كون المامون شيعيّاً سفسطة أهل التأريخ و من الدعايات الكاذبة ، لأنه لم يكن شيعيّاً في الواقع ، بل كان متظاهراً فيه و متصانعاً ، و اليه التفت بعض المؤرّخين نحو المسعودي ، فقال : «كان المأمون يظهر التشيّع »[٥] .

ولو كان شيعيّاً لم يقتل الامام الرضا عليه السلام (كما سنبّينه ان شاء الله تعالى) .

---

١ – **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤١٧ .

٢ – **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٧ .

٣ – اعتقاد الشيعة أنّ أسامي أئمتهم و كذا ألقابهم كلها من الله تعالىٰ .

٤ – **تاريخ الخلفاء** ص ٢٣٥ .

٥ – **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤١٧ .

انما كان اظهاره التشيّع من كمال مكره و دهائه ، و وسيلةً الى بقائه ، و آلةً لتحكيم بنائه ، و ذلك لأنه لمّا قتل أخاه للخلافة ، و خالف أباه في الولاية ، كان ردّ فعله طبعاً نقمة النّاس عليه ، و انقباضهم عنه كما ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقيّ : « ركب المأمون يوماً في حرّاقة فسمع ملّاحاً يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون ينبل في عيني ؟ و قد قتل أخاه الأمين ـ يقول ذلك و هو لا يشعر بمكان المأمون ـ فجعل المامون يبتسم و يقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل القدر؟ »[1] .

فمن أجل هذا ثار عليه العلويون لأنهم كانوا مضطهدين من أول هذه السلسلة من الخلافة لا سيّما في دور بني اُمية و بني العبّاس ، فاغتنموا هذه الفرصة ، فخرج عليه محمد بن ابراهيم بن طباطبا بالعراق ، و ابراهيم بن موسى بن جعفر باليمن ، و الحسين بن الحسن الأفطس بالمدينة[2] ، و محمد بن جعفر الصادق عليه السلام بمكة و نواحيها ، فدعت هذه الامور الى أن يصالح شيعة علي عليه السلام و يجذبهم اليه لكي يتقوى بهم ، و لم يكن آنذاك أرقى مقاماً عند الشيعة من علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، فاستماله اليه و أجبره على أن يتقبل ولاية عهده .

و الامام الرضا عليه السلام أيضاً كان يعلم أنّ هذا الاقدام منه ليس الّا حيلة سياسية ، فامتنع عن قبوله ، لكنّه لمّا هدّده بالقتل ان لم يقبل ، وجب عليه اتقاءً لنفسه ، و اغتناماً للفرصة لنشر مذهبه في بلاد ايران و غيرها .

و لمّا استكمل المأمون غرضه ، و أقام أوده ، رفع سدّ طريقه (الامام الرّضا

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٤ .

٢ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٥٢٨ ـ الى ـ ٥٣٦ و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٨ .

عليه السلام) بقتله بالسّم كما سيأتي .

شرب الخمر

كيف كان المأمون مأموناً و الحال انّه كان يشرب الخمر علَناً ، و جميع المسكرات محرّمٌ في الاسلام بالاجماع .

قال الحافظ السّيوطي : « أخرج الصّولي من طرق عدّة : أنّ المأمون كان يشرب النبيذ »[1] و المراد من النبيذ هو النبيذ المسكر المحرّم و الاّ ماكانت الحاجة الى ذكره .

و صرّح غيره بالشراب ، قال ابن الأثير : « فلمّا علم اليزيديُّ جلوس المأمون مع ندمائه ، و تيقّن أنّهم قد أخذ الشراب منهم ، أتى الباب فدخل فدفع الى الخادم رقعته »[2] .

انّي رأيت كثيراً من الفسقه أنّهم يتركون فسقهم في شهر رمضان المبارك خوفاً من الله تعالى ان كان ، و الاّ حياءً من النّاس ، لكنّ هذا الخليفة لم يكن يرفع يده عن الشراب حيناً ما حتى في شهر رمضان .

قال الطبريُّ : « و شخص المأمون من بغداد حين شخص الى هنا لك للبناء ببوران راكباً زورقاً ، حتى أرسىٰ على باب الحسن (الى أن قال) فاعتنقه الحسن و هو راكب و دخلا جميعاً منزل الحسن ، و وافى المأمون في وقت العشاء ، و ذلك في

---

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٤٨ .

٢ - **الكامل** لابن الاثير ج ٦ ص ٤٣٧ .

شهر رمضان من سنة عشر و مائتين ، فأفطرهو و الحسن و العباس ، و غسلوا أيديهم ، فدعا المأمون بشراب ، فأتي بجام ذهب فصبّ فيه و شرب ، و مدّ يده بجام فيه شراب الى الحسن ، فتباطأ عنه الحسن ، لأنّه لم يكن يشرب قبل ذلك .

فقال له الحسن : يا أميرالمؤمنين ! أشربه باذنك و أمرك ؟

فقال له المأمون : لولا أمري لم أمدد يدي اليك . فأخذ الجام فشربه »[١] .

و كذلك نرىٰ أنّ عديداً من أهل المعاصى يتوبون الى الله فى آخر عمرهم ، لكنّ الخليفة كان متعاطياً به حتى الموت .

قال الطبريُّ : « و ذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب قال : أخبرني الحسين بن الضحّاك قال : قال لي علّويه : أُخبرك أنّه مرّ بي مرّة ما أيست من نفسي معه لولا كرم المأمون ، فانه دعا بنا ، فلمّا أخذ فيه النّبيذ ، قال : غنّوني (الى أن قال) فحيّن لي أن تغنّيت و كان قد همّ بالخروج الى دمشق يريد الثّغر :

الحَيْن[٢] قد ساق الى دمشق و ما كـانت دمشـق لأهـلها بـلدا

فضرب بالقدح الأرض ، و قال : ما لك ! عليك لعنة الله . و أُخذ بيدي فأُقمت و عيناه تدمعان و هو يقول للمعتصم : هو والله آخر خروجي ، و لا أحسبني أن أرى العراق أبداً ، فكان والله آخر عهده بالعراق عند خروجه كما قال »[٣] .

و قال الحافظ ابن كثير الدمشقيّ : « و قد أضاف المأمون الى بدعته هذه التي أزرىٰ فيها على المهاجرين و الأنصار ، البدعة الأُخرىٰ و الطامّة الكبرىٰ و هي القول

---

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٠٧ .

٢ - الهلاك .

٣ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦ .



بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر و غير ذلك من الأفعال التي فيها المنكر »[1].

الترف بالجواري

كان المأمون من صباه منهمكاً في الجواري حتى في جوار أبيه ، مراوداً عن نفسه حظيّاته و جواريه ، لم يردعه عن ذلك أدب الولد عند والده ، و لا سطوة الرّشيد على معانده .

قال الحافظ السّيوطيُّ : « أخرج الخطيب عن منصور البرمكي ، قال : كان للرّشيد جارية ، وكان المأمون يهواها ، فبينما هي تصبّ على الرّشيد من ابريق معها و المأمون خلفه ، اذ أشار اليها بقُبلةٍ ، فزبرته[2] بحاجبها و أبطأت من الصّبّ .

فنظر اليها هارون ، فقال : ما هذا ؟ فتلكّأت[3] عليه . فقال : ان لم تخبرني لأقتلنّك .

فقالت : أشار اليّ عبدالله بقُبلة .

فالتفت اليه ، و اذا هو قد نزل به من الحياء و الرّعب ما رحمه منه ، فاعتنقه فقال : أتحبّها ؟ قال : نعم ، قال : قم فادخل بها في تلك القبّة . فقام ، فلما خرج قال له : قل في هذا شعراً ، فقال :

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٣ .

٢ - أي منعته .

٣ - أي توقّفت .



ظبيٌّ كنيتُ بطرفي عن الضمير اليه
قبّلته من بعيد فاعتلّ من شفتيه
و ردّ أحسن ردٍّ بالكسر من حاجبيه
فما برحت من مكاني حتى قدرت عليه[1]

و أخرج ابن عساكر عن أبي خليفة قال : سمعت بعض النخّاسين يقول : عرضت على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدّبة شطرنجية ، فساومته في ثمنها بألفي دينار .

فقال المأمون : ان هي أجازت بيتاً أقوله ببيت من عندها اشتريتها بما تقول وزدتك ، فأنشد المأمون :

ماذا تقولين فيمن شفّه أرَقٌ من جهد حبّك حتى صار حيرانا[2]

فأجازته :

اذا وجدنا محبّاً قد أضرّبه داء الصبابة[3] أوليناه احسانا[4]

و قد بلغ حرصه على الجواري أنّه قتل أحسن وزرائه الفضل بن سهل اذ ضايقه في جارية أراد شراءها[5] .

---

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٤٧ .

٢ - شفّه : أهزله و أفناه ، أرَقٌ : كعَرَقٍ : ذهاب النّوم في الليل .

٣ - الصّبابة : العشق .

٤ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٤٧ .

٥ - راجع **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤١٧ .



الاسراف المفرط

الاسراف في العطاء

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقيّ : « روى ابن عساكر أنّ المأمون قال يوماً لمحمد بن عبّاد بن المهلب : يا أبا عبدالله ! قد أعطيتك ألف ألف ، و ألف ألف دينار .

فقال : يا أميرالمؤمنين ! انّ منع الموجود سوء ظنّ بالمعبود .

فقال : أحسنت يا أبا عبدالله ! أعطوه ألف ألف و ألف ألف و ألف ألف »[1] .

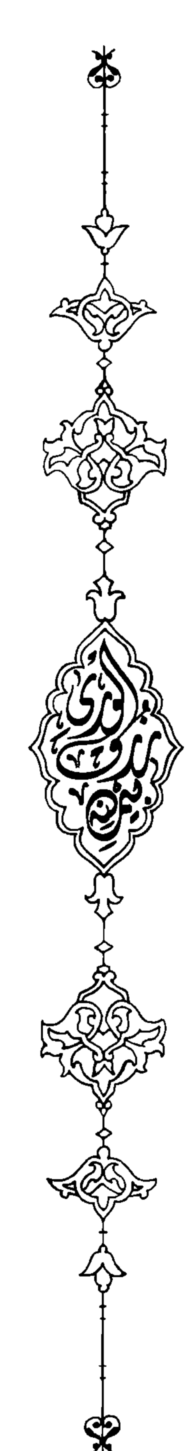
الاسراف في الزواج

كان زواج المأمون ببنت الحسن بن سهل من تلك الزواجات التاريخية التي لم ير الدهر مثلها . و ذكر المؤرّخون كلّهم هذا الزواج العظيم و تفاصيلها من التزينات المدهشة التي أُخذت فيها ، و الأموال الهائلة التي صرفت فيها ، و نحن نكتفي بما ذكره المسعودي فقط ، فانّه قال :

« زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل : و انحدر المأمون الى (فم الصلح) في سنة تسع و مائتين ، و أملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى بوران .

---

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٤ .



و نثر الحسن في ذلك الإملاك من الأموال ما لم ينثره و لم يفعله ملكٌ قطٌ في جاهلية و لا في إسلام .

و ذلك أنه نثر على الهاشميين و القوّاد و الكتّاب و الوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضِياعٍ ، و أسماء جَوارٍ ، و صفات دواب و غير ذلك .

فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله و سعوده فيها ، فيمضي الى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له : ضيعة يقال له فلانة الفلانية من طَسُّوج كذا و رُسْتاق كذا ، و جارية يقال لها فلانة الفلانية ، و دابة صفتها كذا .

ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير و الدراهم و نوافِجَ المسك و بيض العنبر .

و أنفق على المأمون و قواده و على جميع أصحابه و من كان معه من جنوده أيام مقامه عنده حتى المكارين و الحمالين و الملّاحين و كل من ضمّه العسكر من تابع و متبوع مرتزق و غيره ، فلم يكن أحد من الناس يشتري شيئاً في عسكر المأمون مما يطعم ، و لا ممّا تعتلفه البهائم .

فلمّا أراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفاً الى مدينة السلام قال للحسن : حوائجك يا أبا محمد ؟

قال : نعم يا أميرالمؤمنين ! أسألك أن تحفظ عليَّ مكاني من قلبك ، فإنه لا يتهيأ لي حفظه إلا بك .

فأمر المأمون بحمل خراج فارس و كور الأهواز اليه سنة .

فقالت في ذلك الشعراء فأكثرت ، و أطنبت الخطباء في ذلك و تكلّمت ، فممّا استظرف مما قيل في ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلي :

بــارك الله لــلحــسن و لبــوران فــي الخــتن
يا ابن هارون قـد ظـفـر تَ ولكــن بــبنت مَـن

فلمّا نمي هذا الشعر الى المأمون قال : و الله ما ندري خيراً أراد أم شرّاً »[1] .

و من البديهي أنّ هذه الأموال الهائلة التي نـثرت عـلى رأس العـرّيس ، و صرفت في هذا العِرس ،كانت من بيت مال المسلمين، لأنّ ما يملكه الوزير متعلق بالأمير .

الاسراف في الطعام

قال الحافظ السيوطيُّ : « أخرج نفطويه عن محمد بن حفص الأنماطي ، قال : تغدّينا مع المأمون في يوم عيد ، فوضع على مائدته أكثر من ثلاث مائة لون ، قال : فكلّما وضع لون ، نظر المأمون اليه فقال هذا نافع لكذا ، ضارٌّ لكذا ، فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا ، و من كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ، و من غلب عليه السوداء فلا يعرض لهذا ، و من قصد قلّة الغذاء فليقتصر على هذا .

فقال له يحيىٰ بن أكثم : يا أميرالمؤمنين ! ان خضت في الطب كنت جالينوس في معرفته ، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه ، أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في علمه (معاذ الله) أو ذكر السّخاء كنت حاتم طي في صـفته ، أو صـدق الحديث كنت أباذر في لهجته (معاذ الله) ، أو الكرم فأنت كعب بن أمامة في فعاله ،

---

١ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤٤٣ .

أو الوفاء فأنت سَمَوْئل [١] بن عاديا في وفائه .

فسرّ المأمون بهذا الكلام و قال : انّ الانسان انّما فضلّ بعقله ولولا ذلك لم يكن لحمٌ أطيب من لحم و لا دمٌ أطيب من دم » [٢] .

سيرة يحيى بن الأكثم القاضي

لمَ لا يمدح يحيى بن الأكثم المأمون بهذه الاطراءات المفرطة ، و انه قد نال مرتبة القضاء بيمناه ، و جمع الأموال الطائلة من نداه ، و لولاه لما دنىٰ اليه أحدٌ أبداً و ذلك لقباحة سيرته ، و وقاحة سريرته :

قال المسعودي : « وكان يحيى بن أكثم قد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه و بين المأمون ، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ، فقال المأمون : لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم .

قالوا : يا أميرالمؤمنين ، قد ظهرت منه الفواحش و ارتكاب الكبائر ، استفاض ذلك عنه ، و هو القائل يا أميرالمؤمنين ، في صفة الغلمان و طبقاتهم و مراتبهم في أوصافهم قوله المشهور .

فقال المأمون : و ما الذي قال ؟

فدفعت إليه القصة فيها جُمَلٌ مما رمي به و حكي عنه في هذا المعنى ، و هو قوله :

---

١ - سَمَوْئَل كسَفَرْجَل : رجلٌ كان مشهوراً في وفاء العهد (هامش **تاريخ الخلفاء** ص ٢٤٢) .

٢ - المصدر .

أربعة تَفْتِنُ ألحاظهم فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه في وجهه منافق ليست له آخره
و آخر دنياه مفتوحة من خَلْفِهِ آخرة وافره
و ثالث قد حاز كلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخره
و رابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا و لا آخره

فأنكر المأمون ذلك في الوقت و استعظمه ، و قال : أيكم سمع هذا منه ؟

قالوا : هذا مستفاض من قوله فينا يا أميرالمؤمنين ؟

فأمر بإخراجهم عنه ، و عزل يحيى عنهم .

و في يحيى و ماكان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلده أكْثَمه و لم تطأ أرض العراق قَدَمُهُ
ألْوَطُ قاضٍ في العراق نعلمه أي دواة لم يلقها قلمه
و أي شِعْبٍ لم يلجه أرقمه

و ضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون و نادمه ، و رخّص له في أمور كثيرة ، فقال له يوماً : يا أبا محمد ، من الذي يقول :

قاض يرى الحدَّ في الزناء ، و لا يرى على من يلوط من باس

قال : ذلك ابن أبي نعيم يا أميرالمؤمنين ، و هو القائل :

أميرُنا يرتشي ، و حاكمنا يلوط ، و الرأس شر ما راس
قاضٍ يرى الحد في الزناء ، و لا يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي وعلى الـ ـأُمّة والٍ من آل عباس

فأطرق المأمون خجلاً ساعةً ، ثم رفع رأسه و قال : ينفى ابن أبي نعيم إلى السند .

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة و قَبَاء و سيف بمعاليق و شاشية[١] و إذاكان الشتاء ركب في أ قْبِيَة الخزّ و قلانس السمُّور و السروج المكشوفة ، و بلغ من إذاعته و مجاهرته باللواط أنّ المأمون أمره أن يفرض لنفسه فرضاً يركبون بركوبه و يتصرفون في أموره ، ففرض أربعمائة غلام مُرْداً اختارهم حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، و قال في ذلك راشد بن إسحاق يذكر ماكان من أمر يحيى في الفرض :

خليليَّ انظرا متعجَّبَيْنِ ... لأظرف منظر مَقَلَتْهُ عيني

لفرضٍ ليس يقبل فيه إلا ... أسيل الخد حلو المقلتين

و إلاكلُّ أشقر أكْشَمِيٍّ ... قليل نبات شعر العارضين

يقدم دون موقف صاحبيه ... بقدر جماله و بقبح ذين

يقودهُمُ إلى الهيجاء قاضٍ ... شديد الطعن بالرمح الرُّدَيْنيِ

إذا شهد الوغى منهم شجاع ... تجدَّل للجبين و لليدين

(الى آخر الأبيات) و فيه يقول راشد أيضاً :

و كنّا نرجّي أن نرى العدل ظاهراً ... فأعقبنا بعد الرّجاء قنوط

متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها ... و قاضي قضاة المسلمين يلوط[٢]

انما نقلنا نبذةً من سيرة هذا الرجل مع كونه نائياً عن أدب الكاتب و متانته ، ليتبيّن أنه لماكان حال قاضي قضاة المأمون هكذا فما يكون شأن الخليفة حينئذ ، لأنه لو لم يكن من جنسه لما أعطاه هذا المنصب الجليل .

---

١ - طربوشٌ من قماش أحمر له طرّةٌ صغيرة يلبسه الأتراك .

٢ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤٣٤ الى ٤٣٦ .



ثم لينظر أنه ماذاكان حال المسلمين آنذاك ، اذ فوّضت امورهم الى مثل هذا القاضي !

ألم يأن لنا أن نقول أنه ترتّبت هذه المفاسد كلها من أجل أنّ الخلافة (الحكومة) سُلبت من يد علي بن أبي طالب عليه السلام يوم السّقيفة ـ فافهم و استقم .

الظلم و الجور و سفك الدماء

قتل ابن عائشة العبّاسي

قال الطبريّ : و فيها (أي في سنة ۲۱۰) ظهر المأمون على ابراهيم بن محمد بن عبدالوهّاب بن ابراهيم الامام (العبّاسي) الذي يقال له ابن عائشة . و محمد بن ابراهيم الافريقي ، و مالك بن شاهي ، و فَرَج البغواري و من كان معهم ممّن كان يسعىٰ في البيعة لابراهيم بن المهدي .

فأمر المأمون بابراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيّام في الشمس على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسّياط ، ثم حبسه في المُطبِق[1] .

(أما الآخرون و هم) محمد بن ابراهيم الافريقي و فرج البغواري و مالك بن شاهي و جماعة معهم ممن كان سعى في البيعة لابراهيم فحبسهم المأمون بعد أن ضربوا بالسّياط .

فرفع بعض أهل المُطبِق أنّهم يريدون أن يشغبوا و ينقّبوا السجن ، فلما بلغ

---

۱ – السجن المظلم الواقع تحت الأرض .



المأمون خبرهم ركب اليهم من ساعته بنفسه ، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبراً ، و أسمعه ابن عائشة شتماً قبيحاً ، فلمّا كانت الغداة صُلبوا على الجسر الأسفل ، فلمّا كان من الغداة يوم الأربعاء أُنزل ابراهيم بن عائشة ، فكُفّن و صلي عليه ، و دفن في مقابر قريش ، و أُنزل ابن الافريقي فدفن في مقابر الخيزران ، و ترك الباقون[1] .

و قال ابن الأثير : و صلب ابن عائشة ، و هو أول عبّاسيّ صلب في الاسلام[2] .

قتل الوزير ذي الرّياستين

كان الفضل بن سهل أحسن وزراء المأمون من حيث انّه كان يدير عيشه و جيشه معاً ، فجمع بين الوزراة و امارة الجيش ، و لذا لقّبه المأمون بذى الرّياستين ، و كان مع ذلك مخلصاً له و ناصحاً ، أما اخلاصه ، فانه لم يرد أن يقتل أخاه « الأمين » لئلا يشوّه به وجهة المأمون و يترتب عليه آثار السّوء التي ترتبت بعد قتله ، فأعطى الأمينَ الأمانَ و أراد أن يسلّمه بيد المأمون حيّاً ، لكنّ طاهر بن الحسين أحد أعوان المأمون حسد عليه ، و أفسد عليه الأمر بقتله (كما تقدّم) .

أمّا كونه ناصحاً للمأمون فانه كان يأمره و ينهاه فيما لم يكن يراه مناسباً للخليفة ، و ربماكان يضايقه فيما يريده المأمون ،كما ضايقه في شراء جارية غالية جدّاً ، و هذا صار سبباً لقلته .

و كان الفضل ذا فضل كثير في العلوم المختلفة منها النجوم ، فكان يخبر

---

١ - **تاريخ الطبري** ج ٨ ص ٦٠٢ الى ٦٠٤ .

٢ - **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٣٩٢ .



المأمون بالحوادث الواقعة قبل وقوعها ، فاستفاد المأمون منه كثيراً .

وكذا الناس كانوا يستفيدون من علومه و أدبه وكانوا يحترمونه جدّاً و يمدحه الشعراء الكبار ، كما قال أبو محمد عبدالله بن محمد فيه :

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة و ان عظموا للفضل الاصنائع

ترىٰ عظماء النّاس للفضل خشّعاً اذا ما بدا ، و الفضل لله خاشع

تواضع لما زاده الله رفعةً وكل جليلٍ عنده متواضع

هذه الأُمور كلها صارت وبالاً عليه ، لأنّ المأمون خاف من اقبال الناس اليه ، فدسّ اليه في الحمّام من قتله ، كما قتل أبوه وزير جعفر البرمكي من أجل هذه الأُمور .

و لقد كملت هذه المشابهة حينما قتل قاتليه أيضاً ، كما قتل هارون قاتل جعفر البرمكي بعد قتله جعفر . فلما جيء المأمون بقاتلي الفضل فقالوا : أنت أمرتنا بقتله ، لكنّه مع ذلك أمر بهم فضربت رقابهم ، ثم أرسل رؤسهم الى أخيه الحسن بن سهل تعزية و نصبه مكانه وزيراً[1] .

لم يكن الفضل شيعيّاً

ربما يظهر من كلمات بعض المؤرّخين أنّ الفضل بن سهل كان شيعيّاً ، لأنه هو الذي أشار على المأمون بنصب علي الرضا عليه السلام كولي عهده[2] .

قال ابن خلكان فيه : « وكان فيه فضائل ، وكان يلقّب بذي الرّياستين ، لأنّه

---

١ - راجع **وفيات الأعيان** ج ٤ ص ٤١ ، **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٧ .

٢ - **تاريخ الفخري** ص ٢١٧ .



تقلّد الوزراة و السيف و كان يتشيّع »[١] .

و حقيقة الأمر عكس ذلك لأنه لم يكن شيعيّاً و لا محبّاً لهم ، بل كان عدواً للشيعة بل جميع المسلمين لأنه كان مجوسيّاً بالاصالة .

قال ابن خلّكان : « انّه أسلم على يد المأمون في سنة تسعين و مائة »[٢] .

فكان إظهاره التشيّع لمصالح سياسية كمولاه المأمون .

و يظهر من الكتب المعتبرة أنّ الفضل هو الذي قال للمأمون ان بلغ الرضا المصلّى يوم العيد على هذا السبيل افتتن به الناس ، و الرأي أن تسأله الرجوع ، فبعث المأمون ، فسأله الرجوع[٣] .

و في العيون ـ بعد نقله خبراً مشتملاً على أنّ الفضل أشار على المأمون بجعل الرّضا عليه‌السلام ولى عهده ـ « و الصحيح عندي أنّ المأمون انما بايع له عليه‌السلام للنذر الذي تقدّم ذكره ، و أنّ الفضل لم يزل معانداً له عليه‌السلام و مبغضاً ، لأنه من صنائع آل برمك »[٤] .

(أقول) انّ اظهار المأمون بأنه نذر كذا ، لم يكن لداع مذهبي و جذبة دينيّة ، بل انه كان حيلة أراد أن يقنع بها الامام الرضا عليه‌السلام و كذا غيره من النّاس ، ولو كان معتقداً بأنّ الرّضا عليه‌السلام رجلٌ مقرّب عند الله ، و عبدٌ صالحٌ ينجز الله به ما سئل بالنذر له ، لما قتله ، و سيأتي عن قريب أنّ القاتل للرّضا عليه‌السلام هو المأمون لا غيره ، و ان كتمه أهل التأريخ لكنّه حقيقة واقعة لا تستر بإستار أحد من الناس .

---

١ - **وفيات الأعيان** ج ٤ ص ٤١ .

٢ - المصدر .

٣ - **عيون اخبار الرضا** عليه‌السلام ج ٢ ص ١٥١ .

٤ - **المصدر** ج ٢ ص ١٦٦ .



المأمون و الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

لقد مضىٰ فيما سبق أنّ المأمون كان في بداية أمره ضعيفاً جدّاً من أجل قتله أخاه، و بُعده عن دار الخلافة بغداد، وكون امّه أمةً، فقام عليه العبّاسيون من ناحية، و العلويّون من أُخرىٰ، فاقتضت سياسته أن يستميل اليه شيعة علي عليه السلام .

و لمّا كان الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام اعلىٰ مكاناً عند الشيعة قدّم له ولاية عهده بعد ما أظهر للناس تشيّعه الكاذب .

و حيث أنّ الامام الرضا عليه السلام كان عالماً بهذه الدسيسة، لم يقبل منه هذه الأُطروحة بل رفضها بشدة قائلاً: انّ مقتضىٰ علمي المأثور أنّني لا أبقى بعدك حتى أكون ولي عهدك و خليفةً بعدك، لكنّ المأمون لم يقبل منه كل عذر و أجبره على ذلك بل هدّده بالقتل، فلم ير الامام عليه السلام بدّاً غير القبول انجاءً لنفسه، مع ماكان فيه المصالح الكثيرة أيضاً كإنجاء كثير من شيعته من القتل و الأسر، و اغتنام الفرصة لنشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في العالم كله لا سيما في بلاد خراسان و ما والاها .

كما روي مسنداً عن أبي الصّلت الهروي، قال: انّ المأمون قال للرضا علي بن موسى عليهما السلام : يا ابن رسول الله ! قد عرفت فضلك و علمك و زهدك و ورعك و عبادتك و أراك أحقَّ بالخلافة منّي .

فقال الرّضا عليه السلام : بالعبوديّة عزّوجلّ أفتخر، و بالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدُّنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع في الدُّنيا أرجو الرفعة عند الله عزّوجل .

فقال له المأمون: فانّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، و أجعلها لك و أُبايعك .



فقال له الرّضا عليه السلام : إن كانت هذه الخلافة لك و جعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله و تجعله لغيرك ، و إن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك .

فقال له المأمون : يا ابن رسول الله لابدَّ لك من قبول هذا الأمر .

فقال : لست أفعل ذلك طائعاً أبداً فما زال يجهد به أيّاماً حتّى يئس من قبوله .

فقال له : فان لم تقبل الخلافة و لم تحبَّ مبايعتي لك فكن وليَّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي .

فقال الرّضا عليه السلام : والله لقد حدَّثني أبي عن آبائه عن أميرالمؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي أخرج من الدّنيا قبلك مقتولاً بالسمِّ مظلوماً تبكي عليَّ ملائكة السّماء و ملائكة الأرض و أُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرَّشيد فبكى المأمون .

ثمّ قال له : يا ابن رسول الله و من الّذي يقتلك أو يقدر على الاساءة إليك و أنا حيٌّ ؟

فقال الرّضا عليه السلام : أما إنّي لو أشاء أن أقول من الّذي يقتلني لقلت .

فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ، و دفع هذا الأمر عنك ، ليقول النّاس إنّك زاهدٌ في الدُّنيا .

فقال الرّضا عليه السلام : والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّوجل و ما زهدت في الدُّنيا للدُّنيا و إنّي لأعلم ما تريد .

فقال المأمون : و ما أُريد ؟

قال : الأمان على الصّدق ؟

قال : لك الأمان .

قال : تريد بذلك أن يقول النّاس : إنّ عليّ بن موسى لم يزهد في الدُّنيا بل زهدت الدُّنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة .

فغضب المأمون ثمّ قال : إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه . و قد آمنت سطوتي ، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد و إلّا أجبرتك على ذلك فان فعلت و إلّا ضربت عنقك .

فقال الرّضا عليه‌السلام : قد نهاني الله عزّوجل أن أُلقي بيدي إلى التهلكة ، فان كان الأمر على هذا ، فافعل ما بدالك ، و أنا أقبل ذلك على أنّي لا أُولّي أحداً ، و لا أعزل أحداً ، و لا أنقض رسماً و لا سنّة ، و أكون في الأمر من بعيد مشيراً ، فرضي منه بذلك ، و جعله وليّ عهده على كراهة منه عليه‌السلام لذلك[1] .

هكذا أدخل المأمون الامام الرضا عليه‌السلام في الحكومة جبراً و قهراً ، و لما قضىٰ منه و طره ، و بلغ مُنيته ، أزاله عن طريقه بدسّ السّم اليه ، ذكره بعض المؤرّخين و ان كتمه الآخرون .

فممّن أظهره ابن الطقطقي ، فقال :

« و أمر المأمون الناس بخلع لباس السواد و لبس الخضرة ، و كان هذا في خراسان . فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة عن البيت العباسي إلى البيت العلوي و تغيير لباس آبائه و أجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك و خلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله ، و بايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي ، و كان فاضلاً و شاعراً فصيحاً أديباً مغنيّاً حاذقاً ، و إليه أشار أبو فراس بن حمدان في

---

١ – **علل الشرايع** ج ١ ص ٢٢٦ ، **عيون أخبار الرضا** عليه‌السلام ج ٢ ص ١٣٩ ، **امالى الصدوق** ص ٦٨

ميميّته بقوله :

منكم علية أم منهم و كان لكم شيخ المغنّين إبراهيم أم لهم

و كانت تلك الأيام أيامَ فِتنٍ و وقائع و حروب .

فلمّا بلغ المأمونَ ذلك قام و قعد فقتل الفضل بن سهل . و مات بعده عليّ بن موسى من أكل عنب ، فقيل : إنّ المأمون لمّا رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بني عليّ ، و انهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل و رأى الفتنة قائمة ، دسّ جماعة على الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام . ثم أخذهم و قدّمهم ليضرب أعناقهم ، فقالوا له : أنتَ أمرتنا بذلك ثم تقتلنا !

فقال لهم : أنا أقتلكم بإقراركم ، و أما ما ادّعيتموه عليّ من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بيّنة . ثم ضرب أعناقهم و حمل رؤوسهم إلى الحسن بن سهل و كتب يعزّيه و يولّيه مكانه ، و انضمّ إلى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند ذكر وزارة الفضل .

ثمّ دسّ إلى عليّ بن موسى الرضا عليه‌السلام سمّاً في عنب ، و كان يحبّ العنب ، فأكل منه و استكثر فمات من ساعته . ثم كتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم : إنّ الّذي أنكرتموه من أمر عليّ بن موسى قد زال و إن الرجل مات . فأجابوه أغلظ جواب »[1] .

و ممّن صرّح بكون الامام الرّضا عليه‌السلام مسموماً بيد مأمون الرّشيد ، المؤرّخ أبو الفرج الاصبهاني ، حيث قال :

« و اختلف في أمر وفاته ، و كيف كان سبب السّم الذي سقيه ، فذكر محمد

---

١ - تاريخ الفخري ص ٢١٨ .

بن علي بن حمزة ، أنّ منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبدالله بن بشير : أنّ المأمون أمره أن يطوّل أظفاره ، ففعل ، ثم أخرج اليه شيئاً يشبه التمر الهندي ، و قال له : افركه و اعجنه بيديك جميعاً ، ففعل .

ثم دخل على الرضا عليه السلام ، فقال له : ما خبرك ؟ قال : أرجو أن أكون صالحاً .

فقال له : هل جاءك أحدٌ من المترفقين اليوم ؟ قال : لا ، فغضب و صاح على غلمانه ، و قال له : فخذ ماء الرّمان اليوم فانه ممّا لا يستغنى عنه .

ثم دعا برمّان فأعطاه عبدالله بن بشير و قال له : اعصر ماءه بيدك ، ففعل و سقاه المأمون الرّضا عليه السلام بيده فشربه ، فكان ذلك سبب وفاته ، و لم يلبث الا يومين حتى مات .

قال محمد بن علي بن حمزة ، و يحيى : فبلغني عن أبي الصّلت الهروي : أنه دخل على الرضا عليه السلام بعد ذلك فقال له : يا أبا الصّلت ! قد فعلوها (أي قد سقوني السّم) و جعل يوحّد الله و يمجّده »[1] .

(أقول) لا يضرّ اختلاف وسيلة السّم ، في حقيقة الواقعة ، سواء كان في العنب ، أم في الرمّان ، لاتفاق الخبرين على أنّ المأمون هو الذي باشر قتل الامام الرضا عليه السلام بالسّم ، مع احتمال صدق الخبرين معاً باستعمال الوسيلتين في خلال أيام متقاربة ، لأن يكون الموت حتمياً .

و قال الديار بكري : « و في سنة إحدى و مائتين جعل المأمون ولي عهده من بعده علي بن موسى الرضا العلوي ، و أمر الدولة برمي السواد و لبس الخضرة ، فشقّ هذا على أقاربه و قامت قيامتهم بادخاله في الخلافة الرّضا ، فخلعوا المأمون و بايعوا

---

١ - **مقاتل الطالبيين** ص ٣٧٧ .



عمّه و هو المنصور بن المهدي ، فضعف عن الأمر و قال : بل أنا خليفة المأمون ، فأهملوه و أقاموا أخاه ابراهيم بن المهدي ، و كان أسود ، فبايعوه و جرت لذلك حروب يطول شرحها »[١] .

و قال الحافظ جلال الدين السّيوطي : « فلم يلبث علي الرضا أن مات في سنة (٢٠٣) فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم أنّهم انما نقموا عليه ببيعته لعلي ، و قد مات »[٢] .

قتل المأمون عدّة من العلويّين

انّ الّذين قُتلوا من أُسرة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كثيرون في حكومة المأمون ، علاوة الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، ذكر بعضهم المؤرّخ أبو الفرج الاصبهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين ص ٣٣٩ الى ٣٨١) و هم على ما يلي :

١ ـ علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، قُتل باليمن ، في أيام أبي السرايا .

٢ ـ الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و هو القتيل يوم قنطرة الكوفة .

٣ ـ الحسن بن اسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قتل في وقعة السّوس .

---

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧٣ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ .

٤ ـ محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام ، قتل باليمن .

٥ ـ محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قتل باليمن .

٦ ـ محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و هو ابن الأفطس الذي ذكرنا قتله في أيّام الرّشيد . أما هو فقتله المعتصم بالسّم بايماءٍ من المأمون .

حلم المأمون عمّن يدّعي النبوّة

رجلٌ ادعى الرّسالة

نعم ! هذا هو الخليفة المأمون الرّشيد الذي قتل أخاه ، و وزيره ، و ولي عهده و غيرهم من أهم أصحابه ، و لم يتجاوز عن زلّاتهم المزعومة ، لكنّه أظهر حلمه العجيب ، بل رضاه بجسارة المتنبئين المرتدّين المارقين عن الدّين ، ذكر المؤرّخون بعضاً منهم :

قال المسعوديّ : « ادعىٰ رجل النبوّة بالبصرة أيام المأمون فحُمل اليه موثقاً بالحديد ، فمثل بين يديه .

فقال له : أنت نبيٌّ مرسل ؟

قال : أمّا الساعة فأنا موثق .

قال : ويلك من غرّك ؟ قال : أهكذا تخاطب الأنبياء ؟ أما والله لولا انّي موثق



لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم .

قال له المأمون : و الموثق لا تجاب له دعوةٌ ؟

قال الأنبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها .

فضحك المأمون ، و قال : من قيّدك ؟ قال : هذا الذي بين يديك .

قال : فنحن نطلقك ، و تأمر جبريل أن يدمدمها ، فان أطاعك آمنّا بك و صدّقناك .

فقال : صدق الله اذ يقول : ﴿ **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ [1] ان شئت فافعل .

فأمر باطلاقه ، فلما وجد راحة العافية ، قال : يا جبريل ! ـ و مدّ بها صوته ـ ابعثوا من شئتم ، فليس بيني و بينكم الآن عملٌ ، غيري يملك الأموال و أنا لا شيء معي ، ما يذهب لكم في حاجة الاكشخان ، فأمر باطلاقه و الاحسان اليه » [2] .

المأمون و رجل يدعي انه ابراهيم الخليل

و حدث ثُمامة بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون و قد أتي برجل ادعى أنه إبراهيم الخليل ، فقال له المأمون : ما سمعت بأجرأ على الله من هذا .

قلت : إن رأى أميرالمؤمنين أن يأذن لي في كلامه ، قال : شأنك و إياه .

---

١ – يونس ١٠ : ٨٨ .

٢ – مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٨ .

قلت : يا هذا إنّ إبراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : و ما براهينه ؟

قلت : أُضْرِمَتْ له النار و ألقي فيها فكانت عليه برداً و سلاماً ، فنحن نُضْرِمُ لك ناراً و نطرحك فيها فإن كانت عليك برداً و سلاماً كما كانت عليه آمَنّا بك و صدّقناك .

قال : هات ما هو ألينُ عليّ من هذا .

قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : و ما هي ؟

قلت : ألقى العصا فاذا هي حية تسعى تَلْقَف ما يأفكون ، و ضرب بها البحر فانفلق ، و بياض يده من غير سوء .

قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين عليّ من هذا .

قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : و ما براهينه ؟

قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام في براهين عيسى و قال : جِئْتَ بالطامّةِ الكبرىٰ ، دعني من براهين هذا .

قلت : فلابدّ من براهين ، قال : ما معي من هذا شيء ، و قد قلت لجبريل إنّكم توجهونني الى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها و إلا لم أذهب ، فغضب جبريل عليه السلام عليّ ، و قال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم ، فضحك المأمون و قال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة[1] .

---

١ – المصدر .



موت المأمون الرّشيد

مات المأمون في سنة (٢١٨) في البديدون على عين القشيرة[١] و حمل الى طرسوس[٢] فدفن بها على يسار المسجد ، و هو ابن تسع و أربعين سنة ، فكانت خلافته احدىٰ و عشرين سنة[٣].

قال ابن الأثير : انّ المأمون لمّا حضره الموت قال : ليُنظر ماكنتُ فيه من عزّ الخلافة ، هل أغنىٰ عنّي ذلك شيئاً اذ جاء أمر الله ؟ لا والله ، ولكن أضعف عليّ به الحساب ، فياليت عبدالله بن هارون لم يكن بشراً بل ليته لم يكن خلقاً[٤].

و ذكر أيضاً : أنّه لمّا اشتدّ مرضه ، و حضره الموت ،كان عنده من يلقّنه ، فعرض عليه الشهادة ، و عنده ابن ما سويه الطبيب ، فقال لذلك الرجل : دعه ! فانّه لا يفرّق في هذه الحالة بين ربّه و ماني ، ففتح المأمون عينيه و أراد أن يبطش بـه ، فعجز عن ذلك ، و أراد الكلام ، فعجز عنه أيضاً[٥].

---

١ - لم نعثر عليه في المعجم ، و الموجود القُشُبْرَةُ : بضمّ أوله و ثانيه و سكون الباء الموحّدة و راء ، و هي مدينةٌ في نواحي طليطلة من إقليم شِنْلة بالأندلس ، ينسب اليها أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري القُشُبْري (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٥٣) .

٢ - طَرَسُوسُ : بفتح أوّله و ثانيه ، و ضم سين و سكون واو ، بوزن قَرَبُوس : و هي مدينةٌ بثغور الشّام بين انطاكية و حلب (معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨) .

٣ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤١٦ .

٤ - **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٤٢٩ .

٥ - المصدر ص ٤٣١ .



﴿ ٨ ﴾

﴿ المعتصم بالله بن هارون الرّشيد ﴾

و هو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرّشيد ، جلس على سرير الخلافة يوم موت المأمون .

قال الديار بكري : « انه كان عارياً عن العلم أُميّاً ، روى الصّولي عن محمد بن سعد عن ابراهيم بن محمد الهاشمي قال : كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلّم معه ، فمات الغلام . فقال الرّشيد : يا محمد ! مات غلامك . قال : نعم يا سيدي ! استراح .

قال : و انّ الكتاب ليبلغ منك مثل هذا ، دعوه لا تُعلّموه .

بويع بالخلافة بعد أخيه المأمون بعهد منه اليه لمّا احتضر في رابع يوم من شهر رجب سنة (٢١٨) . و كان أبوه قد أخرجه من الخلافة و عهد الى الأمين و المؤتمن [١] ».

و كان المعتصم يقال له « المثمّن » أيضاً لأنه :

ثامن خلفاء بني العبّاس .

و الثّامن من ولد العبّاس .

و ثامن أولاد الرّشيد .

و ملك سنة ثمان عشرة .

---

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧٥ .

و ملك ثماني سنين و ثمانية أشهر و ثمانية أيّام .

و مولده سنة ثمان و سبعين .

و عاش ثماني و أربعين سنة .

و طالعه العقرب ، هو ثامن برجٍ .

و فتح ثمانية فتوحٍ .

و قتل ثمانية أعداءٍ .

و خلف ثمانية أولادٍ ذكورٍ .

و من الإناث كذلك .

و مات لثمان بقين من ربيع الأول[1] .

قال الحافظ السّيوطي : انه اذا غضب لا يبالي من قتل . وكان أول من ثرا الطعام[2] وكثّره حتى بلغ ألف دينار فى اليوم . وكان من أشدّ النّاس بطشاً ،كان يجعل زند الرّجل بين أصبعيه فيكسره .

و هو أوّل الخلفاء أدخل الأتراك الديوان ، وكان يتشبّه بملوك الأعاجم و يمشي مشيهم ، و بلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً .

و هجاه دعبل بهذه الأبيات :

ملوك بني العباس في الكتب سبعةٌ و لم يأتنا في ثامنٍ منهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ غداة ثووا فيها و ثامنهم كلب
و اني لأُزهي كلبهم عنك رغبة لأنك ذو ذنب ، و ليس له ذنب

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٥٥ و **تاريخ الخميس** ج ٢ ص ٣٧٥ .

٢ - ثرا الطعام : أي كثّره، و منه ثرا الله القوم، أي كثّرهم.



لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم وصيفٌ وأشناسٌ [١] وقدعظم الخطب [٢]

حبّه الغلمان

قال الحافظ السّيوطيُّ : « أخرج الصّولي عن محمد بن عمرو الرّومي قال : كان للمعتصم غلامٌ يقال له عجيب ، لم ير النّاس مثله قطّ ، وكان مشغوفاً به ، فعمل فيه أبياتاً ثم دعاني و قال : قد علمت أني دون اخوتي في الأدب لحبّ أميرالمؤمنين بي ، و ميلي الى اللعب و أنا حدث ، فلم أنل ما نالوا ، و قد عملت في عجيب أبياتاً ، فان كانت حسنةً ، و الّا فاصدقني حتى أكتمها ، ثم أنشد :

لقد رأيت عجيباً يحكي الغزال الرّبيبا
الوجه منه كبدرٍ و القدّ يحكي القضيبا
و ان تناول سيفاً رأيت ليثاً حريبا
و ان رمىٰ بسهامٍ كان المُجيدَ المصيبا
طبيب مابي من الحب فلا عدمت الطبيبا
انّي هويت عجيباً هوىً أراه عجيبا

فحلفت له بأيمان البيعة أنه شعرٌ مليحٌ من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء ، فطابت نفسه ، و أمر لي بخمسين ألف درهم » [٣] .

---

١ – الوصيف : الغلام دون المراهق ، و الأشناس : ضابطٌ في جند الأتراك .

٢ – **تاريخ الخلفاء** ص ٢٥٥ .

٣ – **تاريخ الخلفاء** ص ٢٥٨ .



و قال : « تحوّل المعتصم من بغداد و بنىٰ (سرّ من رأى)[1] و ذلك أنّه اعتنى باقتناء الترك ، فبعث الى سمرقند و فرغانة و النواحي في شرائهم ، بذل فيهم الأموال ، و ألبسهم أنواع الدّيباج ، و مناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد و يؤذون الناس ، و ضاقت بهم البلد ، فاجتمع اليه أهل بغداد و قالوا : ان لم تخرج عنّا بجندك حاربناك ، و قال : وكيف تحاربونني ؟ قال : بسهام الأسحار . قال : لا طاقة لي بذلك ، فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى و تحوّله اليها »[2] .

الظلم و الجور و سفك الدماء

قال كمال الدين محمد بن موسىٰ الدّميري : «كان فيه ظلمٌ و عنفٌ و بذلك أرهب الأعداء »[3] .

قتل العبّاس بن المأمون

انّ المأمون قد عهد الى أخيه المعتصم ، دون ابنه العباس ، لكون المعتصم أقرب الى هارون الرّشيد ، لأنه ابنه ، و رجاء أن يعهد الى ابنه العباس بعده ، وكذلك تنازل العباس أيضاً ايثاراً له عليه .

---

١ - مدينةٌ في العراق بين بغداد و تكريت على ضفّة دجلة و يقال لها اليوم « سامرّاء » .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٥٦ .

٣ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٥ مادّة الأوز .

قال ابن الأثير : « و لمّا بويع للمعتصم شغب الجند ، و نادوا باسم العبّاس بن المأمون ، فأرسل اليه المعتصم ، فأحضره ، فبايعه ، ثم خرج الى الجند ، فقال : ما هذا الحُبّ البارد ؟ قد بايعت عمّي . فسكتوا »[1] .

لكنّ المعتصم لم يتأثر من ايثار أخيه و لا ابنه العباس ، و في مقام مجازاة احسانهما ، لم يكتف بحرمان ابن أخيه فحسب ، بل قتله بطرز فجيع جديد ، لئلا يزاحمه فيما بعد .

قال ابن الأثير : « و تتبّع المعتصم أُولئك القوّاد (الذين نصروا العباس) و كانوا يحملون في الطريق على بغال بأكف بلا وطاء ، و أُخذ أيضاً الشاه بن سهل ، و هو من أهل خراسان ، فقال له المعتصم : يابن الزانية ! أحسنت اليك فلم تشكر !

فقال : ابن الزّانية هذا ـ و أومأ الى العبّاس و كان حاضراً ـ لو تركني ماكنت السّاعة تقدر أن تجلس هذا المجلس ، و تقول لي هذا الكلام !

فأمر به فضُربت عنقه . و دفع العبّاس الى الأفشين[2] .

فلمّا نزل (مَنْبج) طلب العباس بن المأمون الطعام ، فقدّم اليه طعامٌ كثيرٌ ، فأكل و منع الماء ، و أُدرج في مسح ، فمات بـ(مَنْبج) .

أما عمر الفرغاني (ناصر آخر للعباس من الجند) فلمّا وصل المعتصم الى نصيبين حفر له بئراً ، و ألقاه فيها ، و طمّها عليه .

و أما عجيف (مساند آخر للعبّاس) فمات بباعيناثا من بلد الموصل، و قيل بل أُطعم طعاماً كثيراً و منع الماء حتى مات .

---

١ – **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٤٣٩ .

٢ – قائد جيش المعتصم .

و تتبع جميعهم ، فلم يمض الّا أيّامٌ قلائل حتى ماتوا جميعاً ، و وصل المعتصم الى سامرّاء سالماً ، و حبس أولاد المأمون من (سندس) فحبسهم في داره حتى ماتوا بعدُ»[١] .

قتل بابك بطرز موحشٍ عجيب

قال المسعوديُّ : « و اشتدّ أمر بابك ببلاد الرّان و البيلقان ، ففرّق الجيوش ، و هزم العساكر ، و قتل الولاة ، و أفنى الناس ، فسيّر اليه المعتصم الجيوش و عليها الأفشين ، و كثرت حروبه و اتصلت (ثم ذكر غلبة الأفشين على بابك و القاء القبض عليه : ثم قال) فسار الأفشين ببابك ، و تنقل بالعساكر ، حتى أتى سُرّ مَنْ رأى ، و ذلك سنة ثلاث و عشرين و مائتين ، و تلقّى الأفشين هارون بن المعتصم و أهل بيت الخلافة و رجال الدولة ، و نزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، و بعث إليه المعتصم بالفيل الأشْهَب ، و كان قد حمله بعض ملوك الهند إلى المأمون ، و كان فيلاً عظيما قد جلّل بالديباج الأحمر و الأخضر و أنواع الحرير الملوّن ، و معه ناقة عظيمة بُخْتية قد جلّلت بما وصفنا .

و حمل إلى الأفشين دُرَّاعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رُصّعَ صدرها بأنواع الياقوت و الجوهر ، و دُرّاعة دونها ، و قلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، و قد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ و الجوهر .

و اُلبس بابك الدُرّاعة الجليلة ، و اُلبس أخوه الأُخرى ، و جعلت القلنسوة على

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٤٩٢ .

رأس بابك ، و على رأس أخيه نحوها . و قُدِّمَ اليه الفيل ، و إلى أخيه الناقة .

فلمّا رأى صورة الفيل استعظمه و قال : ما هذه الدابّة العظيمة ؟ و استحسن الدُرّاعة ، و قال : هذه كرامة ملك عظيم جليل ، إلى أسير فقد العزّ ذليل ، أخطأته الأقدار ، و زالت عنه الجدود ، و توَرَّطته المحن ، إنها لفرحة تقتضي ترحة .

و ضرب له المصاف صفين في الخيل و الرجال و السّلاح و الحديد و الرايات و البنود من القاطول إلى سامرا مدد واحد متصل غير منفصل ، و بابك على الفيل و أخوه وراءه على الناقة ، و الفيل يخطر بين الصفين به ، و بابك ينظر الى ذات اليمين و ذات الشمال ، و يميّز الرجال و العدد ، و يظهر الأسف و الحنين على ما فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، و ذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث و عشرين و مائتين ، و لم يرَ الناس مثل ذلك اليوم ، و لا مثل تلك الزينة .

و دخل الأفشين على المعتصم فرفع منزلته ، و أعلى مكانه ، و أُتي ببابك فطوّف به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب ، و كرّرها عليه مراراً ، و بابك ساكت ، فمال إليه الأفشين و قال : الويل لك ! أميرالمؤمنين يخاطبك و أنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، و أمر بقطع يديه و رجليه .

(قال المسعودي) : و رأيت في كتاب أخبار بغداد أنه لمّا وقف بابك بين يديه لم يُكلّمه مَلياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك و غلامك ، و كان اسم بابك الحسن ، و اسم أخيه عبدالله .

قال : جَرِّدوه ، فسلبه الخدام ما عليه من الزينة ، و قطعت يمينه ، و ضرب بها وجهه ، و فعل مثل ذلك بيساره ، و ثُلثّ برجليه ، و هو يتمرّغ في النطع في دمه ، و

قدكان تكلّم بكلام كثير يرغّب في أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ، و أقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، و أمر المعتصم السّياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ، ففعل .

ثم أمر بحزّ لسانه و صلب أطرافه مع جسده ، فصلب ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ، و نصب على الجسر ، و حمل إلى خراسان بعد ذلك ، يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لماكان في نفوس الناس من استفحال أمره ، و عظم شأنه ، وكثرة جنوده ، و إشرافه على إزالة مُلكٍ و قلب ملةٍ و تبديلها .

و حمل أخوه عبدالله مع الرأس إلى مدينة السلام ، ففعل به إسحاق بن إبراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، و صلبت جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامراء ، و موضعه مشهورٌ الى هذه الغاية يعرف بخشبة بابك »[1] .

(اقول) هب أنّ بابك و أخاه كانا مرتدّين كافرين ظالمين قاتلين مفسدين في الأرض ، فمع ذلك كلّه هل كانا مستحقّين لهذا العذاب الأليم ؟ ثم ماذا كان من المصلحة في اكرامهما أولاً ، و اجلاسهما على الفيلة و النّاقة و ترصيعهما بأنواع الحلل و الجواهر ؟ و بعد ذلك ألم يبلغ المعتصم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اياكم و المثلة ولو بالكلب العقور ؟

عاقبة الأفشين

(ثم اعلم) ماذا صارت عاقبة الأفشين القائد العام لعسكر المعتصم الذي فتح له

---

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٩ الى ٤٧١ .

البلاد ، و أذلّ له العباد ، و من جملتهم بابك القهرمان الصلب ، فانه لولا الأفشين لما قدر على بابك ، لكن مع هذا كلّه نال الأفشين جزاءه من يد المعتصم كمثل ما ناله فضل بن سهل ، و جعفر البرمكي ، و أبوأيوب المورياني ، و أبو مسلم الخراساني من يد الخلفاء السابقين .

قال ابن الأثير : « و في هذه السنة (٢٢٥) غضب المعتصم على الأفشين و حبسه (الى أن قال) وكان قد أنفذ الى المعتصم يطلب أن ينفذ اليه من يثق به ، و أنفذ اليه حمدون بن اسماعيل ، فأخذ يعتذر عمّا قيل فيه ، و قال : قل لأميرالمؤمنين انّما مثلي و مثلك كرجلٍ ربّى عجلاً حتى أسمنه وكبُر وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه ، فعرّضوا بذبحه ، فلم يجبهم ، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا : لمَ تربّي هذا الأسد . فانّه اذاكبر رجع الى جنسه ! فقال لهم : انما هو عجل ، فقالوا : هذا أسدٌ ، فسل من شئت . و تقدّموا الى جميع من يعرفونه ، و قالوا لهم : ان سألكم عن العِجل فقولوا له : إنّه أسدٌ ، فكلّما سأل انساناً قال : هو سبعٌ ، فأمر بالعجل فذبح ، ولكنّي أنا ذلك العجل ،كيف أقدر أن أكون أسداً ؟ الله ! الله ! في أمري !! .

قال حمدون : فقمت عنه ، و بين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسله المعتصم مع ابنه الواثق ، و هو على حاله ، فلم ألبث الا قليلاً حتى قيل انه يموت ، أو قد مات ، فحمل الى دار ايتاخ فمات بها ، و أخرجوه ، و صلبوه على باب العامّة ليراه النّاس ، ثم أُلقي و أُحرق بالنّار »[1] .

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٦ ص ٥١٧ _ ٥١٨ .

مصائب أحمد بن حنبل صاحب المسند

قال ابن الأثير : « و فيها (أي سنة ٢١٩) أحضر المعتصم أحمد بن حنبل (امام أهل السنة و صاحب المسند المشهور) و امتحنه بالقرآن ، فلم يجب الى القول بخلقه ، فأمر به فجلد جلداً عظيماً حتى غاب عقله ، و تقطّع جلده ، و حُبس مقيّداً »[1] .

قال الدّميريُّ : « انّه (أي المأمون) طلب الإمام أحمد بن حنبل و جماعة فحمل إليه الإمام أحمد ، فلمّا كان ببعض الطريق توفي المأمون و عهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة و أوصاه بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ، و استمرّ الإمام أحمد محبوساً إلى أن بويع المعتصم ، فأحضر الإمام أحمد إلى بغداد و عقد له مجلساً للمناظرة و فيه عبدالرحمن بن إسحاق و القاضي أحمد بن أبى دؤاد و غيرهما فناظروه ثلاثة أيام ، و لم يزل معهم فى جدال إلى اليوم الرابع ، فأمر بضربه بالسياط ، و لم يزل عن الصراط إلى أن أُغمي عليه ، و نخسه عجيف بالسيف ، و رمي عليه بارية ، و ديس عليه ، ثم حمل و صار إلى منزله .

و كانت مدة مكثه فى السجن ثمانية و عشرين شهرا ، و لم يزل بعد ذلك يحضر الجمعة و الجماعات و يفتي و يحدّث إلى أن مات المعتصم و ولي الواثق فأظهر ما أظهره المأمون و المعتصم من المحنة ، و قال للإمام أحمد : لا تجمعن إليك أحداً و لا تساكن في بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد مختفياً لا يخرج إلى صلاة و لا غيرها حتى مات الواثق . و ولي المتوكل فرفع المحنة و أمر بإحضار الإمام أحمد و إكرامه و إعزازه و أطلق له مالاً كثيراً فلم يقبله و فرّقه على الفقراء و المساكين ، و

---

١ - المصدر ص ٤٤٥ .

أجرى المتوكل على أهله و ولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ، فلم يرض الإمام أحمد بذلك .

و ذكر العراقي في [مجمع الأخبار] و غيره : أنه نوظر في الأيام الثلاثة ، و أنّ المعتصم كان يخلو به و يقول له : ويحك يا أحمد ! أنا والله شفيق ، و إنّي لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون : يعني الواثق فأجبني ، فوالله لئن أجبتني لأطلقنّ غلّك بيدي و لأطأنّ عتبتك و لأركبنّ إليك بجندي .

فيقول : يا أميرالمؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ ، فإذا أطال به المجلس ضجر و قام وردّ أحمد في الموضع الذى كان فيه ، و تتردّد إليه رسل المعتصم يقولون : يا أحمد ! أميرالمؤمنين يقول لك ما تقول في القرآن ؟ فيردّعليهم كما ردّ أولاً ، فلمّا كان في اليوم الثالث طلب للمناظرة فأُدخل على المعتصم و عنده محمد بن عبدالملك الزيّات و القاضي أحمد بن أبي داوُد .

فقال المعتصم : كلّموه و ناظروه ، فلم يزالوا معه في جدال إلى أن قالوا : يا أميرالمؤمنين اقتله و دمه في أعناقنا ، فرفع المعتصم يده و لطم بها وجه الإمام أحمد ، فخرّ مغشيّاً عليه فتمعّرت وجوه قواد خراسان و كان عمّ أحمد فيهم ، فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء و رشّ على وجهه ، فلمّا أفاق من غشيته رفع رأسه إلى عمّه و قال : يا عم لعلّ هذا الماء الذى رشّ على وجهي غصب عليه صاحبه .

فقال المعتصم : ويحكم أما ترون ما يتهجّم به عليّ هذا ، و قرابتي من رسول الله ﷺ لا رفعتُ السّوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق ، ثم التفت الى أحمد و أعاد عليه القول ، فردّ أحمد كالأوّل .

فلم يزل كذلك حتى ضجر ، و طال المجلس فعند ذلك قال : عليك لعنة الله ،

لقد كنتُ طمعتُ فيك قبل هذا ، خذوه اخلعوه اسحبوه ، فأُخذ و سُحب ثم خُلع .

قال الإمام أحمد : وكان عندي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صررتها فى كمّ قميصي ، فجاء بعض القوم إلى قميصي ليحرقه فقال له المعتصم : لا تحرقوه و انزعوه عنه ، و إنما دریء عن القميص الحرق ببركة شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم قال المعتصم للجلّادين : تقدّموا ، و نظر إلى السياط فقال لأحدهم : أدمه و أوجع قطع الله يدك ، فتقدّم و ضربه سوطين ثم تنحّىٰ .

ثم قال لآخر أدمه و شدّ قطع الله يدك ، فتقدّم و ضربه سوطين ثم تنحّىٰ ، و لم يزل يدعو رجلاً رجلاً فيضربه كل واحد سوطين و ينتحي .

ثم قام المعتصم و جاءهم و هم محدقون به و قال : يا أحمد ! تقتل نفسك أجبني حتى أطلق غلّك بيدي ، و جعل بعضهم يقول له : يا أحمد ! إمامك على رأسك قائم فأجبه ، و عجيف ينخسه بسيفه و يقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ و بعضهم يقول يا أميرالمؤمنين اجعل دمه فى عنقي .

فرجع المعتصم إلى الكرسي ثم قال للجلّاد : أدمه قطع الله يدك ، ثم جاء المعتصم إليه ثانياً و قال : يا أحمد أجبني ، فقال كالأول ، فرجع المعتصم و جلس على الكرسي ثم قال للجلاّد : شد عليه قطع الله يدك . قال أحمد : فذهب عقلي فما عقلت إلا و أنا في حجرة مطلق عني ، وكل ذلك و هو صائم لم يفطر .

ثم وجّه المعتصم رجلاً ينظر الضرب و الجراحات و يعالجه فنظر إليه و قال : والله لقد رأيت من الضرب ألف سوط ، فما رأيت أشدّ ضرباً من هذا ، ثم عالجه و بقي أثر الضرب بيّناً في ظهره الى أن مات »[١] .

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٢ الى ١١٤ .

قتل كثير من العلماء

قال السّيوطي : « بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة (٢١٨) فسلك ماكان المأمون عليه و ختم به عمره من امتحان النّاس بخلق القرآن ، فكتب الى البلاد بذلك ، و أمر المعلّمين أن يعلّموا الصبيان ذلك ، و قاسى النّاس منه مشقّة في ذلك ، و قتل عليه خلقاً من العلماء »[١] .

شهادة الامام محمد الجواد عليه السلام

كما أنّ المأمون قتل الامام الرضا عليه السلام كذلك أخوه المعتصم قتل ابن الرضا الامام محمد الجواد عليه السلام بواسطة زوجته أُمّ الفضل بنت المأمون فقتلته بالسمّ . صرّح به من علماء الشيعة ابن شهر آشوب في المناقب (ج ٣ ص ٤٨٧) و جدّنا السيد نعمة الله الجزائرى رحمه الله في الأنوار النعمانية (ج ١ ص ٣٨٣) و من علماء العامّة : ملّا مبين الهندي في وسيلة النجاة (ص ٢٩٧) .

مقتل عبدالله بن الحسين

قال أبو الفرج : انّ عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب امتنع من لبس السواد و خرقه لمّا طولب بلبسه ، فحبسه

---

١ - تاريخ الخفاء ص ٢٥٦ .



(المعتصم) بسرمن‌رأى حتى مات في حبسه ، رضوان الله عليه[1] .

موت أبي دُلَف

قال المسعودي : « و في سنة ست و عشرين و مائتين مات أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجليّ ، و كان سيد أهله و رئيس عشيرته ، من عجل و غيرها من ربيعة . و كان شاعراً مُجيداً و شجاعاً بطلاً ، مغنّياً مصيباً ، و هو القائل :

يوماً تراني على طِمِرٍّ ترهبني الأجْبُلُ الرواسي
و يوم لهو أحثُّ كاساً و خلف أُذني قضيب آس

و ذكر أن أبا دُلَف طعن فارساً ، فنفذت الطعنة إلى أن وصل السنان إلى فارس آخر كان من خلفه فقتلهما ، ففي ذلك يقول بكر بن النطاح من كلمة له :

قالوا و ينظم فارسين بطعنة يوم الهياج و لا نراه كليلا
لا تعجبوا فلو أنّ طول قناته ميل إذاً نظم الفوارس ميلا

و ذكر عيسى بن أبي دُلَف أنّ أخاه دُلَف ـ و به كان يكنى أبوه أبا دُلَف ـ كان ينتقص علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، و يضع منه و من شيعته ، و ينسبهم إلى الجهل ، و أنه قال يوماً ، و هو في مجلس أبيه و لم يكن أبوه حاضراً : إنهم يزعمون أن لا ينتقص عليّاً أحد إلا كان لغير رشدة ، و أنتم تعلمون غيرة الأمير ، يعني أباه ، و أنه لا يتهيأ الطعن على أحد من حرمه ، و أنا أُبغض عليّاً .

قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دُلَف ، فلمّا رأيناه قمنا له ، فقال : قد

---

١ – مقاتل الطالبيين ص ٣٩٣ .

سمعت ما قال دُلَف ، و الحديث لا يكذب ، و الخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف ، هو والله لزَنْيَةٍ و حَيْضَة ، و ذلك أني كنت عليلاً فبعثت إليَّ أُختي جارية لها ،كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً فعلقت به ، فلمّا ظهر حملها وهبتها لي »[١] .

موت المعتصم

حدّث السيوطيُّ : عن أحمد اليزيديّ قال : « لمّا فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان و جلس فيه دخل عليه النّاس ، فعمل اسحاق الموصلي (المغنيّ) قصيدة فيه ما سمع أحد بمثلها في حسنها الا أنّه افتتحها بقوله :

يا دارُ غـيّركِ البـلىٰ و مـحاكِ　　　يا ليت شعري ما الذي دهاك

فتطيّر المعتصم ، و تطيّر الناس ، و تغامزوا و تعجّبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه و طول خدمته للملوك . و خرب المعتصم القصر بعد ذلك »[٢] .

و قال : « مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة (٢٢٧) و يقال : انه قال في مرض موته : ﴿ **حتى اذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فاذاهم مبلسون** ﴾[٣] .

---

١ - **مروج الذهب** ج ٣ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٥٧ .

٣ - **الأنعام** ٦ : ٤٤ .

و لما احتضر جعل يقول : ذهبت الحيلة فليست حيلة .
و قيل جعل يقول : أُوخذ من بين هذا الخلق »[١] .

﴿ ٩ ﴾

﴿ الواثق بالله هارون بن المعتصم ﴾

و هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد الملقّب بالواثق بالله .

قال السيّوطي : « ولي الخلافة بعهدٍ من أبيه (المعتصم) في تاسع عشر ربيع الأول سنة (٢٢٧) و في سنة (٢٢٨) استخلف على السلطنة أشناس التركي و ألبسه وُشاحين[٢] مجوهرين ، و تاجاً مجوهراً ، و أظن أنّه أوّل خليفة استخلف سلطاناً ، فانّ الترك انّما كثروا في أيّام أبيه (المعتصم)[٣] .

قتل أحمد الخزاعي

قال الحافظ السيوطيُّ : و في هذه السنة (أي ٢٢٨) قتل أحمد بن نضر الخزاعي ، و كان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ،

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ .
٢ - الوُشاح : بضمّ الواو : قلادةٌ من نسيج عريض يرصّع بالجوهر تشدّها المرأة بين عاتقها وكشحها .
٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٠ .

أحضره من بغداد الى سامرّاء و مقيّداً و سأله عن القرآن ؟ فقال : ليس بمخلوق ؟ و عن الرؤية في القيامة ؟ فقال : كذا جاءت الرواية و روى له الحديث .

فقال الواثق له : تكذب ، فقال للواثق : بل تكذب أنت ، فقال : ويحك يُرى كما يُرى المحدود و المتجسم و يحويه المكان و يحصره الناظر ؟ انما كفرت بربّ وصفته ثم قال للفقهاء : ماتقولون فيه ؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب .

فدعا بالسّيف فقال : إذا قمت عليه فلا يقومن أحدٌ معي ، فانّي احتسب خُطاي الى هذا الكافر الذي يعبد ربّاً لا نعبده و لا نعرفه بالصفة التى وصفه بها .

ثم أمر بالنطع فأُجلس عليه و هو مقيّد فمشى اليه فضرب عنقه و أمر بحمل رأسه الى بغداد ، فصلب بها ، و صلبت جثته فى سر من رأى و استقرّ ذلك ست سنين الى أن ولي المتوكل فأنزله و دفنه .

و لمّا صُلب كتب ورقة و علّقت فى أُذنه ، فيها : هذا رأس أحمد بن نضر بن مالك دعاه عبدالله الامام هارون الى القول بخلق القرآن و نفي التشبيه فأبىٰ الا المعاندة فعجّله الله الى ناره . و وكلّ بالرأس من يحفظه و يصرفه عن القبلة برُمح »[١] .

حكى الدميري عن الحافظ أبي نعيم في حليته ، قال :

نهاية مصيبة خلق القرآن

« قال الحافظ أبوبكر الآجريُّ : بلغني عن المهتدي أنه قال : ما قطع أبي يعني

---

١ - المصدر .

الواثق ، إلا شيخٌ جيء به من المصيصة ، فمكث في السجن مدةً ، ثم إنّ أبي ذكره يوماً فقال : عليّ بالشيخ ، فأُتي به مقيّداً . فلمّا وقف بين يديه سلّم عليه ، فلم يردّ عليه السلام ، فقال له الشيخ : يا أميرالمؤمنين ! ما استعملت معي أدب الله عزّ و جل ، و لا أدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله تعالى ﴿ **و إذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها** ﴾[١] و أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بردّ السلام .

فقال له أبي : و عليك السّلام ! ثم قال لابن أبي داوّد : سله ، فقال الشيخ : يا أميرالمؤمنين ! أنا محبوسٌ مقيّدٌ أُصلّي فى الحبس ، و أتيمّم للصلاة فمر لي بحلّ القيد و بالوضوء .

فأمر بحلّه و أمر بماء فتوضّأ و صلّى . ثم قال الواثق لابن أبي داؤد : سله .

فقال الشيخ : المسألة لي فمره أن يجيبني .

فقال : سل ، فأقبل الشيخ على ابن أبي داؤد : فقال أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس اليه (أي خلق القرآن) أشيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه أبوبكر بعده ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم ؟

قال : لا .

---

١ - النساء ٤ : ٨٦ .

قال : فشيءٌ دعا إليه علي ابن أبي طالب بعدهم ؟

قال : لا .

قال الشيخ : فشيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و لا أبوبكر ، و لا عمر ، و لا عثمان ، ولا عليٌ عليه السلام ، و تدعو أنت الناس إليه ، ليس يخلو من أن تقول : علموه أو جهلوه ، فإن قلت علموه و سكتوا عنه ، و سعني و إياك من السكوت ما وسع القوم .

و إن قلت : جهلوه و علمته أنت ، فيالكع ابن لكع ! يجهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الخلفاء الراشدون رضى الله تعالى عنهم شيئاً و تعلمه أنت و أصحابك ؟

قال المهتدي : فرأيت أبي وثب قائماً و دخل الحجرة و جعل ثوبه في فيه و هو يضحك ، ثم جعل يقول : صدق ليس يخلو من أن يقول : علموه ، أو جهلوه ، فإن قلنا علموه و سكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم ، و إن قلنا : جهلوه ، و علمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً و أصحابه و تعلمه أنت و أصحابك ؟

ثم قال : يا أحمد ، فقلت : لبيك ، قال : لست أعنيك إنما أعني ابن أبي داؤد ، فوثب إليه فقال : أعط هذا الشيخ نفقةً و أخرجه عن بلدنا »[١] .

و هكذا تخلّص الناس من مصيبة خلق القرآن ، و الّا كانت جارية الى هذا الزّمان .

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٧ مادّة الإوز .



الواثق و الغناء

قال الحافظ السّيوطيُّ : «كان الواثق أعلم النّاس بكلّ شيء ، و كان شاعراً ، و كان أعلم الخلفاء بالغناء ، و له أصوات و ألحان عملها نحو مائة صوت ، و كان حاذقاً بضرب الأعواد »[١] .

الواثق و حبّه الغلمان

قال الحافظ السّيوطيُّ : « و كان (الواثق) يحبّ خادماً أُهدي له من مصر ، فأغضبه الواثق يوماً ، ثم انّه سمعه يقول لبعض الخدم : والله انّه ليروم أن أُكلّمه بالأمس فما أفعل ، فقال الواثق :

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخراً ما أنت الا مليك جارَ اذ قَدَرا

لولا الهوىٰ لتجارينا على قدرٍ و ان أُفِقْ منه يوماً ما فسوف ترىٰ[٢]

و من شعر الواثق في خادمه :

مُهَجٌ يملك المُهَجْ[٣] بسَجي اللحظ و الدَّعَجْ[٤]

---

١ – تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .

٢ – المصدر .

٣ – مُهَج : الأوّل : اسم غلام الواثق ، و الثاني جمع مُهْجَة : الرّوح و النفس .

٤ – سَجْيٌ : السكون و الصحيح سَجْوٌ و سَجْوَاءٌ ، و منه امرأةٌ سجواء الطرف ، دَعَجٌ : محرّكة : سواد العين مع سعتها .



حسـن القـدّ مخطِـفٌ ذو دلالٍ ذو غَـنَجْ[1]
ليس لـلعين ان بـدا عـنه بـاللّحظ منعرَجْ[2]

اخذ المال قهراً

قال ابن الأثير : « في هذه السنة (٢٢٩) حبس الواثق الكُتّاب و ألزمهم أموالاً عظيمة ، و أخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، و من سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربع مائة ألف دينار ، و من الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، و من ابراهيم بن رياح و كتّابه مائة ألف دينار ، و من أحمد بن الخصب و كتّابه ألف ألف دينار ، و من نجاح ستين ألف دينار ، و من أبي الوزير مائة ألف و أربعين ألف دينار »[3].

و لم يذكر ابن الأثير أنه أخذ منهم هذه الأموال الهائلة بعد المحاجّة أو اقامة البيّنة عليهم .

موت الواثق

قال الدّميريُّ : «كان الواثق مؤثرا لكثرة الجماع ، فقال لطبيبه : اصنع لي دواء

١ - غَنَجٌ : دلال ، و الصحيح غُنْجٌ أو غُنَاجٌ .
٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .
٣ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٠ .

للباه ، فقال له الطبيب : يا أميرالمؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع و اتق الله فى نفسك .

فقال : لابد من ذلك ، فأمره الطبيب أن يأخذ لحم سبع فيغلى عليه سبع غليات بخلّ خمر ، و يتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم و لا يجاوز هذا القدر ، فأمر بذبح سبع ، فذبح و طبخ له من لحمه و صار يتنقّل منه على شرابه فلم يكن إلا قليلاً حتى استسقى ، فأجمع رأي الأطباء على أن لا دواء له إلا أن يبزل بطنه ، ثم يترك فى تنور قد سجر بحطب زيتون حتى يصير جمراً ثم يجلس فيه ، ففعل ذلك و منع الماء ثلاث ساعات ، فجعل يستغيث و يطلب الماء فلم يسقوه ، فصار فى جسده نفّاطات مثل البطيخ ، ثم أخرجوه فجعل يقول : ردّوني فى التنور و إلا متّ ، فردّوه فسكن صياحه ، ثم انفجرت النفاطات و قطر منها ماء ، فأُخرج من التنور و قد اسودّ جسده و مات بعد ساعة ، و لما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس تشترك لا سوقة منهم يبقى و لا ملك
ما ضر أهل قليل فى مقابرهم و ليس يغني عن الملاك ما ملكوا

ثم أُمر بالبسط فطويت و لما مات سجي بثوب ، و اشتغل الناس بالبيعة للمتوكل ، فجاء حرذون[1] من البستان فاستلّ عينيه و ذهب بهما ، و لم يعلموا به حتى غسلوه و هذا من أغرب ما سمع .

و حكي أنّ ذلك له سببٌ ، و هو أنّ الواثق[2] قال :كنت أُمرّض الواثق إذ لحقته غشية فما شككت أنه قد مات ، فقال بعضنا لبعض : تقدّموا ، فما جسر أحد منا ، فتقدّمت أنا فلمّا أردت أن أضع إصبعى على أنفه فتح عينيه فكدت أن أموت فزعاً ،

---

١ - دويبةٌ شبه الوزغ .

٢ - هكذا في المصدر ، و الظاهر هنا تصحيفٌ و الصحيح محمد بن الواثق .

و تأخرت إلى خلفي فتعلقت قبيعة السيف بالعتبة و عثرت فاندقّ السيف فكاد أن يدخل في لحمي ، فخرجت و طلبت سيفاً غيره ثم رجعت فوقفت عنده فوجدته مات بلا شك ، فشددت لحييه و غمضته و سجّيته و أخذ الفراشون تلك الفرش الثمينة ليردّوها إلى الخزانة و ترك وحده فى البيت ، فقال لي أحمد بن أبى داؤد القاضي ، إنا نشتغل بعقد البيعة فاحفظه حتى يدفن ، فرجعت و جلست عند الباب فسمعت بعد ساعة حركة أفزعتني ، فدخلت فإذا بحرذون قد جاء فاستلّ عينيه فأكلهما فقلت : لا إله إلا الله هذه العين ! التى فتحها من ساعة فعثرت و اندقّ سيفي هيبة لها .

توفي الواثق (بسر من رأى) فى رجب سنة (٢٣٢) و هو ابن ست و ثلاثين سنة و أشهر ، و كانت خلافته خمس سنين و تسعة أشهر »[١] .

﴿ ١٠ ﴾

﴿ المتوكّل على الله بن المعتصم ﴾

و هو أبوالفضل جعفر بن المعتصم بن هارون الرّشيد ، المتوكّل على الله .

قال ابن الأثير : « و سبب خلافته أنّه لمّا مات الواثق حضر الدّار أحمد بن أبي داؤد ، و ايتاخ و وصيف و ابن الزيّات (و غيرهم من الأتراك) و عزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ، و هو غلامٌ أمرد ، قصيرٌ ، فألبسوه درّاعةً سوداء و قلنسوة ،

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٨ .



فاذا هو قصير ، فقال وصيف : أما تتقون الله ؟ تولّون هذا الخلافة ! فتناظروا فيمن تولّونه . فذكروا عدّةً ، ثم أُحضر المتوكل ، فلمّا حضر ألبسه أحمد بن أبى داؤد الطويلة ، و عمّمه و قبّل بين عينيه ، و قال : السّلام عليك يا أميرالمؤمنين و رحمة الله و بركاته »[١] .

مجازاة الاحسان

قد علمت أنّ الذي جعل المتوكل خليفةً للمسلمين ، و سلّم عليه بإمرة المؤمنين ، هو أحمد بن أبي داؤد القاضي المشهور ، فاقرأ الآن ما صارت عاقبته .

قال ابن الأثير : « و فيها (أي في سنة ٢٣٧) غضب المتوكّل على أحمد بن أبي داؤد . و قبض ضياعه و أملاكه و حبس ابنه أبا الوليد ، و سائر أولاده ، فحمل أبو الوليد مائة ألف و عشرين ألف دينار ، و جواهر قيمتها عشرون ألف دينار ، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم ، و أشهد عليهم جميعاً ببيع أملاكهم .

وكان أبوهم أحمد بن أبي داؤد قد فلج[٢] و أحضر المتوكل يحيىٰ بن أكثم[٣] من بغداد الى سامرّا ، و رضي عنه ، و ولّاه قضاء القضاة ، ثم ولّاه المظالم ، فولّى يحيىٰ بن أكثم قضاء الشرقيّة حيّان بن بشير ، و ولّى سوار بن عبدالله العنبريَّ قضاء الجانب الغربيّ وكلاهما أعور، فقال الجمّاز :

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٧ ص ٣٣ ـ ٣٤ .

٢ - بعلّة فلج من أجل هذه الصدمة التي أوردها المتوكل عليه .

٣ - قد مضىٰ شطرٌ من سيرته الخلاعية فى أحوال المأمون الرشيد .

رأيت مــن الكـبائر قــاضيين هــما أُحــدوثة فــي الخـافقين
هما اقتسما العمىٰ نصفين قدراً كــما اقـتسما قـضاء الجـانبين
هـما فأل الزمـان بـهُلك يـحيىٰ اذا افـتتح القـضاء بأعـورين[1]

نبذة من سيرة المتوكّل

قال الحافظ السيوطي : « انه أظهر الميل الى السنة و نصر أهلها و رفع المحنة في خلق القرآن و كتب بذلك الى الآفاق و استقدم المحدّثين الى سامرّا و أجزل عطاياهم و أكرمهم و أمرهم بأن يحدّثوا بأحاديث الصفات و الرؤية ، فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس ، و توفّر دعاء الخلق له و بالغوا في الثناء عليه ، حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة : أبوبكر الصدّيق في قتل أهل الردّة ، و عمر بن عبدالعزيز في ردّ المظالم ، و المتوكّل في احياء السنة و اماتة التجهّم .

و كان معروفاً بالنصب[2] فتألّم المسلمون من ذلك و كتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد ، وكان منهمكاً في اللذات و الشراب »[3] .

و قال المسعودي « لم يكن أحدٌ ممن سلف من خلفاء بني العبّاس ظهر في مجلسه اللعب و المضاحك و الهزل مما قد استفاض في الناس تركه ، الا المتوكل »[4].

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٧ ص ٦٠ .
٢ - أي عداوة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
٣ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٦٤ الى ٢٦٦ .
٤ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ٤ .



نهمه للطعام

قال المسعودي : « المتوكل يشتهي قدراً طبخها ملّاحون : و حكي عن الفتح بن خاقان قال : كنت عند المتوكل و قد عزم على الصَّبُوح بالجعفري ، و قد وجّه خلف الندماء و المغنّين ، قال : فجعلنا نطوف و هو متكىء عليّ و أنا أحادثه ، حتى وصلنا إلى موضع يُشرف منه على الخليج ، فدعا بكرسي فقعد عليه ، و أقبل يحادثني ، إذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطىء الخليج ، و ملّاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر و قد فاحت روائحها .

فقال : يا فتح ! رائحة قدر سكباج والله ، ويحك ، أما ترى ما أطيب رائحتها ؟ عليّ بها على حالها ، فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدي الملّاحين ، فلمّا عاين الملّاحون أصحابُ السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسُهم فَرَقاً و خوفاً .

و جاءوا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها ، فوضعت بين أيدينا ، فاستطاب ريحها و استحسن لونها ، و دعا برغيف فكسر منه كسرة و دفعها إلي ، و أخذ هو منه مثلها ، و أكل كل واحد منا ثلاث لُقَم ، و أقبل الندماء و المغنّون ، فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر ، و أقبل الطعام و وضعت الموائد ، فلمّا فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت و غسلت بين يديه و أمر أن تملأ دراهم ، فجيء ببَدْرة ففرغت فيها ، ففضل من الدراهم مقدار ألفي درهم ، فقال لخادمٍ كان بين يديه : خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها لأصحاب السفينة ، و قل لهم : هذا ثمن ما أكلنا من قدركم ، و ادفع إلى مَنْ طبخها ما فضل من هذه البَدْرَة من الدراهم هِبَةً له على تجويده طبخها ، قال الفتح : فكان المتوكل كثيراً ما يقول إذا ذكر قدر الملاح : ما أكلت أحسن من سكباج

أصحاب السفينة في ذلك اليوم »[١] .

(أقول) صدق المتوكل ، لأنّ القِدر التي قيمتها ألفا درهم من بيت مال المسلمين و يساوي في زماننا هذا مائتي ألف درهم ، لم يأكل الخليفة طبعاً أحسن منها طعاماً و لا أطيب منه لذةً .

شرب الخمر

قد علمت من كلام الحافظ السيوطي أنّ المتوكّل كان منهمكاً في اللذّات و الشراب ، و قد ذكر له هذه الصّفة غير واحد من المؤرّخين ، منهم : ابن الأثير في الكامل (ج ٧ ص ٩٨) و المسعوديُّ في مروج الذهب (ج ٤ ص ٣٨) و الطبريُّ في تأريخ الرسل و الملوك (ج ٩ ص ٢٢٥) و الدّميريّ في حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٩) .

و انه لم يكتف بشرب الخمر وحده ، بل كان من غاية و قاحته و جرأته على الله و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم ، أنه ربما كان يدعو أولياء الله الأبرار أيضاً الى شربه ، كما فعل بالامام علي الهادي عليه السلام ، و ستأتي قصّته ان شاء الله المستعان عند ذكره عليه السلام .

انهماكه الجاري في شهوات الجواري

قال الحافظ السيوطيُّ : « انّ المتوكّل كان له أربعة آلاف سُرِّيَّةٍ وطأ الجميع ،

---

١ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٦ ـ ١٧ .

وكان المتوكّل مشغوفاً بـ(قبيحة) اُم ولده المعتّز لا يصبر عنها، فوقفت له يوماً و قد كتبت على خدّيها بالغالية (جعفر) فتأمّلها و أنشأ يقول:

وكاتبةٍ بالمسك في الخدّ جعفراً بنفسي محطّ المسك من حيث أثّرا

لئن أودعت سطراً من المسك خدّها لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا[1]

« محبوبة » جارية اُخرىٰ للمتوكل

قال المسعوديُّ: « ذكر عليّ بن الجهم قال: لمّا أفضت الخلافة الى أميرالمؤمنين جعفر المتوكل على الله أهدى اليه الناس على أقدارهم، و أهدى اليه ابن طاهر هديةً فيها مائتا وصيفةٍ و وصيفٍ، و في الهدية جاريةٌ يقال لها (محبوبة) كانت لرجلٍ من أهل الطائف قد أدّبها و ثقّفها و علّمها من صنوف العلم، وكانت تقول الشعر و تلحنه، و تغنّي به على العود، وكانت تحسن كل ما يحسّنه علماء الناس، فحسُن موقعها من المتوكل، و حلّت من قلبه محلّاً جليلاً لم يكن أحد يعدلها عنده.

قال علي: فدخلت عليه يوماً للمنادمة، فلمّا استقرّ بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير، ثم خرج و هو يضحك، فقال لي: ويلك يا علي! دخلت فرأيتُ قيْنةً قد كتبت في خدها بالمسك جعفراً فما رأيت أحسن منه، فقل فيه شيئاً، فقلت: يا سيدي، وحدي أو أنا و محبوبة؟

قال: لا، بل أنت و محبوبة.

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧، مروج الذهب ج ٤ ص ٤٠.



قال : فدعت بدواة و قرطاس ، فسبقتني الى القول ، ثمّ أخذت العود فترنّمت ثمّ خفقت عليه حتى صاغت له لحناً و تضاحكت منه ملياً ، ثم قالت : يا أميرالمؤمنين ، تأذن لي ؟ فأذن لها ، فغنّت :

و كاتبة في الخدّ بالمسك جعفرا	بنفسي محطُّ المسك من حيث أثّرا
لئن أودعت خطاً من المسك خدها	لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه	مُطيعاً له فيما أسرّ و أجهرا
و يا من لعيني مَنْ رأى مثل جعفر	سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي : و دخلت عليه أيضاً لأُنادمه ، فقال لي : ويلك يا علي ، علمت أني غاضبت محبوبة ، و أمرتها بلزوم مقصورتها ، و نهيت الحشم عن الدخول اليها ، و أنفت من كلامها ؟

فقلت : يا سيدي ، إن كنت غاضبتها اليوم فتصالحها غداً ، و يديم الله سرور أميرالمؤمنين ، و يمدّ في عمره .

قال : فأطرق ملياً ، ثم قال للندماء : انصرفوا ، و أمر برفع الشراب ، فرفع ، فلمّا كان من غد دخلت اليه فقال : ويلك يا علي ، إني رأيت البارحة في النوم أني قد صالحتها ، فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه : والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي ، فقال لي : قم ويلك حتى ننظر ما هي ، فقام حافياً و قمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها ، فاذا هي تخفق عوداً و تترنّم بشيء كأنها تصوغ لحناً ، ثم رفعت عقيرتها و تغنّت :

أدور في القصر لا أرى أحداً	أشكو اليه و لا يكلّمني
حتى كأني أتيْتُ معصية	ليس لها توبة تخلّصني
فمَنْ شفيعٌ لنا الى ملك	قد زارني في الكرى و صالحني

حتى إذا ما الصباح عاد لنا عاد الى هجره و صارمني

قال : فصفق المتوكل طرباً فصفقت معه ، فدخل اليها فلم تزل تقبّل رجل المتوكل و تمرّغ خدّيها على التراب حتى أخذ بيدها ، و رجعنا و هي ثالثتنا »[١] .

الظلم و الاعتساف

حلق لحية القاضي أبي بكر

قال السّيوطيُّ : « و في سنة سبع و ثلاثين و مائتين بعث الى نائبه في مصر أن يحلق لحية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي اللّيث ، و أن يضربه و يطوف به على حمار ، ففعل و نعم ما فعل فانه كان من رؤس الجهمية ، و ولي القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك بعد تمنّعٍ . و أهان القاضي المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطاً »[٢] .

سخط المتوكل على كاتبه الرخجي

قال المسعودي : « و في سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين ، سخط المتوكل على عمر بن الفرج الرخجي ، وكان من علية الكُتّاب ، و أخذ منه مالاً و جوهراً نحو مائة

---

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٦ .

ألف و عشرين ألف دينار ، و أخذ من أخيه نحواً من مائة ألف و خمسين ألف دينار ، ثم صولح محمد على أحد و عشرين ألف ألف درهم على أن يردّ اليه ضياعه .

ثم غضب عليه غضبة ثانية و أمر أن يُصفَعَ في كل يوم . فأُحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفعة »[١] .

التعذيب بالماء البارد و التّنور المسجّر

قال الدّميريُّ : « قال المتوكل ركبت الى دار الواثق فى مرضه الذى مات فيه لأعوده فجلست فى الدهليز أنتظر الإذن فبينما أنا جالس إذ سمعت النياحة عليه ، و إذا إيداخ و محمد بن عبدالملك الزيات يأتمر ان فى أمري ، فقال محمد : نقتله فى التنور . و قال إيداخ : بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت و لا يرى عليه أثر القتل ، فبينماهما على ذلك إذ جاء أحمد بن أبى داود القاضي فدخل و حدّثهما كلاماً لا أعقله لما داخلني من الخوف و شغل القلب بإعمال الحيلة فى الهرب ، فبينما أنا كذلك و إذا بالغلمان يتعادون و يقولون انهض يا مولانا ، فلم أشك أنّي داخل لأُبايع ولد الواثق ثم ينفذ فيّ ما قدر ، فلمّا دخلت بايعوني ، فسألت عن الحال ، فأُعلمت أنّ ابن أبى داوُد كان سبب ذلك .

ثم إنّ المتوكّل قتل إيداخ بالماء البارد و ابن الزيّات فى التنور . قال : و هذا من أغرب الاتفاق و عجيب الظفر .

---

١ – **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٩ .



و من العجب أيضاً أنّ محمد بن عبدالملك الزيّات هو الذي صنع التنور ليعذّب فيه الناس فعذّبه الله فيه ، وكان التنور من حديد داخله مسامير غير مثنية ، و كان يسجر بحطب الزيتون حتى يصير كالجمر ثم يدخل الإنسان فيه ، نسأل الله العافية في الدنيا و الآخرة »[1] .

استشهاد ابن السكّيت بطرز فجيع

قال الحافظ السّيوطيُّ : « و في سنة أربع و أربعين و مائتين قتل المتوكل يعقوب بن السكّيت امام العربيّة . فانه ندبه الى تعليم أولاده . فنظر المتوكل يوماً الى ولديه المعتزّ و المؤيّد ، فقال لابن السكّيت : من أحبّ اليك ، هما أو الحسن و الحسين ؟

فقال : قنبر ، يعني مولى علي عليه‌السلام خير منهما ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات .

و قيل أمر بسلّ لسانه ، فمات »[2] .

قال خاتمة المحدّثين الشيخ عباس القمّي رحمه‌الله فى ترجمة ابن السكّيت ما لفظه :

«ابن السِكّيت : بكسر السين و تشديد الكاف : أبو يوسف يعقوب بن

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٩ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٦٦ .

اسحاق الدَورقي[١] الأهوازي الامامي النحوي اللغوي الأديب ، ذكره كثير من المؤرخين و أثنوا عليه ، و كان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة و يُعدّ من خواص الامامين التقيين عليهما السلام .

و كان حامل لواء علم العربية والأدب و الشعر و اللغة و النحو ، و له تصانيف كثيرة مفيدة منها : تهذيب الألفاظ ، و كتاب اصلاح المنطق .

قال ابن خلّكان : قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل اصلاح المنطق ، و لا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، و لا نعرف في حجمه مثله في بابه ، و قد عنى به جماعة و اختصره الوزير المغربي ، و هذّبه الخطيب التبريزي .

قال ابو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكّيت فى المنطق .

و قال ثعلب : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الاعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت .

و كان المتوكّل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله (انتهى) .

قتله المتوكّل في الخامس من رجب سنة ٢٤٤ (رمد) و سببه أنّ المتوكل قال له يوماً : أيّما أحبّ اليك ابناي هذان أي المعتز و المؤيّد أم الحسن و الحسين ؟

فقال ابن السكيت : والله إنّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك و من ابنيك .

فقال المتوكّل للأتراك سلّوا لسانه من قفاه ، ففعلوا فمات .

---

[١] - دورق كزورق بليدة من أعمال خوزستان من كور الأهواز .

و قيل بل أثنى على الحسن و الحسين عليهما السلام و لم يذكر ابنيه فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات بعد غد ذلك.

و من الغريب أنه وقع فيما حذّره نفسه من عثرات اللسان بقوله قبل ذلك بيسير:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته فى القول تذهب رأسه
و عثرته فى الرجل تبرأ عن مهل

(أقول) نقل عن المجلسي الأول رحمه الله أنه قال: اعلم أنّ أمثال هؤلاء الأعلام كانوا يعلمون وجوب التقية، ولكنهم يصيرون غاضبين لله تعالى بحيث لا يبقى لهم الاختيار عند سماع هذه الأباطيل، كما هو الظاهر لمن كان له قوة في الدين.

(قلت) و قريبٌ من ذلك ما جرى بين أبي بكر بن عياش و موسى بن عيسى العباسي الذي أمر بكرب قبر الحسين عليه السلام في قصة طويلة ليس الآن مقام نقلها.

حكى صاحب الرّوضات عن الشهيد الثاني رحمه الله أنه كتب في بعض تصانيفه أنّ من الالقاءات الجائزة المستحسنة للأنفس الى الهلكة، فعل من يعرض نفسه للقتل فى سبيل الله اذا رأى أنّ في قتله عزة للاسلام، ولكن الصبر و التقية أحسن كما ورد فى قصّة عمار و والديه و خبّاب، و بلال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **إلا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان** ﴾[1].

و روى صاحب المحاسن عن ابن مسكان قال: قال لي ابو عبدالله عليه السلام انّي

١ - **النحل** ١٦: ١٠٦.

لأحسبك اذا شتم علي عليه السلام بين يديك لو تستطيع أن تركل أنف شاتمه لفعلت فقلت إي والله ، جعلت فداك ، إني لهكذا و أهل بيتي .

فقال لي : فلا تفعل ! فوالله لربما سمعت من يشتم علياً عليه السلام و ما بيني و بينه إلا اسطوانة فأستتر بها ، فاذا فرغت من صلاتي فأمرّ به فأُسلم عليه و أُصافحه .

و تقدّم فى أبو القاسم الروحي ما يتعلق بذلك .

ولكن لا يخفىٰ عليك أنّ هذا فى مقام التقية ، ولو لم يكن محل التقية يجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ترك المداهنة ، فقد قال اميرالمؤمنين عليه السلام ان الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر .

و روى الشيخ الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال أوحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام أني معذّب من قومك مائة ألف ، أربعين ألفاً من شرارهم و ستين ألفاً من خيارهم ، فقال يا ربّ ! هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عزوجل اليه داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا لغضبي .

و روى شيخ الطائفة عن أبي عبدالله عليه السلام : أنّ الله تعالى أهبط ملكين الى قرية ليهلكهم ، فاذاهما برجل تحت الليل قائمٌ يتضرّع الى الله تعالى و يتعبّد ، قال: فقال أحد الملكين للآخر : انّي أُعاود ربّي في هذا الرجل ، و قال الآخر : بل تمضي لما أُمرتَ و لا تعاود ربّي فيما أمر به . قال : فعاود الآخر ربّه في ذلك ، فأوحى الله الى الذي لم يعاود ربّه أن أهلكه معهم ، فقد حلّ به معهم سخطي ، إنّ هذا لم يتمعّر وجهه قطّ غضباً لي ، و الملك الذي عاود ربه فيما أُمر سخط الله عليه ، فأهبطه في جزيرة



فهو الى الساعة فيها ساخط عليه ربه »[1] .

جور المتوكّل على مشهد الحسين عليه السلام

قال الحافظ السيوطيُّ : « في سنة ست و ثلاثين و مائتين أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام و هدم ما حوله من الدّور ، و أن يعمل مزارع ، و منع النّاس من زيارته ، و خُرّب و بقي صحراء ، وكان المتوكل معروفاً بالنصب ، فتألّم المسلمون من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد ، و هجاه الشعراء ، فممّا قيل في ذلك :

بالله ان كانت أميّة قد أتت	قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتتبعوه رميما[2]

و قال ابن الأثير : « و في هذه السنة (٢٣٦) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام و أن يبذر و يسقىٰ موضع قبره ، و أن يمنع الناس من اتيانه ، فنادىٰ عامل صاحب الشرطة بالنّاس في تلك النّاحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام ، حبسناه في المُطبِق ، فهرب النّاس ، و تركوا زيارته ، و حرث و زرع »[3] .

هذا ما ذكره المؤرخون من العامّة ، أمّا ما ذكره المحققون من الامامية ، فهو

---

١ - **الكنى و الألقاب** ج ١ ص ٣٠٩ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٦٥ .

٣ - **الكامل** لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥ .

أنّ المتوكّل هدم القبة الحسينية أربع مرّات في سنة (٢٣٣) و (٢٣٦) و (٢٣٧) و (٢٤٧) لكنّ عمّال المتوكل لم يقدروا على حرث قبر الحسين عليه السلام و ذلك لأجل ثورة الثيران الجرّارة على من أراد كرب القبر الشريف ، ثم حاولوا أن يجروا الماء عليه ، فأيضاً لم يقدروا على ذلك ، لتطوّق الماء حول القبر ، و لذا سمي ذلك المكان بالحائر ، لحيرة الماء فيه[1] .

قصّة زيد المجنون و بهلول

ذكر العلامة المجلسي رحمه الله و الشيخ جعفر التستري رحمه الله أنّ المتوكّل من خلفاء بني العباس كان كثير العداوة ، شديد البغض لأهل البيت الرَّسول ، و هو الّذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام و أن يخرّبوا بنيانه و يخفوا آثاره و أن يجروا عليه الماء من النهر العلقميّ بحيث لا يبقى له أثر و لا أحد يقف له على خبر ، و توعَّد الناس بالقتل لمن زار قبره ، و جعل رصداً من أجناده و أوصاهم : كلَّ من وجدتموه يريد زيارة الحسين عليه السلام فاقتلوه ، يريد بذلك إطفاء نور الله و إخفاء آثار ذرّيّة رسول الله .

فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يقال له زيد المجنون ، ولكنّه ذو عقل سديد ، و رأي رشيد ، و إنّما لقّب بالمجنون لأنّه أفحم كلَّ لبيب ، و قطع حجّة كلِّ أديب ، و كان لا يعيي من الجواب ، و لا يملُّ من الخطاب .

فسمع بخراب بنيان قبر الحسين عليه السلام و حرث مكانه ، فعظم ذلك عليه و اشتدَّ

---

[1] - راجع **المناقب** لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٦٤ ـ و **بحارالانوار** ج ٤٥ ص ٤٠٣ .



حزنه و تجدّد مصابه بسيّده الحسين عليه السلام و كان مسكنه يومئذ بمصر، فلمّا غلب عليه الوجد و الغرام؛ لحرث قبر الامام عليه السلام خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه شاكياً وجده إلى ربّه، و بقي حزيناً كئيباً حتّى بلغ الكوفة.

و كان بهلول يومئذ بالكوفة، فلقيه زيد المجنون و سلّم عليه فردَّ عليه السلام، فقال له بهلول: من أين لك معرفتي فلم ترني قطُّ؟

فقال زيد: يا هذا اعلم أنَّ قلوب المؤمنين جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف.

فقال له بهلول: يا زيد ما الّذي أخرجك من بلادك بغير دابّة و لا مركوب؟

فقال: والله ما خرجت إلاّ من شدَّة وجدي و حزني، و قد بلغني أنَّ هذا اللّعين أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام و خراب بنيانه و قتل زوّاره، فهذا الّذي أخرجني من موطني و نغّص عيشي و أجرى دموعي و أقلَّ هجوعي.

فقال بهلول: و أنا والله كذلك. فقال له: قم بنا نمضي إلى كربلا لنشاهد قبور أولاد عليٍّ المرتضى.

قال: فأخذ كلُّ بيد صاحبه حتّى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام و إذا هو على حاله لم يتغيّر، و قد هدموا بنيانه، و كلّما أجروا عليه الماء غار و حار و استدار، بقدرة العزيز الجبّار، و لم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين عليه السلام و كان القبر الشريف إذا جاءه الماء ترتفع أرضه باذن الله تعالى.

فتعجّب زيد المجنون ممّا شاهده و قال: انظر يا بهلول يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلّا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون.

قال: و لم يزل المتوكّل يأمر بحرث قبر الحسين عليه السلام مدّة عشرين سنة و القبر على حاله لم يتغيّر، و لم تعلوه قطرة من الماء، فلمّا نظر الحارث إلى ذلك قال:

آمنت بالله و بمحمّد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و الله لأهرب على وجهي و أهيم في البراري أيحرث قبر الحسين بن بنت رسول الله و لا أتّعظ و لا أعتبر ؟

ثمَّ إنّه حلَّ النّيران و طرح الفَدَان[1] و أقبل يمشي نحو زيد المجنون و قال له : من أين أقبلت يا شيخ ؟ قال : من مصر ، فقال له : و لأيِّ شيء جئت إلى هنا ؟ و إنّي لأخشى عليك من القتل .

فبكى زيد و قال : والله قد بلغني حرث قبر الحسين عليه السلام فأحزنني ذلك و هيّج حزني و وجدي .

فانكبَّ الحارث على قدمي زيد يقبّلهما و هو يقول : فداك أبي و أُمّي ، فوالله يا شيخ من حين ما أقبلت إليَّ أقبلتْ إليَّ الرحمة و استنار قلبي بنور الله ، و إنّي آمنت بالله و رسوله و إنَّ لي مدّة عشرين سنة و أنا أحرث هذه الأرض ، و كلّما أجريت الماء إلى قبر الحسين عليه السلام غار و حار و استدار ، و لم يصل إلى قبر الحسين منه قطرة و كأنّي كنت في سكر و أفقت الآن ببركة قدومك إليَّ .

فبكى زيد و تمثّل بهذه الأبيات :

تالله ان كانت أميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمري قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما[2]

فبكى الحارث و قال : يا زيد قد أيقظتني من رقدتي ، و أرشدتني من غفلتي

---

١ – النِّير كالعير : الخشبة المعترضة بين الثورين للحرث ، الجمع: النّيران ، و الفَدان كالمكان : الثوران تمعدّ ان للحرث .

٢ – ذكر هذه الأبيات في **تاريخ الخلفاء** ص ٢٦٥ أيضاً .



و ها أنا الآن ماض إلى المتوكّل بسرّ من رأى ، أُعرّفه بصورة الحال إن شاء أن يقتلني و إن شاء أن يتركني ، فقال له زيد : و أنا أيضاً أسير معك إليه و أُساعدك على ذلك .

قال : فلمّا دخل الحارث إلى المتوكّل و خبّره بما شاهد من برهان قبر الحسين عليه السلام استشاط غيظاً و ازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أمر بقتل الحارث و أمر أن يشدَّ في رجله حبل ، و يسحب على وجهه في الأسواق ، ثمَّ يصلب في مجتمع الناس ليكون عبرة لمن اعتبر ، و لا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً .

و أمّا زيد المجنون فانّه ازداد حزنه و اشتدَّ عزاؤه و طال بكاؤه و صبر حتّى أنزلوه من الصلب و ألقوه على مزبلة هناك ، فجاء إليه زيد فاحتمله إلى دجلة و غسّله و كفّنه و صلّى عليه و دفنه ، و بقي ثلاثة أيّام لا يفارق قبره ، و هو يتلو كتاب الله عنده ، فبينما هو جالسٌ ذات يوم إذ سمع صُراخاً عالياً ، و نوحاً شجيّاً ، و بكاءً عظيماً ، و نساءً بكثرة منشّرات الشعور ، مشقّقات الجيوب ، مسوّدات الوجوه ، و رجالاً بكثرة يندبون بالويل و الثبور ، و الناس كافّة في اضطراب شديد ، و إذا بجنازة محمُولة على أعناق الرِّجال و قد نشرت لها الأعلام و الرايات ، و الناس من حولها أفواجاً قد انسدَّت الطرق من الرِّجال و النساء .

قال زيد : فظننت أنَّ المتوكّل قد مات ، فتقدَّمت إلى رجل منهم و قلت له : من يكون هذا الميّت ؟ فقال : هذه جنازة جارية المتوكّل و هي جارية سوداء حبشيّة و كان اسمها ريحانة ، و كان يحبّها حبّاً شديداً .

ثمَّ إنّهم عملوا لها شأناً عظيما و دفنوها في قبر جديد ، و فرشوا فيه الورد و الرَّياحين و المسك و العنبر و بنوا عليها قبّه عالية .

فلمّا نظر زيد إلى ذلك ازدادت أشجانه ، و تصاعدت نيرانه ، و جعل يلطم وجهه و يمزّق أطماره ، و يحثي التراب على رأسه ، و هو يقول : واويلاه وا أسفاه

عليك يا حسين ! أتقتل بالطفّ غريباً وحيداً ظمآناً شهيداً ، و تسبى نساؤك و بناتك و عيالك ، و تذبح أطفالك ، و لم يبك عليك أحد من الناس ، و تدفن بغير غسل و لا كفن ، و يحرث بعد ذلك قبرك ليطفؤا نورك و أنت ابن عليّ المرتضى ، و ابن فاطمة الزهراء ، و يكون هذا الشأن العظيم لموت جارية سوداء ، و لم يكن الحزن و البكاء لابن محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قال : و لم يزل يبكي و ينوح حتّى غشي عليه و النّاس كافّة ينظرون إليه فمنهم من رقّ له ، و منهم من جنى عليه ، فلمّا أفاق من غشوته أنشد يقول :

أيحرث بالطفّ قبر الحسين	و يعمر قبر بني الزانية
لعلّ الزّمان بهم قد يعود	و يأتي بدولتهم ثانية
ألا لعن الله أهل الفساد	و من يأمن الدُنيّة[1] الفانية

قال : إنَّ زيداً كتب هذه الأبيات في ورقة و سلّمها لبعض حجّاب المتوكّل .

قال : فلمّا قرأها اشتدَّ غيظه و أمر باحضاره ، فأُحضر و جرى بينه و بينه من الوعظ و التوبيخ ما أغاظه حتّى أمر بقتله ، فلمّا مثّل بين يديه سأله عن أبي تراب من هو ؟ استحقاراً له ، فقال : والله إنّك عارف به ، و بفضله و شرفه ، و حسبه ، و نسبه ، فوالله ما يجحد فضله إلّا كلُّ كافر مرتاب ، و لا يبغضه إلّا كلُّ منافق كذّاب ، و شرع يعدِّد فضله و مناقبه حتّى ذكر منها ما أغاظ المتوكّل فأمر بحبسه فحبس .

فلمّا أسدل الظلام و هجع ، جاء إلى المتوكّل هاتف ، و رفسه برجله و قال له : قم و أخرج زيداً من حبسه ، و إلّا أهلكك الله عاجلاً ، فقام هو بنفسه ، و أخرج زيداً من حبسه ، و خلع عليه خلعة سنيّة ، و قال له : اطلب ما تريد .

---

[1] - الدُّنَيّة : تصغير الدنيا .

قال : أُريد عمارة قبر الحسين عليه السلام و أن لا يتعرّض أحد لزوّاره فأمر له بذلك ، فخرج من عنده فرحاً مسروراً و جعل يدور في البلدان و هو يقول : من أراد زيارة الحسين عليه السلام فله الأمان طول الأزمان[1] .

وقوع الزلازل و الآفات السّماويّة في أيام المتوكّل

كان دور خلافة المتوكل من أنحس الأدوار لشيعة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث كانوا في ضغط شديد في حكومته ، لأنه كان (كما علمت) أشد الناس عداوةً لعلي عليه السلام و آله و شيعته ، حتى انّه هدم مشهد الحسين عليه السلام كراراً و جعل المزارع في أطرافه ، و منع عن زيارة ذلك المحل ، و قتل كثيراً من زواره ، و قطع أيديهم ، و أدخلهم في السجون المُطبقة ، و عذّبهم بالتعذيبات المنكرة . و لعلّ هذا صار سبباً لحركة الغضب الإلّهي عليه و على الناس .

واما الغضبُ الإلهى عليه فانه قُتل (كما سيجيء) بيد أعزّ الناس عليه ، و هو ابنه و قومٌ من الأتراك .

و أمّا الغضبُ الإلهي على الناس ، فلأنّهم كانوا مستحقّين لهذه الحوادث من أجل رضاهم به اماماً و حاكماً ، فظهرت الحوادث المهلكة من الأرض ، كما نزلت من السماء . اتفق على نقله المؤرّخون كلهم ، نحو الطبري في تأريخ الرسل و الملوك (ج ٩ ص ٢٠٧) و المسعوديُّ في مروج الذهب (ج ٤ ص ١٩) و ابن الأثير في الكامل (ج ٧ ص ٨٧) و الحافظ السّيوطي في تأريخه (ص ٢٦٦) .

---

١ - **بحارالانوار** ج ٤٥ ص ٤٠٣ الى ٤٠٧ ، **الخصائص الحسينيّة** ص ١٩٦ الى ٢٠٠ .

قال السّيوطيُّ : و في هذه السنة (أى ٢٣٧) ظهرت نارٌ بعسقلان أحرقت البيوت و البيادر[١] و لم تزل تحرق الى ثلث اللّيل .

و في سنة (٢٣٨) كبست الروم دمياط و نهبوا و أحرقوا و سبوا منها ست مائة امرأة .

و في سنة (٢٤٠) سمع أهل حلاط صيحة عظيمة من جوّ السّماء فمات منها خلق كثير.

و وقع برد بالعراق كبيض الدّجاج .

و خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب .

و في سنة (٢٤١) ماجت النجوم في السّماء ، و تناثرت الكواكب كالجراد أكثر اللّيل ، وكان أمراً مزعجاً لم يعهد .

و في سنة (٢٤٢) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس و أعمالها و الرّي و خراسان و نيسابور و طبرستان و اصبهان و تقطّعت الجبال ، و تشقّقت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق .

و رجمت قريةُ السويداء بناحية مصر من السّماء ، و وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال .

و سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتىٰ مزارع آخرين .

و في سنة (٢٤٥) عمّت الزلازل الدنيا فأخربت المدن و القلاع و القناطر .

و سقط من انطاكية جبل في البحر .

---

١ - جمع بَيْدَر على وزن حَيْدَر : الموضع الذي يجمع فيه الحصيد و يداس ثم استعمل لكل مخزن المحبوبات .



و سُمع من السّماء أصوات هائلة .
و زلزلت مصر .
و سمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة ، فمات خلق من أهل بلبيس .
و غارت عيون مكّة »[١] .

إقطاع البلاد بين الأولاد !

انّ حديث النبي الصادق صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا بلغت بنو اميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً ، و مال الله نحلاً ، و كتاب الله دغلاً »[٢] كما ينطبق على بني امية كذلك ينطبق على بني العباس أيضاً ، لأنّهم أيضاً اتّخذوا عباد الله خولاً ، و بلاد الله دولاً . لأنّهم كانوا غير قانعين باستئثارها لأنفسهم فحسب ، بل ينحلونها الى أولادهم بعد موتهم . فكانت الأُمّة المسلمة كالأمة المستسلمة تنتقل من يدٍ الى يدٍ و من ملكٍ الى ملكٍ .

مشياً على هذه السنّة المستمّرة المتدوالة بين الخلفاء ، جعل المتوكل أيضاً الخلافة الاسلامية لأولاده الثلاثة ـ المنتصر و المعتزّ و المؤيّد ـ بل انه أقطعهم بلاد الله في حياته ، و أخذ البيعة لهم قبل وفاته .

قال ابن الأثير : « و في هذه السنة (٢٣٥) عقد المتوكّل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد و هم : محمد ، و لقبه المنتصر بالله ، و أبو عبدالله طلحة ، و لقبه المعتزّ بالله ، و ابراهيم، و لقبه المؤيّد بالله ، و عقد لكل واحد منهم لوائين : أحدهما

---

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٦٥ .

٢ - **المستدرك** للحاكم ج ٤ ص ٤٧٦ ، **كنز العمال** ج ٦ ص ٣٩ .

أسود ، و هو لواء العهد ، و الآخر أبيض ، و هو لواء العمل ، فأعطى كل واحد منهم ما نذكره :

فأمّا المنتصر فأقطعه إفريقية و المغرب كلّه ، والعواصم ، و قِنسرين ، و الثغور جميعها ، الشاميّة و الجزريّة و ديار مُضَر ، و ديار ربيعة ، و الموصل ، و هَيت ، و عانة ، و الأنبار ، و الخابور ، و كُور باجرمى ، و كُور دجلة ، و طَساسِيج السواد جميعها ، و الحرمين ، واليمن ، و حَضَرَ موْت ، و اليمامة ، و البحرين ، و السِّند ، و مُكران ، و قَنداييل ، و فُرْج بيت الذهب ، و كُوَر الأهواز ، و المستغلاّت بسامرّا ، و ماه الكوفة ، و ماه البصرة و ماه سَبَذان ، و مِهرِجانقذق ، و شَهْرَزور ، و الصَّامَغان ، و اصبهان ، و قُم ، و قاشان ، و الجبل جميعه ، و صدقات العرب بالبصرة .

و أمّا المعتزّ فأقطعه خراسان و ما يُضاف إليها ، و طبرستان ، و الرّيّ ، و أرمينيّة ، و أذربيجان ، و كور فارس ، ثم أضاف اليه في سنة (٢٤٠) خزن الأموال في جميع الآفاق ، و دور الضرب[١] و أمر أن يضرب اسمه على الدراهم .

و أمّا المؤيّد فأقطعه جند دمشق و جند فلسطين[٢] .

ثراء المتوكل عند موته

قال المسعودي : «كان له أربعة آلاف سرّية وطئهنّ كلهنّ و مات و في بيوت

١ - أي الدور التي تضرب فيها الدراهم و الدنانير .

٢ - **الكامل** لابن الأثير ج ٧ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

الأموال أربعة آلاف ألف دينار و سبعة آلاف ألف درهم »[١].

قتل المتوكل بيد ابنه

قال ابن الأثير: «كان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام و لأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى علياً و أهله بأخذ المال و الدم؛ وكان من جملة ندمائه عبادة المُخنَّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مِخَدّة و يكشف رأسه، و هو أصلع، و يرقص بين يدي المتوكّل، و المغنّون يغنّون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، و المتوكّل يشرب، و يضحك، ففعل ذلك يوماً، و المنتصر حاضرٌ، فأومأ إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكّل: ما حالك؟ فقام و أخبره، فقال المنتصر: يا أميرالمؤمنين! إنّ الذي يحكيه هذا الكلب و يضحك منه الناس، هو ابن عمّك، و شيخ أهل بيتك، و به فخرك، فكُلْ أنت لحمه إذا شئتَ، و لا تُطعم هذا الكلبَ و أمثاله منه!.

فقال المتوكّل للمغنّين: غنّوا جميعاً:

غـار الفـتى لابـن عـمّهِ رأس الفتى في حِرِ أُمّـهِ

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل »[٢].

و قال الطبريُّ: « ذكر أنّ المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعةً من الفقهاء، و أعلمهم بمذاهبه، و حكى عنه اموراً قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب، فأشاروا

---

١ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ٤٠.

٢ - **الكامل** لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥.



عليه بقتله ، فكان من أمره ما ذكرنا بعضه »[١] .

و قال الدّميري : «فحقد (المنتصر) عليه ، و أغراه ذلك على قتله لماكان يغلو في بغض علي عليه‌السلام ، و يُكثر الوقيعة فيه و الاستخفاف به ، فبينما المتوكل في قصره يشرب مع ندمائه و قد سكر اذ دخل بغاء الصغير و أمر الندماء بالانصراف ، فانصرفوا و لم يبق عنده الا الفتح بن خاقان (و كان أيضاً شديد البغض لعلي عليه‌السلام مثل سيّده المتوكل) فاذا الغلمان الذين عيّنهم المنتصر لقتل المتوكل قد دخلوا و بأيديهم السّيوف مصلتة ، فهجموا عليه .

فقال الفتح بن خاقان : ويلكم ! أميرالمؤمنين ! ثم رمىٰ بنفسه عليه ، فقتلوهما جميعاً ، ثم خرجوا الى المنتصر فسلّموا عليه بالخلافة .

و كان قتل المتوكل فى شوّال سنة (٢٤٧) و عمره أربعون سنة ، و كان خلافته أربع عشرة سنة و عشرة أشهر »[٢] .

ثم جلس مكانه ابنه الذي قتله :

﴿ ١١ ﴾

﴿ المنتصر بالله بن المتوكّل ﴾

و هو أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، بويع

---

١ - **تاريخ الطبري** ج ٩ ص ٢٥٢ .

٢ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١١٩ .

في صبيحة الليلة التي قتل فيه أباه المتوكل ، و استخلف و هو ابن خمس و عشرين سنة ، و كان خير ولدٍ من شر والدٍ شبيهاً بمعاوية بن يزيد ، كريماً سمحاً محبّاً لأهل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم .

قال المسعودي : «كان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً في الخير ، سخيّاً ، أديباً ، عفيفاً ، و كان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق و كثرة الانصاف ، و حسن المعاشرة ، بما لم يسبقه خليفةٌ الى مثله »[1] .

و قال الحافظ السيوطي : « انه كان مليح الوجه ، أسمر ، أعين ، أقنى ، ربعةً ، جسيماً بطيناً ، مليحاً ، مهيباً ، وافر العقل ، راغباً فى الخير ، قليل الظلم ، محسناً الى العلويّين ، وَصولاً لهم أزال عن آل ابى طالب ما كانوا فيه من الخوف و المحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين عليه السلام و ردّ على آل (الحسن و) الحسين عليهما السلام فدك ، فقال يزيد المهلبي فى ذلك :

و لقد بررت الطالبية بعدما ... ذُمّوا زماناً بعدها و زمانا

و رددت أُلفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم إخوانا

بويع له بعد قتل أبيه فى شوال سنة سبع و أربعين و مائتين ، فخلع أخويه المعتزّ و المؤيّد من ولاية العهد الذي عقد لها المتوكل بعده ، و أظهر العدل و الانصاف فى الرعية ، فمالت اليه القلوب مع شدّة هيبتهم له ، و كان كريماً حليماً و من كلامه : لذة العفو أعذب من لذة التشفّي ، و أقبح أفعال المقتدر الانتقام .

و لمّا ولي صار يسبّ الأتراك ، و يقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه و همّوا به ، فعجزوا عنه ، لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيّلوا الى أن دسّوا الى

---

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ٥٠ .



طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار فى مرضه ، فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة ، فمات .

لمّا احتضر قال يا امّاه ذهبت منّي الدنيا و الآخرة ، عاجلت أبي فعوجلت ، مات فى خامس ربيع الاخرة سنة (٢٤٨) عن ست و عشرين سنة أو دونهما فلم يمتّع بالخلافة الا أشهراً معدودة دون ستة أشهر .

و قيل انه جلس في بعض الأيام للهو قد استخرج من خزائن أبيه فرشاً فأمر بفرشها فى المجلس ، فرأى فى بعض البسط دائرة فيها فارس، و عليه تاجٌ ، و حوله كتابةٌ فارسيةٌ ، فطلب من يقرأ ذلك ، فأُحضر رجلٌ فنظره فقطّب ، فقال ما هذه ؟ قال : لا معنى لها فالحّ عليه ، فقال : هو مكتوب « أنا شيرويه بن كسرىٰ بن هرمز ، قتلتُ أبي فلم أتمتّع بالملك الّا ستة أشهر » فتغيّر وجه المنتصر ، و أمر باحراق البساط ، وكان منسوجاً بالذهب .

و في لطائف المعارف للثعالبي : أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر فانه هو و آباؤه الخمسة خلفاء ، وكذلك المعتز و المعتمد .

قلت : أعرق منه المستعصم الذي قتله التتار فانّ آباءه الثمانية خلفاء .

قال الثعالبي و من العجائب : أنّ أعرق الأكاسرة فى الملك ، و هو شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الّا ستة أشهر ، و أعرق الخلفاء فى الخلافة ، و هو المنتصر ، قتل أباه فلم يمتّع بعده سوى ستة أشهرٌ[1] .

فمات سنة (٢٤٨) . ثم جلس مكانه ابن عمّه :

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

﴿ ١٢ ﴾

﴿ المستعين بالله بن محمد بن المعتصم ﴾

و هو أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرّشيد .

قال ابن الطقطقي : « اعلم أنّ المستعين كان مستضعفاً في رأيه و عقله و تدبيره . و كانت أيامه كثيرة الفتن و دولته شديدة الاضطراب ، و لم يكن فيه الخصال المحمودة الّا انه كان كريماً وَهوباً »[1] .

و قال الديار بكريُّ : « بويع له بالخلافة و عمره اذ ذاك ثمان و عشرون سنة ، وكان كثير الجماع ، مغرماً بحبّ النساء ، وكانت له ابنة عمّ بديعة الحسن والجمال ، فطلبها من أبيها فامتنع ، فأحضر الأصمّي و الرّقاشي و أبا نواس و قال : كل من أنشد لي بطبق مرادي في ابنة عمّي أعطيته الجائزة العظمى ، فأنشد أبو نواس :

ما روض ريحانكم الزاهر و ما شذا نشركم العاطر

و حق وُجدي و الهوىٰ قاهر مذغبتمو لم يبق لي ناظر

و القلب لا سالٍ و لا صابر

قالت ألا لا تلجنا دارنا وكابد الأشواق من أجلنا

و اصبر على مرّ الجفا و الضّنا و لا تمرّن على بيتنا

انّ أبانا رجلٌ غائر

---

١ - تاريخ الفخرى ص ٢٤١ .



فــقلت إنّــي طــالب غــرة يــحظى بـها القـلب ولو مـرة
قــالت بـعيد ذاك مت حـسـرة قــلت سأقـضي غـرّتى جـهرة
منك وسيفي صارم باتر
قــالت فـإنّ البـحر مــن بـيننا فــابرح و لا تأت إليّ حــينا
و اشرب بكأس الموت من هجرنا قــلت ولوكــان كـثير العـنا
يكفيك أنّي سابح ماهر
قـالت فـإنّ القـصر عـالى البنا قــلتُ ولوكــان عـظيم السـنا
أوَكـــان بـالجوّ بـلغت المـنىٰ قـالت مـنيع فـى الورىٰ قصرنا
قلت و إنّى فوقه طائر
قـــالت فــعندي لبــوةٌ والد فــقلت إنــى أســد شــارد
غشــــمشم مـــقتنص صــائد قـــالت لهـــا شـبل بـها لابـد
قلت و إنى ليثها الكاسر
قـالت فـعندي إخــوة سـبعة جــمعها إذا مـا التـقوا عـصبة
قــلت ولي يــوم اللـقا وثـبة قـالت لهـم يـوم الوغـى سطوة
قلت و إنى قاتل قاهر
قـــالت فــإنّ الله مــن فـوقنا يــعلم مــا نـبديه مـن شـوقنا
نــمضي إلى الحــق غـداكـلنا و نـــختشى النـقمة مـن ربّـنا
قلت و ربّى ساتر غافر
قـــالت فكــم أعـــييتنا حـجة تــجيء بـــهاكـــاملة بــهجة
فـــيالها بـــين الورىٰ خـــجلة إن كـــنت مـــا تـمهلنا ساعة
فائت إذا ما هجع الساهر

و اسـقـط عـلينا كسقوط النـدىٰ إيّـــاك أن تـظهر حـرف النـدا
يسـتيقظ الواشي و يأتـي الرّدىٰ وكــن كـضيف الطيف مسترصدا
ساعـة لا نـاهٍ و لا آمـر
حـاجتها عشـراً و صـافحتهـا عـلى دنـان الخـمر صـافيتها
رامت مـــواثـــيقا فـــوافــيتها مـــلتحفاً سـيفي و لاقــيتها
آخر ليلي و الـدّجـىٰ عاكـر
يـــا لـيــلة قـــضيتها خـــلوة مـــرتشفاً مـــن ريـقها قـهوة
تسكـر مـن قـد يـبتغي سكـرة ظـــننتها مـــن طـــيبها لحـظة
يـا لـيت لاكـان لـهـا آخـر

فلمّا أنشد ذلك أبو نواس بحضرة الخليفة أعجبه ذلك و أمر له بالجائزة العظمىٰ و وفى بما عهد »[1].

مقتل يحيىٰ بن عمر الطالبي

قال المسعوديُّ : « و ظهر في هذه السنة ـ و هي سنة ثمان و أربعين و مائتين ـ بالكوفة أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار ، و اُمه فاطمة بنت الحسين ابن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب الطيّار .

و قيل : إنّ ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين و مائتين ، فقتل و حمل رأسه إلى

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٠ الى ١٢٢ .

بغداد ، و صلب ، فضجّ الناس من ذلك لماكان في نفوسهم من المحبة له لأنه استفتح أُموره بالكَفِّ عن الدماء ، و التورُّع عن أخذ شيء من أموال الناس ، و أظهر العدل و الإنصاف ، وكان ظهوره لذلّ نزل به ، و جفوة لحقته ، و محنة نالته من المتوكل و غيره من الأتراك .

و دخل الناس (بعد قتله) الى محمد بن عبدالله بن طاهر يهنّئونه بالفتح ، و دخل فيهم أبو هاشم الجعفري ، و هو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بينه و بين جعفر الطيار ثلاثة آباء (و لم يكن يعرف في ذلك الوقت أقعد نسباً فى آل أبي طالب و سائر بني هاشم و قريش منه ، وكان ذا زهد و ورع و نسك و علم ، صحيح العقل ، سليم الحواس ، منتصب القامة ، و قبره مشهورٌ ، و قد أتينا على خبره و ما روي عنه من الرواية عن أبيه و مَنْ شاهد من سلفه ، في كتاب « حدائق الأذهان » في أخبار آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لابن طاهر : أيها الأمير ! إنّك لتُهنّأ بقتل رجل لوكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً لعُزِّيَ به ، فلم يجبه محمد ، و خرج من داره و هو يقول : يا بني طاهر ، (الى آخر البيتين الآتيين) .

و قدكان المستعين أمر بنصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بإنزاله لما رأى من الناس و ما هم عليه ، و في ذلك يقول أبو هاشم الجعفري :

يـا بـني طـاهرٍ كُـلُوه وبِـيّاً　　　انَّ لحـم النـبي غـير مَـرِيّ

انّ وتـراً يكـون طـالبه الله　　　لوِتْـرٌ بـالفوت غـير حَـرِيّ

و قد رُثي ابو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة ، و قد أتينا على خبر مقتله و ما رثي به من الشعر في الكتاب الأوسط ، و مما رثي به ما قاله فيه أحمد بن طاهر الشاعر من قصيدة طويلة :

سلامٌ على الإسلام فهو مودّعٌ اذا ما مضى آل النبي فودعوا
فَقَدْنا العلا و المجد عند افتقادهم و أضحتْ عروش المكرمات تضعضع
أتجمع عَيْنٌ بين نوم و مضجع و لابن رسول الله في الترب مضجع
فقد أقفَرَتْ دار النبي محمد من الدين و الإسلام فالدار بلْقَعُ
و قُتّل آل المصطفى في خلالها و بُدِّدَ شملٌ منهمُ ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي نفوسَهُمُ أُمُّ المنون فتتبع

(الى آخر الأبيات).

قال : و كان يحيى ديّناً ، كثير التعطف و المعروف على عوام الناس ، بارّاً بخواصهم ، و اصلاً لأهل بيته ، مؤثراً لهم على نفسه ، مُثقَلَ الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرّهن و التحنن عليهن ، لم تظهر له زلة ، و لا عرفت له خزية .

و لمّا قُتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، و حزن عليه الصغير و الكبير ، و جزع لقتله المليء[1] و الدّنيء ، و في ذلك يقول بعض شعراء عصره و مَنْ جزع على فقده :

بكت الخيل شَجْوَها بعد يحيى و بَكاهُ المهنَّدُ المصقول
و بكته العراق شرقاً و غرباً و بكاه الكتاب و التنزيل
والمصلّى والبيت والركن والحِجْرُ جميعاً لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا يوم قالوا : أبو الحسين قتيل
و بنات النبيّ يندبن شَجْواً مُوجَعاتٍ دموعُهُنَّ تسيل
و يؤبِّنَّ للرزيّة بدراً فقده مفظع عزيز جليل

---

١ - المليء : الشريف ، الغني .



قَـطَّعت وجـهه سيوف الأعـادي بأبـــي وجـهه الوسـيم الجـميل
و ليـــحيى الفـتى بـقلبي غـليل كيف يـؤذى بـالجسم ذاك الغـليل
قَـــتْلُه مـــذكّر لقـــتل عــــلي و حســين و يـوم أُودى الرسـول
فـــصلاة الإلَـــه وقـــفاً عـليهم مــا بكــى مُـوجَعٌ وحَـنَّ ثكـول

وكان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر ، وكـان ينزل بالكوفة في حمان ، فقال :

يـا بـقايا السـلف الصـالح و التَّـجْرِ الربـيح
نــحن للايـــام مــن بـين قـتيل و جـريح
خاب وجه الأرض كم غَـيَّبَ مـن وَجْـهٍ صـبيح
آه مـــن يــومك مــا أوداه للـقلب القـريح[1]

خلع المستعين بالله ثم ذبحه

قال الحافظ السّيوطيُّ : « و لمّا مات المنتصر اجتمع القـوّاد و تشـاوروا و قالوا متى ولّيتم أحـداً مـن أولاد المـتوكل لا يـبقى مـنّا بـاقية ، فـقالوا مـا لهـا الا أحمد بن المعتصم ولد استاذنا ، فبايعوه و له ثمان و عشرون سـنة و اسـتمر الى أول سنة احدى و خمسين فتنكّر له الأتراك لمّا قـتل وصـيفاً و بـغا و نـفى بـاغر التركي الذي فتك بالمتوكل و لم يكن للمستعين مع وصيف و بغا رأيٌ حتى قـيل فى ذلك :

---

١ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ٦٣ الى ٦٥ .



خليفة فى قـفـصٍ بين وصيف و بُغَا
يـقول مـا قـالا له كـما تـقول البَبَّغا

و لما تنكّر له الأتراك خاف و انحدر من سامرّا الى بغداد ، فأرسَلُوا اليه يعتذرون و يخضعون له و يسألونه الرجوع فامتنع ، فقصدوا الحبس و أخرجوا المعتزّ بالله و بايعوه و خلعوا المستعين .

ثمّ جهّز المعتزّ جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين ، و استعدّ أهل بغداد للقتال مع المستعين ، فوقعت بينهما و قعات ، و دام القتال أشهراً و كثر القتل ، و غلت الأسعار ، و عظم البلاء ، و انحلّ أمر المستعين فسعوا فى الصلح على خلع المستعين ، و قام في ذلك اسماعيل القاضي و غيره بشروط موكّدة ، فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين و خمسين (و مائتين) و أشهد عليه القضاة و غيرهم ، فأحدر الى واسط ، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، موكلاً به أميرٌ ، ثم ردّ الى سامرّاء .

و أرسل المعتزّ الى أحمد بن طولون أن يذهب الى المستعين فيقتله ، فقال : والله لا أقتل أولاد الخلفاء ، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة (٢٥٢) و له احدىٰ و ثلاثون سنة »[١] .

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

ثم استقرّ مكانه ابن عمّه و قاتله :

﴿ ١٣ ﴾

﴿ المعتزّ بالله بن المتوكّل ﴾

و هو أبو عبدالله محمد المعتزّ بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرّشيد، و اُمّه قبيحة الأمة التي مضىٰ ذكرها في أحوال المتوكل .

قال الحافظ السيوطيّ : « المعتزّ بالله اُمّه اُمّ ولد رومية تسمّى قبيحة ، و بويع له عند خلع المستعين فى سنة اثنتين و خمسين و له تسع عشرة سنة ، و لم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه ، و كان بديع الحسن .

و هو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، و كان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضّة .

و أول سنة تولّىٰ مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة ، و خلف خمسمائة ألف دينار فأخذها المعتزّ و خلع خلعة الملك على محمد بن عبدالله بن طاهر ، و قلّده سيفين ، ثم عزل و خلع خلعة الملك على أخيه أعني أخا المعتزّ أبا أحمد ، و توّجه بتاج من ذهب ، و قلنسوة مجوهرة ، و وُشاحين مجوهرين ، و قلّده سيفين ، ثم عزله من عامه و نفاه الى واسط .

و خلع على بغا الشّرابى و ألبسه تاج الملك ، فخرج على المعتزّ بعد سنة ، فُقتل ، وجيء اليه برأسه .

و فى رجب من هذه السنة خلع المعتزّ أخاه المؤيّد من العهد ، و ضربه ، و

قيّده فمات بعد أيام ، فخشي المعتزّ أن يتحدّث عنه أنّه قتله ، أو احتال عليه ، فاحضر القضاة حتى شاهدوه و ليس به أثر .

و كان المعتزّ مستضعفاً مع الأتراك فاتّفق أنّ جماعةً من كبارهم أتوه و قالوا يا أميرالمؤمنين أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، و كان المعتزّ يخاف منه .

فطلب من أُمّه مالاً لينفقه فيهم ، فأبت عليه و شحّت نفسها ، و لم يكن بقي في بيوت المال شيء فاجتمع الأتراك حينئذ على خلعه ، و وافقهم صالح بن وصيف ، و محمد بن بغا ، فلبسوا السّلاح و جاؤا الى دار الخلافة ، فبعثوا الى المعتزّ أن اخرج الينا .

فبعث يقول قد شربت دواء و أنا ضعيف فتهجّم عليه جماعة و جرّوا برجله ، و ضربوه بالدبابيس[1] و أقاموه فى الشمس فى يوم صائف و هم يلطمون وجهه ، و يقولون : اخلع نفسك ، ثم أحضروا القاضى ابن أبي الشوارب و الشهود ، و خلعوه .

ثم أحضروا من بغداد الى دارالخلافة ـ و هي يؤمئذ سامراء ـ محمد بن الواثق و كان المعتزّ قد أبعده الى بغداد ، فسلّم المعتزّ اليه الخلافة و بايعه .

ثم إنّ الملاء أخذوا المعتزّ بعد خمس ليال من خلعه ، فأدخلوه الحمّام ، فلمّا تغسّل عطش فمنعوه ، الماء ثم أُخرج و هو أوّل ميّت مات عطشاً فسقوه ماء بثلج ، فشربه و سقط ميّتاً ، و ذلك فى شهر شعبان المعظم سنة خمس و خمسين و مائتين .

و اختفت أُمّه قبيحة ، ثم ظهرت فى رمضان و أعطت صالح بن وصيف مالاً عظيماً من ذلك ألف ألف دينار ، و ثلاثمائة ألف دينار و سفط مكوّك زمرد ، و

---

١ - جمع دُبّوس كالقُدّوس : عصا صغيرة على رأسها شبه الكرة : الجرز .

سفط فيه مكوّك[1] لؤلؤ حبّ كبار ، و كيلجة ياقوت أحمر ، و غير ذلك فقوّمت الأسفاط بألفى دينار .

فلمّا رأى ابن وصيف ذلك ، قال : قبّحها الله ، عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار و عندها هذا ، فأخذ الجميع و نفاها الى مكة ، فبقيت بها الى أن تولّى المعتمد فردّها الى سامرّاء و ماتت سنة أربع و ستين»[2] .

الأفراد الذين قتلهم المعتزّ من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أوّلهم : الامام علي النقي بن الرّضا عليهما السلام ، قتله المعتزّ بالسّم ، صرّح به من الامامية شيخ المحدّثين عبّاس القمّي رحمه الله[3] و أشار اليه سبط ابن الجوزي[4] .

الثاني : أحمد بن عبدالله بن موسى بن محمد بن سليمان بن داؤد بن الحسن بن الحسن بن على عليهم السلام ، قُتل بمكة .

الثالث : عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، توفي في الحبس .

الرّابع : جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام ، قتل بالرّي .

الخامس : ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن عبيدالله بن الحسن بن عبدالله بن

---

١ – سَفَطٌ : وعاء للجواهر ، مُكَوَّكٌ : مكيال و هو على قدر ثلاث كيلجات .

٢ – **تاريخ الخلفاء** ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

٣ – **منتهى الآمال** ج ٢ ص ٣٨٥ .

٤ – **تذكرة خواص الأمّة** ص ٣٧٥ .



العبّاس بن علي ، قتل في قزوين .

السادس : أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، توفي في الحبس[1] .

مات المعتزّ سنة (٢٥٥) و قام مقامه ابن عمّه :

﴿ ١٤ ﴾

﴿ المهتدي بالله بن الواثق ﴾

قال الدّيار بكريُّ : « ثم قام بالأمر بعده ابن عمه جعفر بن هارون الواثق بن المعتصم ، و رأيت في غير هذا الموضع أنّ المهتدى اسمه محمد و يلقب بأبى إسحاق ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتزّ بالله .

و لمّا ولي أخرج الملاهي ، و حرّم سماع الغناء و الشراب ، و أمر بنفي المغنّيات و طرد الكلاب و السباع ، و ألزم نفسه الإشراف على الدواوين و الجلوس للناس و إزالة المظالم و تغيير المنكرات ، و قال : إني أستحي من الله أن لا يكون في بنى العباس مثل عمر بن عبدالعزيز في بني اُمية ، فتبرّم به بابك التركي و كان ظلوماً غشوماً ، فأمر المهتدي بقتله ، و لمّا قتل هاجت الأتراك و وقعت الحرب بينهم و بين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة آلاف .

و خرج المهتدي و المصحف فى عنقه و هو يدعو الناس إلى نصرته و

---

١ - ذكر هؤلاء الخمسة أبوالفرج الاصبهاني في **مقاتل الطالبيين** ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

المغاربة معه و بعض العامة ، فحمل عليهم طيبغا أخو بابك فهزمهم ، و مضى المهتدى منهزماً و السّيف في يده ، و قد جرحٍ جرحين ، حتى دخل دار محمد ابن يزداد ، فتجمعت الأتراك و هجموا عليه و أخذوه أسيرا .

و حمله أحمد بن خاقان على دابة و أردف خلفه سائساً بيده خنجر ، فأدخل الى دار أحمد بن خاقان و جعلوا يصفعونه و يقولون اخلعها ، فأبى عليهم ، فسُلّم إلى رجل فوطئ مذاكيره حتى قتله .

و ذلك فى رجب سنة ست و خمسين و مائتين و هو ابن سبع و ثلاثين سنة ، و كانت خلافته أحد عشر شهراً . و قيل : سنة و كان أسمر مليح الصورة ديّناً ورعاً عابداً عادلاً حازماً شجاعاً خليقاً للإمارة لكنّه لم يجد ناصراً .

يقال : إنه كان يسرد الصّوم و ربّماكان فطوره فى بعض الليالي على خبز و خلّ و زيت ، وكان قد سدّ باب اللّهو و الطرب و الغناء ، و حسم الأمراء عن الظلم و كان يجلس لحساب الدوّاوين بنفسه »[١] .

نعم ـ انّ المهتديّ حسم الأُمراء عن الظلم (حسبما اعتقده الدّيار بكريّ) لكنّه مع الأسف لم يحسم نفسه عن الظلم و العدوان على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد قتل منهم فى حكومته عدّة ، منهم :

١ ـ الحسين بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قتل في قزوين .

٢ ـ يحيى بن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، قتل بقرية من قرى الرّي .

---

١ ـ **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .



٣ ـ محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . و حمله الحرث بن أسد الى المدينة فتوفي بالصفراء ، فقطع الحرث رجليه ، و أخذ قيدين كانا فيهما و رمى بهما .

٤ ـ جعفر بن اسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قتل بالبصرة .

٥ ـ موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وكان رجلاً صالحاً ، راوياً للحديث ، قُتل مسموماً ثم قُطع رأسه و حُمل الى المهتدي في المحرم سنة (٢٥٦) .

٦ ـ عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر ، مات بالحبس في الكوفة .

٧ ـ محمد بن عبدالله بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن أبي الكرام بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهما السلام ، قُتل بين الرّي و القزوين .

٨ ـ علي بن موسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، مات بمكة في حبس المهتدي .

٩ ـ محمد بن عبدالحسين بن عبدالرحمان بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، مات في الحبس بسر من رأي .

١٠ ـ علي بن موسىٰ بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، مات في الحبس بسر من رأى .

١١ ـ ابراهيم بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، مات في الحبس بالمدينة .

١٢ ـ عبدالله بن محمد بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. مات في الحبس بالمدينة.

هؤلاء اثنا عشر شهيد من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و علي بن أبي طالب عليه السلام قُتلوا في حكومة المهتدى بالله على ما ذكره أبو الفرج الاصبهاني[1].

و كيف كان فقد قُتل هذا الخليفة أيضاً بنحو فجيع كما ذكر سنة (٢٥٦) و قام مقامه:

﴿ ١٥ ﴾

﴿ المعتمد بالله بن المتوكّل ﴾

و هو أبو العباس أحمد المعتمد بالله بن المتوكّل بن المعتصم بن الرّشيد، كان كسابقيه من الخلفاء في هتك الستور، و الانهماك في الفجور، و ارتكاب المعاصي، و الانغماس في الظلم و الطغيان، و الحيف و العدوان.

قال المسعوديُّ: «كان المعتمد مشعوفاً بالطرب، و الغالب عليه المعاقرة[2] و محبّة أنواع اللهو و الملاهي»[3].

و قال الدّميريُّ: « بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمّه المهتدي بالله (بسر من

---

١ - **مقاتل الطالبيين** ص ٤٣٦ الى ٤٣٩.

٢ - المعاقرة: ادمان شرب الخمر (**الصحاح** ج ٢ ص ٧٥٣).

٣ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٣١.



رأى) وكان له اسم الخلافة و لأخيه الموّفق بن المتوكّل تدبير الملك .

و لمّا مات الموفّق قام بتدبير الملك بعده ابنه المعتضد بن الموفّق ، و غلب على عمّه المعتمد كما كان أبوه غالباً عليه ، فكان المعتمد يطلب الشيء الحقير فلا يناله ، و لم يكن له سوى الاسم ، فقال في ذلك :

أليس من العجائب أنّ مثلي ... يرى ما قلّ ممتنعاً عليه

و توخذ باسمه الدنيا جميعاً ... و ما من ذاك شيء في يديه

قيل : انّه شرب يوماً على الشطّ شراباً كثيراً فتغشّى و مات ، توفي ببغداد منهمكاً على اللهو و اللذات »[1] .

و قال الحافظ السيوطيُّ : « لمّا قُتل المهتدي كان المعتمد محبوساً بالجوسق ، فأخرجوه و بايعوه .

ثم انّه استعمل أخاه الموفّق على المشرق ، و صيّر ابنه جعفراً وليّ عهده و ولاّه مصر و المغرب و لقّبه المفوّض الى الله . و انهمك المعتمد في اللّهو و اللّذات و اشتغل عن الرّعية فكرهه النّاس ، و هو أوّل خليفة قهر و حجر عليه »[2] .

ظلم المعتمد لآل الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم

انّ الأفراد الذين قتلوا من آل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في حكومة المعتمد على ما يلي :

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٥ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٧٧ الى ٢٧٩ .



١ ـ الامام الحسن بن علي العسكري عليه‌السلام ، قُتل مسموماً في سامرّا ، ذكره من الشيعة العلامة المجلسي رحمه‌الله [١] .

٢ ـ أحمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم (بن الحسن) بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم‌السلام ، قتله أحمد بن طولون على باب أسوان و حمل رأسه الى المعتمد .

٣ ـ أحمد بن محمد بن جعفر بن الحسن (بن علي) بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم‌السلام ، توفي في السجن بنيسابور .

٤ ـ عبيدالله بن علي بن عيسىٰ بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم‌السلام ، قُتل بالطواحين .

٥ ـ علي بن ابراهيم (بن الحسن) علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم‌السلام قتل بسر من رأى على باب جعفر بن المعتمد .

٦ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام . قتل صبراً بآبة ، و هي قرية بين قم و ساوة .

٧ ـ حمزة بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، قتل صبراً ثم مُثّل به .

٨ ـ حمزة بن عيسىٰ بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم‌السلام قتل في طبرستان .

٩ و ١٠ ـ الأخوان : محمد و ابراهيم ابنا الحسن بن علي بن عبيدالله بن

---

١ ـ بحارالانوار ج ٥٠ ص ٣٣٥ .



الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قُتلا بطبرستان .

١١ ـ الحسن بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قتل بطبرستان .

١٢ ـ اسماعيل بن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب . قتل بطبرستان .

١٣ ـ محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمٰن بن القاسم بن زيد الأكبر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . توفي في السجن بسر من رأى .

١٤ ـ موسى بن موسى بن محمد بن سليمان بن داؤد بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب عليهم السلام . توفي في السجن بسر من رأى .

١٥ و ١٦ ـ محمد بن أحمد بن عيسىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام و ابنه أحمد بن محمد ، توفيا في الحبس[1] .

موت المعتمد

قال الحافظ ابن كثير الدّمشقيُّ : « انّ المعتمد مكث في الخلافة ثلاثاً و عشرين سنةً ، و لم يكن اليه مع أخيه شيءٌ من الأمر حتى انّه طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل اليها ، وكان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرّا الى بغداد ، ثم لم يعد اليها أحد من الخلفاء .

وكان سبب هلاكه على ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شراباً كثيراً

---

١ ـ مقاتل الطالبيّين ص ٤٤٠ الى ٤٤٣ .

و تعشّى عشاءً كثيراً و كان وقت وفاته في بغداد ، و حين مات أحضر المعتضد القضاة و الأعيان و أشهدهم أنّه مات حتف أنفه ، ثم غسّل و كفّن و صلّي عليه ، ثم حمل فدفن في سامرّا و في صبيحة العزاء بويع للمعتضد سنة (٢٧٣)[١] . و هو ابن أخي المعتمد .

﴿ ١٦ ﴾

﴿ المعتضد بالله بن الموفّق ﴾

و هو أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفّق طلحة بن المتوكّل بن المعتصم بن الرّشيد . و لم يكن متمائزاً في الظلم و الجور عن أسلافه الاّ شدّةً و زيادةً ، بل كان مخترعاً لأنواع العذاب و التنكيل بحيث يشمئزّ بها الجلاّد الجسور ، و تقشعرّ عند سماعها القلوب التي في الصدور .

الاختراعات في أنواع الظلم و القساوة

قال المسعوديُّ : «كان المعتضد قليل الرحمة ، كثير الاقدام ، سفّاكاً للدماء ، شديد الرغبة في أن يمثّل بمن قتله .

وكان اذا غضب على القائد النّبيل ، أو الذي يختصّه من غلمانه ، أمر أن تحفر

---

١ - **البداية و النهاية** ج ١١ ص ٧٥ .



له حفيرة بحضرته ، ثم يدلى على رأسه فيها ، و يطرح التراب عليه ، و نصفه الأسفل ظاهر على التراب ، و يداس التراب ، و لا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره .

و ذُكر من عذابه أنّه كان يأخذ الرّجل فيكتّف و يقيّد ، فيؤخذ القُطن فيُحشىٰ في أُذنه و خيشومه و فمه ، و توضع المنافخ في دبره ، حتى ينتفخ و يعظم جسمه ، ثم يسدّ الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد ـ و قد صار كالجمل العظيم ـ من العرقين الذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع .

و ربما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرّداً موثقاً و يُرمىٰ بالنّشاب حتى يموت .

و اتّخذ المطامير[1] و جعل فيها صنوف العذاب ، و جعل عليها نجاح الحرمي المتولّي لعذاب الناس »[2] .

ظلمه لمحمّد بن الحسن بن سهل

قال المسعوديُّ : « و في سنة ثمانين و مائتين أُخذ ببغداد رجلٌ يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل بن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل ، يلقّب بشميلة ، و معه عبيدالله بن المهتدي ، و لمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة ، و له كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب .

---

۱ – المطامير : جمع المطمورة : المحابس المظلمة تحت الأرض .

۲ – مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

فأقرّ عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي ، و أصيبت له جرائد فيها اسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب ، وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد في يوم بعينه و يقتلوا المعتضد .

فأُدخلوا الى المعتضد ، فأبى مَن كان مع محمد بن الحسن أن يقرّوا ، و قالوا : أمّا الرجل الطالبي فإنّا لا نعرفه ، و قد أُخذت علينا البيعة له و لم نرَهُ ، و هذا كان الواسطة بيننا و بينه ، يعنون محمد بن الحسن ، فأمر بهم فقتلوا ، و استبقى شميلة طمعاً في أن يدلّه على الطالبي ، و خلّى عبيدالله بن المهتدي لعلمه ببراءته .

ثم أراد المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدلّه على الطالبي الذي أخذ له العهد على الرجال ، فأبى ، و جرى بينه و بين المعتضد خطب طويل ، و كان في مخاطبته للمعتضد أن قال : لو شَوَيْتَني على النار ما زدتك على ما سمعت منّي ، و لم أُقر على مَن دعوتُ الناس إلى طاعته و أقررت بإمامته ، فاصنع ما أنت له صانع .

فقال له المعتضد : لسنا نعذبك إلا بما ذكرت ، فذكر أنه جعل في حديدة طويلة أُدخلت في دبره و أخرجت من فمه و أمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد و هو يسبّه و يقول فيه العظائم ، و الأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة و شُدَّ بأطرافها و كتّف و جعل فوق النار من غير أن يماسّها و هو في الحياة يدار عليها و يشوى كما تشوى الدجاج و غيرها الى ان تفرقع جسمه ، و أُخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي »[1] .

---

[1] - مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٥ .



انهماكه في الشهوات

قال المسعوديُّ : « و لم يكن له رغبة الا في النساء و البناء »[١] .

و قال الحافظ السّيوطيُّ : « قال ابن حمدون النديم غرم المعتضد على عمارة البحيرة ستين ألف دينار ، وكان يخلو فيها مع جواريه ، و فيهنّ محبوبته « دريرة » ، فقال ابن بسّام :

تــرك النــاس بِحَيْرَة　　و تـخلّىٰ فـي البـحيرة

قاعداً يـضرب بـالطبل　　عــلى حِــرّ[٢] دريــرة

فبلغ ذلك المعتضد ، فلم يُظهر أنّه بلغه ، ثمّ أمر بتخريب تلك العمارات ، ثم ماتت « دريرة » في أيام المعتضد فجزع عليها جزعاً شديداً ، و قال يرثيها :

يــا حــبيباً لم يكـن　　يعدله عندي حبيبٌ

أنت عن عيني بـعيد　　و من القـلب قـريبٌ

الى آخر الأبيات[٣] .

زواجه من قطر الندىٰ

قال المسعوديُّ : « و في هذه السنة (أي في ٢٧٩) قدِم الحسن بن عـبدالله

---

١ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٤٥ .

٢ - الفرج .

٣ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٨٤

المعروف بابن الجصّاص رسولاً من مصر لخمارويه بن أحمد بن طولون[1] و معه هدايا كثيرة و أموال جليلة ، فوصل الى المعتضد ، ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي بالله .

فقال المعتضد : انّما أراد أن يتشرّف بنا ، و أنا أزيد في تشريفه ، أنا أتزوّجها ، فتزوّجها ، و تولّى ابن الجصّاص أمرها و حمل جهازها ، فيقال : انه حمل معها جوهراً لم يجتمع مثله عند خليفة قطّ ، فاقتطع ابن الجصّاص بعضه ، و أعلم قطر الندىٰ أنّ ما أخذ مودعٌ لها عنده الى وقت حاجتها اليه ، فماتت و الجوهر عنده ، فكان ذلك سبب غناه و استقلاله .

و حمل المعتضد صداق قطر الندى و هو بمدينة بلد إلى أبي الجيش ، و كان الصداق ألف ألف درهم و غير ذلك من المتاع و الطيب و لطائف الصين و الهند و العراق ، و كان مما خصّ به أبا الجيش في نفسه و حَباه به بَدْرةٌ من الجوهر المثمّن فيها درّ و ياقوتٌ و أنواعٌ من الجوهر و وشاحٌ و تاجٌ و إكليلٌ .

و كان وصولهم إلى مصر في رجب سنة ثمانين و مائتين ، و انحدر المعتضد من مدينة بلد و الموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في الماء[2] .

---

١ - أحمد بن طولون : كان المعتزّ بالله ولاّه مصر ، ثم استولىٰ على دمشق و الشّام أجمع و أنطاكية و الثغور (**وفيات الأعيان** ج ١ ص ١٧٣) .

٢ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٤٦



ثراء ابن الجصّاص

و حدّث أبو سعيد أحمد بن الحسين بن منقذ قال : دخلت يوماً على الحسن بن الجصاص و إذا بين يديه سفط مبطّن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح ، فرأيت شيئاً حسناً و وقع في نفسي أنّ عددها يجاوز العشرين ، فقلت له : جعلني الله فداك ! كم عدد ما في كل سبحة ؟ فقال لي : مائة حبة ، وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد و لا تنقص ، قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها ؛ و إذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبّان كما يوزن الحطب .

فلما خرجت من عنده تلقّاني أبو العينا فقال لي : يا أبا سعيد ! على أيّ حال تركت هذا الرجل ؟ فوصفت له ما رأيت ، فقال رافعاً رأسه الى السماء : اللهمّ إن كنت لم تُساوِ بينى و بينه في الغنى ، فساوِ بينى و بينه في العمى ، ثم اندفع يبكي .

فقلت : يا أبا عبيدالله ! ما شأنك ؟

فقال : لا تنكر ما رأيت مني ، لو رأيت ما رأيت لضعفت ، ثم قال : الحمد لله على هذه الحالة ، و قال : يا أبا سعيد ، ما حمدتُ الله تعالى على العمى إلا في وقتي هذا ؛ فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص : بأي شيء ختم هذا السبح ؟ فقال : بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها[1] .

و قال الحافظ السيوطيُّ : « و فيها (أي في سنة ٢٨٢) زفّت اليه قطر الندىٰ فدخل عليها و كان في جهازها أربعة آلاف تكّة[2] مجوهرة ، و عشرة صناديق

---

١ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٤٦ .

٢ - التكّة : رباط السراويل .



جوهر »[١] .

المقتول من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة المعتضد

١ ـ محمد بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، قُتل في جرجان .

٢ ـ محمد بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، توفي في الحبس[٢] .

سبب قلة القتلىٰ من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى خلافة المعتضد

اني تعجّبت أثناء تأليف هذا الكتاب لمّا رأيت قلة القتلىٰ و المظلومين من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دولة المعتضد ، مع نهاية ظلمه و عدوانه و غاية قساوته و طغيانه على سائر الناس ، فكنت طالباً سببه اذ عثرت عليه في كلام المسعودي حيث قال :

« أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي الورّاق الانطاكي الفقيه المعروف بأنطاكية ، قال : أخبرني محمد بن يحيىٰ بن أبي العباد الجليس ، قال : رأى المعتضد بالله و هو في سجن أبيه ، كأنّ شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده الى ماء دجلة ، فيصير

---

١ – تاريخ الخلفاء ص ٢٨٣ .

٢ – مقاتل الطالبين ص ٤٤٥ .

في يده و تجفّ دجلة ، ثم يردّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت .

قال : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فقمت اليه ، و سلّمت عليه .

فقال : يا أحمد ! انّ هذا الأمر صائر اليك ، فلا تتعرّض لولدي ، و لا تؤذِهِمْ .

فقلت : السّمع و الطاعة يا أميرالمؤمنين »[1] .

موت المعتضد بالله

قال الحافظ السيوطيُّ : « اعتلّ المعتضد في ربيع الآخر سنة (٢٨٩) علّة صعبة ، و كان مزاجه قد تغيّر من كثرة افراطه في الجماع »[2] .

قتل النفس حتى عند معائنة الموت

قال المسعوديُّ : « فلمّا اعتراه الغشي و وقع للموت شكّوا في وفاته . فتقدّم الطبيب الى بعض أعضائه فجسّه ، فأحسّ به و هو على ما به من السّكرات ، فأنف من ذلك ، و ركَلَه برجله ، فقلبه أذرعاً ، فيقال : إنّ الطبيب مات منها ، و مات المعتضد من ساعته »[3] .

---

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٥ .

٣ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٤ .

ثروته عند موته

قال المسعوديُّ : « خلّف المعتضد في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار ، و من الورق[١] أربعين ألف ألف درهم ، و من الدّوابّ و البغال و الجمازات[٢] و الحمير و الجمال ، اثني عشر ألف رأس ، و كان مع ذلك شحيحاً بخيلاً ينظر فيما لا ينظر فيه العوام »[٣] .

﴿ ١٧ ﴾

﴿ المكتفي بالله بن المعتضد بالله ﴾

ثم قام بالامامة و زعامة المسلمين أبو محمد علي المتكفي بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرّشيد .

قال الدّميري : « بويع له بالخلافة يوم توفي أبوه المعتضد ، كان وسيماً جميلاً بديع الحسن ، درّي اللّون ، معتدل الطول ، أسود الشعر ، وكان حَسَن العقيدة ، كارهاً لسفك الدّماء ، و وطّأ له أبوه المعتضد الامور ، وكان المكتفي مائلاً الى حبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بارّاً بأولاده .

---

١ - الوَرَق : الدراهم المضروبة .

٢ - أي الحصان السريع العدو .

٣ - **مروج الذهب** ج ٤ ص ١٤٤ .



يحكى أنّ يحيىٰ بن علي الشاعر أنشده بالرّقة قصيدة يذكر فيها فضل أولاد العبّاس على أولاد علي عليه السلام ، فقطع المكتفي عليه انشاده ، و قال : يا يحيىٰ ! ما أُحبّ أن يخاطب أهلنا بشيء من ذلك و ان كانوا خلفاء ، و لم يسمع القصيدة ، و لا أجازه عليها رحمة الله عليه »[1] .

و قال الحافظ السيوطي : « قال الصولي : ليس من الخلفاء من اسمه علي الاّ هو و علي بن أبي طالب عليه السلام ، هدم المطامير التي اتّخذها أبوه و صيّرها مساجد ، و أمر بردّ البساتين و الحوانيت التي أخذها أبوه من الناس الى أهلها ، و سار سيرة جميلة فأحبّه النّاس و دعوا له ، سمعت المكتفي يقول في علّته : والله ما آسىٰ الا على سبع مائة دينار صرفتها من مال المسلمين في ابنية ما احتجت اليها و كنت مستغنياً عنها أخاف أن أُسأل عنها و إنّي استغفر الله منها »[2] .

مات المكتفى بالله شابّاً و هو ابن ثلاثين في سنة (٢٩٥) أو (٢٩٩)[3] .

و قام مقام أُخوه المقتدر بالله .

﴿ ١٨ ﴾

﴿ المقتدر بالله بن المعتضد بالله ﴾

و هو أبوالفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفّق بن المتوكل

---

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٦ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

٣ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٦ و تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨ .



بن المعتصم بن الرّشيد .

أخذ الزعامة و زمام الامامة بيده و هو ابن ثلاث عشرة سنة .

قال الحافظ السيوطيُّ : « لمّا اشتدّت علّة المكتفي سأل عنه ، فصحّ عنده أنّه احتلم فعهد اليه ، و لم يل الخلافة قبله أصغر منه ، فانّه وليها و له ثلاث عشرة سنة ، فاستصباه[1] الوزير العباس بن الحسن ، فعمل على خلعه ، و وافقه جماعة على أن يولّوا عبدالله بن المعتّز ، فبلغ المتقدر ذلك فأصلح حال العبّاس و دفع اليه أموالاً أرضته فرجع عن ذلك .

و أما الباقون فانّهم ركبوا عليه في العشرين من ربيع الأول سنة (٢٩٦) و المقتدر يلعب الكرة فهرب و دخل القصر و اُغلقت الأبواب ، و قُتل الوزير و جماعة ، و اُرسل الى ابن‌المعتّز فجاء و حضر القوّاد و القضاة و الأعيان و بايعوه بالخلافة و لقّبوه الغالب الله»[2] .

و بعث ابن المعتزّ الى المقتدر يأمره بالانصراف الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل ابن المعتز الى دارالخلافة ، فأجاب و لم يكن بقي معه الا طائفة يسيرة ، فقالوا يا قوم نسلّم هذا الأمر و لا نجرّب نفوسنا فى دفع ما نزل بنا ؟ !

فلبسوا السلاح ، و قصدوا المخزم ، و به ابن المعتزّ فلمّا رآهم من حوله ألقى الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال ، و هرب ابن المعتز و وزيره و قاضيه و وقع النهب و القتل فى بغداد .

و قبض المقتدر على الفقهاء و الامراء الذين خلعوه و سلّموا الى يونس

---

١ - أي استصغره و حسبه صبيّاً .

٢ - وفي **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٧ : المرتضىٰ بالله (كما سيأتي) .



الخازن فقتلهم الا أربعة منهم القاضي أبو عمر ، فانهم سلموا من القتل و حبس ابن المعتزّ ، ثم اُخرج فيما بعد ميتاً ، و استقام الأمر للمقتدر ، فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سير وكسف المظالم ، و حضّ المقتدر على العدل ففوّض اليه الاُمور لصغره و اشتغل باللعب و اللهو و أتلف الخزائن .

قال الذهبي اختلّ النظام كثيراً في أيام المقتدر و في سنة إحدى و ثلاثمائة ولى الوزراة علي بن عيسى فسار بعفّة و عدل و تقوى ، و أبطل الخمور و أبطل من المكوس ما ارتفاعه فى العام خمسمائة ألف دينار .

و فيها أُعيد القاضي أبو عمر الى القضاء ، و ركب المقتدر من داره الى الشّماسية و هي أول ركبة ركبها و ظهر فيها للعامة .

و فيها اُدخل الحسين الحلاّج مشهوراً على جمل الى بغداد ، فصلب حيّاً ، و نودي عليه هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفو ، ثم حبس الى أن قتل في سنة تسع (و ثلاثمائة) و اُشيع عنه أنه ادّعى الالّهية و انه يقول بحلول اللاهوت فى الأشراف و يكتب الى أصحابه من النور الشعشعاني ، و نوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن و لا الحديث و لا الفقه .

و فيها سار المهدي الفاطمي يريد مصر فى أربعين ألفاً من البربر ، فحال النيل بينه و بينها فرجع الى الاسكندرية و أفسد فيها و قتل ثم رجع فسار اليه جيش المقتدر الى بَرقة، و جرت لهم حروبٌ ثم ملك الفاطمي الاسكندرية و الفيوم من هذا العام .

و فى سنة اثنتين ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار ، و ختن معهم طائفة من الأيتام و أحسن اليهم .

و فيها صلّى العيد فى جامع مصر و لم يكن يصلّى فيه العيد قبل ذلك ، فخطب

بالناس علي بن أبى شيخة من الكتاب نظراً و كان من غلطه أن قال : **اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِه و لا تَمُوْتُنَّ اِلاّ وَ أَنْتُمْ مُشْرِكُوْنَ** [١] .

و فيها (أي سنة ٣٠٦) صار الأمر و النهي لحرم الخليفة و لنسائه لركاكته ، و آل الأمر الى أن أمرت أُمّ المقتدر بمثل القهرمانة أن تجلس للمظالم و تنظر فى رقاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس و تحضر القضاة و الأعيان و تبرز التواقيع و عليها خطّها [٢] .

و في سنة (٣١٧) خرج مونس الخادم الملقّب بالمظفّر على المقتدر لكونه أنه يريد أن يوليّ هارون بن غريب مكان مونس ، و ركب معه سائر الجيش و الامراء و الجنود و جاؤا الى دارالخلافة فهربت خواص المقتدر و أُخرج المقتدر بعد العشاء ، و ذلك فى ليلة رابع عشر المحرم ، من داره و أُمّه و خالته و حرمه ، و نهب لأمّـه ستمائة ألف دينار و اشهد عليه بالخلع ، و أُحضر محمد بن المعتضد و بايعه مونس و الامراء و لقّبوه القاهربالله ، فوّضت الوزراة الى علي بن أبى مقلة و ذلك يوم السبت و جلس القاهر يوم الأحد وكتب الوزير عنه الى البلاد ، و عمل الموكب يوم الاثنين فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة و رزق السنة ، و لم يكن مونس حاضراً فارتفعت الأصوات فقتلوا الحاجب فمالوا الى دار مونس يطلبون المقتدر ليردّوه الى الخلافة فحملوه على أعناقهم من دار مونس الى قصر الخلافة و أُخذ القاهر فجيء به و هو يبكي و يقول : الله الله في نفسي فاستدناه و قبّله و قال له يا أخي أنت والله لا ذنب لك والله لا جرى عليك منّي سوء أبداً فطب نفساً ، و سكّن الناس ، و عاد الوزير فكتب

---

١ - و الصحيح : و أنتم مسلمون . **سورة آل عمران** ٣ : ١٠٢ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٨٨ الى ٢٩٠ .



الى الأقاليم بعود الخليفة الى خلافته »[١] .

قتل الوزير ابن الفرات

و ممن قتله المقتدر ظلماً و صبراً وزيره أبوالحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن فرات وزر له ثلاث دفعات و خدمه مدة طويلة (١٦ سنة)[٢] .

قال ابن خلكان :كان كاتباً كافياً خبيراً ، و كان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم و الدين و البيوت و الفقراء .

قال الصولي : و من فضائله التي لم يسبق اليها أنّه كان اذا رفعت اليه قصة فيها سعاية ، خرج من عنده غلامٌ فنادى : أين فلان بن فلان الساعي ؟ فلمّا عرف الناس ذلك، امتنعوا من السعاية بأحد .

و قال : انه قام من مرضه ـ و قد اجتمعت الكتب و الرقاع عنده ـ فنظر في ألف كتاب ، و وقّع ألف كتاب ، و وقّع في ألف رقعة ، فقلنا له : بالله لا يسمع بهذا أحدٌ خوفاً من العين عليه .

و كان اذا مشىٰ الناس بين يديه غضب و قال : انّا لا نكلّف هذا غلماني فكيف أُكلّف أحراراً لا احسان لي عليهم[٣] .

قال ابن الأثير : و من محاسنه أنّه جرىٰ عنده ذكر أصحاب الأدب ، و طلبة

---

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٩١ الى ٢٩٢ .

٢ - **وفيات الأعيان** ج ٣ ص ٤٢١ .

٣ - **وفيات الأعيان** ج ٣ ص ٤٢٣ .

الحديث ، و ما هم عليه من الفقر و التعفّف ، فقال : أنا أحقّ من أعانهم ، و أطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم ، و للشعراء عشرين ألف درهم ، و لأصحاب الأدب عشرين ألف درهم ، و للفقهاء عشرين ألف درهم ، و للصّوفية عشرين ألف درهم ، فذلك مائة ألف درهم .

و كان اذا ولي الوزراة ارتفعت أسعار الثلج ، و الشمع ، و السكر ، و القرطاس لكثرة ما يستعملها[1] .

فمثل هذا الشخص قتله المقتدر بعد ما خدمه في الوزراة ثلاث مرّات ، قتله صبراً و هو صائم ، و قد قتل قبله ابنه و وضع رأسه بين يديه و ذلك في سنة (٣١٢) و لعلّ جرمه الوحيد الذي لا يغفر كونه شيعياً كما قاله صاحب الأعيان[2] .

المقتولون من آل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في خلافة المقتدر

و هم على ما ذكره أبو الفرج الاصبهاني :

١ ـ العباس بن اسحاق (و هو الذي يقال له المهلوس) بن ابراهيم بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . قتل بمدينة أرمينية يقال لها ديبل .

٢ ـ المحسن بن جعفر بن على بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و أُدخل رأسه الى بغداد ،

---

١ ـ **الكامل** لابن الأثير ج ٨ ص ١٥٤ .

٢ ـ أعيان الشيعة ج ٩ ص ٨٤ .



و أظهر من قتله أنّه كان دعا الى خلاف السلطان فقتله لذلك .

٣ـ طاهر بن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام . قُتل بالمدينة مسموماً[١] .

ثروة المقتدر بالله

قال الحافظ السّيوطيُّ : «كان المقتدر جيّد العقل ، صحيح الرّأي[٢] لكنه كان موسراً للشهوات و الشراب مبذراً ، و كان النساء غلبن عليه فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة و نفائسها ، و أعطى بعض حظاياه الدرّة اليتيمة وزنها ثلاث مثاقيل ، و أعطى زيدان القهرمان سبحة جوهر لم ير مثلها ، و أتلف اموالاً كثيرة ، و كان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان غير الصقالبة و الرّوم و السّود ، و خلّف اثني عشر ولداً ذكراً ، و ولي الخلافة من أولاده ثلاثة الراضي و المتقي و المطيع ، و كذلك اتفق للمتوكل و للرشيد[٣] .

عاقبة أمر المقتدر

قال الدّميريُّ : « ثمّ جرىٰ بين المقتدر و بين مؤنس الخادم حرب فاقتحم

---

١ - **مقاتل الطالبيين** ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

٢ - سيأتي قول الحافظ الذهبي فيه : انه كان ناقص الرأي .

٣ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٩٣ .

المقتدر نهر السكران ، فأحاط به جماعة من البربر ، فقتله رجل منهم ، و أخذوا رأسه و ثيابه و مضوا إلى مؤنس الخادم ، فمرّ بالمقتدر رجل من الأكراد فستر عورته بحشيش و دفنه و أخفى أثره .

كان قتله يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ست عشرة و ثلثمائة (٣١٦) و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة و شهر ، و كانت خلافته أربعاً و عشرين سنة و أحد عشر شهراً خلع فيها مرّتين ثم قتل كما تقدم .

و حكى الذهبي : أنّ خلافته كانت خمساً و عشرين سنة ، و أنه عاش ثمانياً و ثلاثين سنة ، و أنه كان مسرفاً مبذراً للمال ناقص الرأي أعطى جاريةً له الدرّة اليتيمة كان وزنها ثلاثة مثاقيل و ماكانت تقوّم ، و قيل : إنه محق من الذهب ثمانين ألف ألف دينار في أيامه »[١] .

و قال ابن الأثير : « أراد المقتدر أن ينحدر الى واسط ، و يكاتب العساكر من جهة البصرة و غيرها ، فردّه ابن ياقوت عن ذلك و زيّن له اللقاء و قوّىٰ نفسه بأنّ القوم متى رأوه عادوا بأجمعهم اليه ، فرجع الى قوله و هو كارهٌ .

فخرج و بين يديه الفقهاء و القرّاء معهم المصاحف مشهورة ، و عليه البردة ، و الناس حوله ، فوقف على تلٍّ عالٍ بعيد عن المعركة .

فأرسل قوّاد أصحابه يسألونه التقدّم ، فلمّا ألحّوا عليه تقدّم من موضعه ، فانهزم أصحابه قبل وصوله اليهم ، و كان قد أمر فنودي : من جاء بأسير فله عشرة دنانير ، و من جاء برأس فله خمسة دنانير .

فلمّا انهزم أصحابه لقيه علي بن بليق ـ و هو من أصحاب مونس ـ فترجّل و

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٨ .

قبّل الأرض ، و قال له : اين تمضي ؟ ارجع ! لعن الله من أشار عليك بالحضور !

فأراد الرّجوع ، فلقيه قومٌ من المغاربة و البربر ، فتركه علي معهم و سار عنه ، فشهروا عليه سيوفهم ، فقال : ويحكم ! أنا الخليفة !

فقالوا : قد عرفناك يا سِفْلَةُ ! أنت خليفة ابليس ، تبذل في كل رأس خمسة دنانير ! و في كل أسير عشره دنانير ! و ضربه أحدهم بسيفه على عاتقه ، فسقط الى الأرض ، و ذبحه بعضهم .

(ثم قال ابن الأثير) وكان المقتدر ثقيل البدن ، عظيم الجثّة ، فلمّا قتلوه رفعوا رأسه على خشبة و هم يكبّرون و يلعنونه و أخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، و تركوه مكشوف العورة ، الى ان مرّ به رجلٌ من الأكراد فستره بحشيش ، ثم حفر له موضعه ، و دفن فيه و عفي قبره »[1] .

ثم قام مقامه ابن عم أبيه :

﴿ ١٩ ﴾

﴿ المرتضى بالله بن المعتزّ بالله ﴾

و هو : المرتضىٰ بالله بن المعتزّ بالله بن المتوكل على الله .

قال الدّميريُّ : « بويع له بالخلافة بعد خلع المقتدر بعد أن شرط عليهم أن لا يكون فى ذلك حرب و لا سفك دم ، فلمّا بويع له كتب إلى المقتدر يأمره بلزوم

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ج ٨ ص ٢٤٢ .

دار ابن طاهر بوالدته و جواريه ، و أمر الحسن بن حمدان و ابن عمرويه صاحب الشرطة أن يصيرا إلى دار المقتدر ، فمضيا فخرج إليهما الغلمان و رموهما بالحجارة ، و جرت بينهم حرب شديدة آخرها أنّ أصحاب المقتدر ظهروا عليهما ، فانهزما و انهزم المرتضى بالله و تفرّق أصحابه و استتر عند ابن الجصّاص و لم يتم له أمر غير يوم و ليلة ، و لذلك لم يعد المؤرّخون خلافته فى هذه المدة ، ثم عاد المقتدر إلى ماكان عليه ، ثم ظفر بالمرتضى بالله فقتله خنقاً و أظهر أنه مات حتف أنفه ، و أخرج و هو ميت من دارالخلافة فدفنوه فى خرابة بإزاء داره ، وكان عمره خمسين سنة .

(ثم قال نقلاً عن ابن خلّكان) انّه كان شاعراً ماهراً فصيحاً مجيداً مخالطاً للعلماء و الأدباء ، و هو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها و لم يتقدمه من شقّ غباره ، وكان قد اتفق معه جماعة و خلعوا المقتدر و بايعوه و لقّبوه بالمرتضى بالله ، فأقام يوماً و ليلةً .

ثم إنّ أصحاب المقتدر تحزّبوا و حاربوا أعوان ابن المعتز و شتّتوهم فاستخفى ابن المعتز ثم أُخذ ليلاً فلمّا أُدخل على المقتدر أمر به فطُرح على الثلج عرياناً و حشي سراويله ثلجاً فلم يزل كذلك ، و المقتدر يشرب ، إلى أن مات و ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و مائتين ، و ليس هو بمعدود فى الخلفاء لأنه لم يثبت له أمر »[١] .

ثم ناب منابه ابن عمّه :

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

﴿ ٢٠ ﴾

﴿ القاهر بالله بن المعتضد بالله ﴾

هو أبو منصور محمد القاهر بالله بن الموفّق طلحة بن المتوكل ، اُمه اُمّ ولد اسمها « فتنة » بويع بعد قتل المقتدر ، و لقّب القاهر بالله كما لقّب به من قبل ، سنة (٣١٧) أيام المقتدر .

قال الحافظ السّيوطيُّ : « فأوّل ما فعل صادر آل المقتدر و عذّبهم و ضرب اُمّ المقتدر حتى ماتت في العذاب .

و في سنة (٣٢١) شغب عليه الجند ، و اتفق مونس و ابن مقلة و آخرون على خلعه بابن المكتفي ، فتحيّل القاهر عليهم الى أن أمسكهم و ذبحهم و طيّن على ابن المكتفي بين حيطتين .

و أمّا ابن مقلة فاختفى فاُحرقت داره ، و نهبت دور المخالفين ، ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا و استقام الأمر للقاهر ، و عظم في القلوب و زيد في ألقابه (المنتقم من أعداء دين الله).

و في هذه السنة أمر بتحريم القيان و الخمر ، و قبض على المغنيّن ، و نفى المخانيث ، و كسر آلات اللهو ، و أمر ببيع المغنيّات من الجواري على أنهنّ سواذج[1] و كان مع ذلك لا يصحو من السُكر و لا يفترّ من سماع الغناء .

---

١ – يعني السواذج من الغناء ، فبعن بثمن عادي .

و قال الصولي :كان القاهر أهوج [١] سفّاكاً للدّماء ، قبيح السّيرة ،كثير التلوّن و الاستحالة ، مدمن الخمر ، و لولا جودة حاجبه (سلامة) لأهلك الحرث و النّسل ، و كان صنع حربة يحملها معه فلا يطرحها حتى يقتل بها انساناً » [٢] .

نبذة من مظالمه العجيبة التي قلّ نظيرها

قال السّيوطيُّ : « قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل النّوبختي الذي قد أشار بخلافة القاهر ألقاه على رأسه في البئر و طُمّت ، و ذنبه أنّه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية و اشتراها فحقد عليه » [٣] .

و قال الدّميري : « لمّا ولي (القاهر) قبض على ابن أخيه المكتفي و أمر به فأُقيم في بيت و سدّ عليه بالآجر و الجصّ حتى مات غمّاً [٤] .

و قبض على السيدة أم المقتدر و طالبها بمال لم تقدر عليه فتهدّدها و ضربها بيده و عذّبها بأنواع العذاب ، و علّقها منكّسةً حتى كان يجرى بولها على وجهها ، و هي تقول له : ألستُ أمّك فى كتاب الله ؟ و خلّصتك من ابني في المرّة الأولى ؟ و أنت تعاقبنى بهذه العقوبة و لم يبق عندي مال ، ثم إنّها ماتت عقب ذلك .

ثمّ إنّ الجند شغبوا عليه و جاءوا إلى داره و هجموا عليه من سائر الأبواب

---

١ – المتهوّر الذي يوقع نفسه فى الحروب .

٢ – تاريخ الخلفاء ص ٢٩٤ ـ ٢٩٩٥ .

٣ – المصدر .

٤ – غمّه : غطّاه .



فهرب إلى سطح حمّام و استتر فيه ، فأتوا اليه و قبضوا عليه و حبسوه و خلعوه من الخلافة و سملوا عينيه ، و ذلك في جمادى الآخر سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائة »[١] .

و قال السّيوطيُّ : « و فيها (أي في سنة ٣٢٢) تحرّك الجند عليه ، لأنّ ابن مقلة في اختفائه كان يوحشهم منه ، و يقول لهم انّه بنىٰ لكم المطامير ليحبسكم و غير ذلك فأجمعوا على الفتك به ، فدخلوا عليه بالسّيوف ، فهرب فأدركوه و قبضوا عليه ، و بايعوا بالعباس (محمد بن المقتدر) و لقّبوه (الرّاضي بالله) .

ثم أرسلوا الى القاهر و الوزير و القضاة فجاؤه ، فقيل له ما تقول ؟

قال (القاهر) أنا أبو منصور محمد بن المعتضد ، لي في أعناقكم بيعة ، و في أعناق الناس ، و لست أبرئكم ، و لا أُحلّلكم منها ، فقوموا فقاموا .

قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الرّاضي و أعدت عليه ما جرىٰ ، و أعلمته أنّي أرىٰ امامته فرضاً .

فقال : انصرف ! و دعني و إيّاه ، فأشار (سيماء) مقدّم الحجريّة على الرّاضي بسمله[٢] فكحله بمسمارٍ محميٍ ، فسالت عيناه على خدّيه »[٣] .

وقعت هذه الحادثة في سنة (٣٢٢) .

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٩ .

٢ - أى فقأه (جعله أعمى) .

٣ - **تاريخ الخلفاء** ص ٢٩٥ .

عبرةٌ من العِبرَ لمن وعى و اعتبر

قال الدّميريُّ : « قال ابن البطريق فى تاريخه : كان القاهر قد ارتكب أموراً قبيحةً لم يسمع بمثلها فى الإسلام وذكر منها طرفاً طويلاً . حكي أنّ رجلاً قال : صلّيت في جامع المنصور ببغداد فإذا أنا بإنسان عليه جبّة عنّابية و قد ذهب وجهها و بقي بعض قطن بطانتها و هو يقول : أيها الناس تصدّقوا عليّ ، بالأمس كنت أميرالمؤمنين و أنا اليوم من فقراء المسلمين ، فسألت عنه ، فقيل لي : إنه القاهر بالله، و في هذه الحكاية أعظم عبرة ، نعوذ بالله من سخطه و زوال نعمه »[١] .

ثمّ قام بالأمر بعده ابن أخيه الراضي بالله .

« ٢١ »

« الراضي بالله بن المقتدر بالله »

و هو أبو العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر بن المعتضد بن الموفّق بن المتوكّل .

قال الدّميريُّ : «بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر ، و استوزر أبا علي بن مقلة و أطلق كل من كان فى حبس القاهر ، ثم استدعى بالأمير محمد بن رائق ، و كان بواسط متغلّباً عليه لأنّ الضرورة ألجأته إلى ذلك لاضطراب الأُمور عليه ، و

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٩ .

لضعف من يلي الوزراة عن القيام بها ، فقدم ابن رائق بغداد فجعله الراضي أمير الأمراء و فوّض إليه تدبير المملكة و خلع عليه و أعطاه اللواء .

من ذلك اليوم بطل أمر الوزراة ببغداد و لم يبق إلا اسمها و الحكم للأمراء و الملوك المتغلّبين .

و كان قدومه لخمس بقين من ذي الحجة سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة ، ثم دخلت سنة خمس ، و الدنيا فى أيدى المتغلبين و هم ملوك الأرض ، و كل من حصل فى يده بلد ملكه و مانع عنه ، فالبصرة و واسط و الأهواز فى يد عبدالله البريدي و أخويه ، و فارس فى يد عمادالدولة بن بويه ، و الموصل و ديار بكر و ديار ربيعة و ديار مضر في يد بني حمدان ، و مصر و الشام فى يد الإخشيد بن طغج ، و المغرب و إفريقيا في يد المهدي ، و الأندلس فى يد بني أمية ، و خراسان و ما والاها في يد نصر بن أحمد الساماني ، و اليمامة و هجر و البحرين فى يد أبي طاهر القرمطي : و طبرستان و جرجان فى يد الديلم ، و لم يبق فى يد الراضي و ابن رائق سوى بغداد و ما والاها ، فبطلت دواوين المملكة و نقص قدر الخلافة و ضعف ملكها و عمّ الخراب لذلك :

و توفي الراضى ليلة السبت خامس عشر ربيع الأول سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة (٣٢٩) بعلّة الاستسقاء و التنحنح و كان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع و هو ابن إثنتين و ثلاثين سنة و أشهر ، و خلافته ست سنين و عشرة أشهر »[١] .

ثم قام مقامه أخوه المتقي بالله .

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٢٩ _ ١٣٠ .

﴿ ٢٢ ﴾

﴿ المتقي لله بن المقتدر بالله ﴾

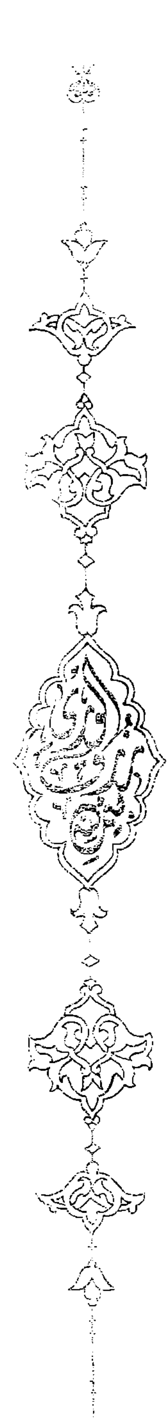
و هو أبو اسحاق ابراهيم المتقي لله بن المقتدر بن المعتضد بن الموفّق بن المتوكل.

قال السيوطيُّ : « بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الرّاضي و انه لم يغيّر شيئاً قطّ، و لا تسرّى الا جاريته التي كانت له ، و كان كثير الصّوم و التعبّد ، و لم يشرب نبيذاً قطّ ، و كان يقول لا أُريد نديماً غير المصحف (لكنّه) لم يكن له سوى الاسم ، و التدبير لابن عبدالله أحمد بن علي الكوفي كاتب بجكم .

و سار من واسط تورون فقصد بغداد ، فدخلها فخلع عليه المتقي و ولاّه أمير الأُمراء ، ثم وقعت الوحشة بين المتقي و تورون ، فراسل الخليفة تورون في الصلح ، فأجاب و بالغ في الأيمان .

ثم حضر أخشيد (والي مصر) الى المتقي ـ و هو بالرّقة و قد بلغه مصالحة تورون ـ فقال : يا أميرالمؤمنين ! أنا عبدك و ابن عبدك ، و قد عرفت الأتـراك و فجورهم و غدرهم ، فالله الله في نفسك ، سر معي الى مصر ، فهي لك و تأمن على نفسك ، فلم يقبل .

فرجع أخشيد الى بلاده و خرج المتّقي من الرقّة الى بغداد في رابع محرّم سنة ثلاث و ثلاثين (٣٣٣) وخرج للقائه تورون فالتقيا بين الأنبار و هيت ، فترجّـل تورون و قبّل الأرض ، فأمره المتّقي بالركوب فلم يفعل ، و مشى بين يديه الى المخيّم الذي ضربه له ، فلمّا نزل قبض عليه و على ابن مقلة (وزيره) و من معه ثم



كحل الخليفة[١] و أُدخل بغداد مسمول العينين ، وقد أُخذ منه الخاتم والبردة والقضيب .

وأحضر تورون عبدالله بن المكتفي و بايعه بالخلافة و لقّبه «المستكفي بالله» ثم بايعه المتقي المسمول ، وأشهد على نفسه بالخلع من ذلك .

ولمّا بلغ القاهر انه سمل ، قال : صرنا اثنين نحتاج الى ثالث ، فكان كذلك لمّا سمل المستكفي أيضاً .

وقال القاهر :

صرت و ابراهيم شيخي عمى لابدّ للشيخين من مصدر
مادام تورون له إمرةٌ مطاعةٌ فالميل فى المجمر

ثم أُخرج المتّقي الى جزيرة فسجن بها فأقام بالسجن خمساً وعشرين سنة .

و كان ابن حمدي اللصّ ضمّنه أبو جعفر ابن شيرزاد[٢] لمّا تغلّب على بغداد اللّصوصية بها بخمسة و عشرين ألف دينار فى الشهر ، فكان يكبس[٣] بيوت الناس بالمشعل و الشمع و يأخذالأموال ، و ذلك فى سنة اثنتين و ثلاثين بعد ثلاث مائة (٣٣٢)[٤] .

ثم تزعزت الدولة العبّاسية من بعد القاهر بالله كما علمت سابقاً ، لأنّ الحكومة الظاهرية كانت للخلفاء ، والأمر و النهيّ و التدبير كان بيد غلمانهم من الأتراك و المغاربة والقوّاد يفعلون مايشاؤن ، حتى عزل الخليفة و نصبه و مجازاته و

---

١ ـ أى قفأ عينيه بامرار المسمار المحميّ فيهما ، وقد مضى مثله في ترجمة القاهر .

٢ – وهو أحد كتّاب تورون .

٣ –أي يهجم .

٤ – **تاريخ الخلفاء** ص ٢٩٩ ـ الى ـ ٣٠١

تعذيبه كان بأيديهم .

هذا ـ مع انقسام بلادهم بين الخلفاء الآخرين من الفاطميين فى مصر و افريقيا ، والسّلاطين من آل بويه ، و سلجوقيين و آل حمدان كسيف الدولة و أمثاله ، فلم يبق لهم من الخلافة الا اسمها ومن الامامة الا رسمها ، وكان نتيجة ذلك حسناً بالنسبة ، لأنهم رفعوا اليد عن ظلمهم على العباد ، وأظهروا للنّاس الصلاح والسداد ، وكيف كان فلا نطيل الكلام فيهم ، بل نذكربقيّتهم نائياً عن الاكثار ، مراعياً الاختصار ، لئلّا يقال انّ كلامنا بعُد عن المقصود ، وهو اقامة البرهان على وجود الامام الموعود عليه السلام .

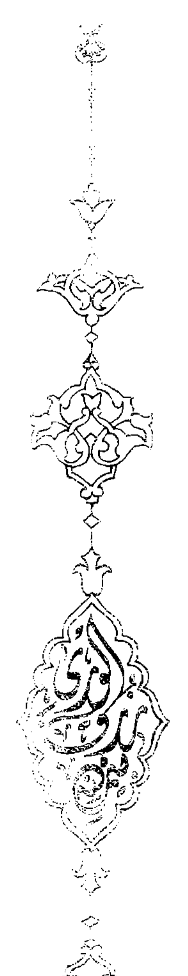
ثم قام مقام المتقي‌بالله بعد سمله وعزله فى سنة (۳۳۳) المستكفي بالله .

﴿ ۲۳ ﴾

﴿ المستكفي بالله بن المكتفي بالله ﴾

و هو أبو القاسم عبدالله المستكفي بالله بن المكتفي بن المعتضد . بويع له بعد عزل ابن عمه المتقي لله وسمله . و فى أيّامه قدم معزّ الدولة بن بويه بغداد ، فخلع عليه وجعل له امارة الأُمراء وعقد له لواء ، وفوّض اليه ما وراء بابه ، وهو أوّل ملوك بني بويه فى حضرة الخليفة ، وهو الذي لقّبه معزّ الدولة ، ولقّب أخاه عماد الدولة و أخاه الآخر بركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم على الدينار والدرهم ، ويخطب لهم على المنابر .

و فى سنة أربع و ثلاثين و ثلاث مائة (۳۳٤) كان خلعه ، وسبب ذلك أنّ



معزّالدولة بلغه أنّ المستكفي قد دبرّ على هلاكه ، فدخل على المستكفي وقبلّ الأرض ، ثم قبلّ يديه فطرح له كرسيٌ فجلس عليه ، ثم تقّدم اليه رجلان من الديلم و مدّا أيديهما الى المستكفي ، فظنّ أنّهما يريدان تقبيل يده ، فمدها اليهما ، فجذباه من على السرير ، وجعل عمامته فى عنقه ، ثم سحب الى معزّ الدولة و اعتقل ثم خلع و سملت عيناه ، و انتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شئ ، ثم أحضروا الفضل بن المقتدر و هو ابن عمّ المستكفي ، ولقّبوه «المطيع لله » فبايعوه ، وقدّموا المستكفي اليه فسلّم عليه بالخلافة و أشهد على نفسه بالخلع ، وكان يتظاهر بالتشيّع [1] .

ثم قام مقامه ابن عمّه المطيع لله .

﴿ ٢٤ ﴾

﴿ الميطع لله بن المقتدر بالله ﴾

و هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله . بويع له يوم خلع المستكفي وكان أمره ضعيفاً ، و تدبير المملكة الى معزّ الدولة فعينّ له كل يوم نفقة مائة دينار فقط [2] .

قال الدّميريُّ : «كان معزّ الدولة ملكاً شجاعاً مقداماً قوي القلب [3] الا أنّه كان

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٣٠ ، **تاريخ الفخري** ص ٢٧٨ .

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٣٠٢

٣ - **(الماعُ الى دولة بني بويه)** هم عماد الدّولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، ومعزّ الدولة أبو الحسن أحمد ، أولاد أبى شجاع بويه بن فناخسرو من آل يزدجرد ملك ايران =

. . . .

= أمّا ابتداء أمرهم ، فانّ والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال ، فماتت زوجته وخلّفت ثلاث بنين ، فلمّا ماتت اشتدّ حزنه عليها ، فحكى شهريار بن رستم الديلمي ، قال : كنت صديقاً لأبى شجاع بويه ، فدخلت اليه يوماً فعذلته على كثرة حزنه ، وقلت له : أنت رجلٌ يحتمل الحزن ، وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ، وربما مات أحدهم فيجدّد لك من الأحزان مايُنسيك المرأة و سلّيته بجهدي ، و أخذته و أولاده الى منزلي ليأكلوا طعاماً ، وشغلته عن حزنه ، فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجلٌ يقول عن نفسه أنه منجّم ومعبرّ للمنامات ، فأحضره أبو شجاع و قال له : رأيت فى منامي كأنني أبول ، فخرج من ذكري نارٌ عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السّماء ، ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب ، و تولّد من تلك الشعب عدّة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النّيران ، و رأيت العباد و البلاد خاضعين لتلك النّيران .

فقال المنجمّ : هذا منامٌ عظيمٌ لاأُفسرّه الاّ بخلعة ، و فرس ، و مركب .

فقال أبو شجاع : و الله ما أملك الاّ الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عُرياناً ؛ قال المنجّم : فعشرة دنانير ؛ قال : والله ماأملك ديناراً فكيف عشرة ! فأعطاه شيئاً ، فقال المنجّم : اعلم أنّه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض و مَن عليها ، ويعلو ذكرهم فى الآفاق كما علت تلك النار ، و يولد لهم جماعة ملوك بقدر مارأيتَ من تلك الشعب .

فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر منّا ؟ أنا رجلٌ فقيرٌ و أولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً ؟

فقال المنجّم : أخبرني بوقت ميلادهم ؛ فأخبره ، فجعل يحسب ، ثم قبض على يد أبى الحسن عليّ فقبّلها و قال : هذا والله الذي يملك البلاد ، ثم هذا من بعده ، و قبض على يد أخيه أبي عليّ الحسن ، فاغتاظ منه أبو شجاع ، وقال لأولاده : اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا ! فصفعوه ، وهو يستغيث ، ونحن نضحك منه ، ثم أمسكوا ، فقال لهم : اذكروا لي هذا إذا قصدتُكم وأنتم ملوك ؛ فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم . (**الكامل** لابن الأثير ج ٨ ص ٢٦٦).

قال ابن خلكان : «كان علي بن بويه عماد الدولة أكبر أولاد بويه وهو أول من ملك من بني بويه و كان أبوه صيّاداً و ليست له معيشة الا صيد السمك ، ثم الحسن ركن الدولة ، ثم معزّ الدولة والجميع ملكوا. و كان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم ، واستولوا على البلاد و ملكوا العراقين والأهواز و =



فی أخلاقه شراسة[1] فما زالت التجارب تحنّکه ، و السعادة تخدمه و ترفعه ، الی أن بلغ الغاية التي لم يبلغها قبله أحدٌ في الاسلام الا الخلفاء »[2].

ثم خلع المطيع نفسه من الخلافة و سلّمها لولده عبدالكريم وسمّاه الطائع لله و

= فارس ، وساسوا أُمور الرّعية أحسن سياسة .

انّ عماد الدولة اتفقت له أسباب عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه ، منها : أنه لمّا ملك شيراز فی أول ملكه اجتمع أصحابه و طالبوه بالأموال ، و لم يكن معه ما يرضيهم به و أشرف أمره على الانحلال ، فاغتمّ لذلك فبينما هو مفكّر قد استلقى على ظهره فی مجلس قد خلا فيه للفكرة والتدبير إذ رأى حيّة قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس و دخلت موضعاً آخر منه ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعا الفرّاشين و أمرهم بإحضار سُلّم ، وأن تخرج الحية ؛ فلمّا صعدوا و بحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يُفضي إلى غرفة بين سقفين ، فعرّفوه ذلك ، فأمرهم بفتحها ففتحت فوجد فيها عدة صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة ألف دينار ، فحمل المال إلى بين يديه ، فسُرّ به و أنفقه فی رجاله ، و ثبت أمره بعد أن كان قد أشرف على الانخرام .

ثم إنه قطع ثياباً و سأل عن خياط حاذق ، فوُصف له خياط كان لصاحب البلد قبله ، فأمر باحضاره ، و كان أطرشاً ، فوقع له أنّه قد سُعي به إليه في وديعة كانت عنده لصاحبه ، و أنه طلبه لهذا السبب ، فلمّا خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لايدري ما فيها ، فعجب عماد الدولة من جوابه ، ووجّه معه من حملها ، فوجد فيها أموالاً و ثياباً بجملة عظيمة ، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ، ثم تمكّنت حاله واستقرّت قواعده .

وكانت وفاته يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى سنة ثمان و ثلاثين ، وقيل تسع و ثلاثين وثلثمائة بشيراز ، و دفن فی دار المملكة ، وأقام فی المملكة ست عشرة سنة ، وعاش سبعاً وخمسين سنة و لم يعقّب رحمه الله .

و أتاه فی مرضه أخوه ركن الدولة و اتفقا على تسليم بلاد فارس إلى عضد الدولة بن ركن الدولة فتسلمها (**وفيات الأعيان** ج ٣ ص ٤٠٠) .

١ – شَرِسَ شَرَاسَةً : ساء خلقه .

٢ – **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٣١.

ذلك في سنة ثلاث و ستين و ثلاث مائة (٣٦٣) وكانت خلافته تسعاً و عشرين سنة .

ثم قام بالأمر بعده ولده .

﴿ ٢٥ ﴾

﴿ الطائع لله بن المطيع لله ﴾

وهو أبو بكر عبدالكريم الطائع لله بن المطيع بن المقتدر ، بويع له يوم خلع أبوه ، و عمره سبع و أربعون سنة ، ولم يل الخلافة في بني العباس من هو أكبر سنّاً منه ، ولم يتقلد الخلافة من أبوه حيّ سوى الطائع لله و ابن أبي قحافة وكلاهما كنيته أبو بكر .

ولمّا مات عضد الدولة قام بتدبير المملكة بعده ولده بهاء الدولة فخلع عليه الطائع لله ، و قلّده ماكان بيد أبيه .

ثمّ بعد مدّة قبض بهاؤ الدّولة على الطائع لله وسببه على ما نقله السّيوطي ، أنّ الطائع حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة ، فأجبره على خلع نفسه و تسليم الأمر الى ابن عمّه القادر بالله ، و ذلك في سنة (٣٨١) [١] .

ثم جلس مكانه القادر بالله .

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .



﴿ ٢٦ ﴾

﴿ القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله ﴾

و هو أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر ، كان كثير البرّ و الصدقات مريداً للفقراء لكنّه كان مقهوراً على أمره ، صنّف كتاباً ذكر فيه فضائل الصحابة و تكفير المعتزلة و القائلين بخلق القرآن ، وكان ذلك الكتاب يقرأ فى كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدى .

و تزوّج القادر بالله بنت بهاء الدولة على صداق مبلغه مائة ألف دينار .

مات القادر سنة (٤٢٤)[١] .

ثم قام بالأمر بعده ابنه القائم بأمر الله .

﴿ ٢٧ ﴾

﴿ القائم بأمر الله بن القادر بالله ﴾

و هو أبو جعفر عبدالله القائم بأمر الله بن القادر بالله ، و في أيّامه انقرضت دولة بني بويه بعد ما ملكوا شرق الأرض وغربها (١٢٧) سنة ، ثم ظهرت دولة بني سلجوق وحلّت مكان بني بويه ، فاستولت على الخلافة ، وخطب لها على المنابر ، و

---

١ - **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٣٣ **تاريخ الخلفاء** ص ٣١٠ **تاريخ الفخرى** ص ٢٩١.

ضربت أسماء ملوكها على الدرهم و الدينار .

قال الحافظ السيوطيّ : « و في سنة (٤٥٤) زوّج الخليفة بنته بـ(طغرل بك) ، و هذا أمرٌ لم ينله أحدٌ من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكّمهم فيهم ، قلت : الآن زوّج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلاً عن السلطان . فان لله و انا اليه راجعون ».

مات القائم بأمر الله سنة (٤٦٧)[١] .

ثم جلس مكانه ابن ابنه المقتدي بأمر الله .

﴿ ٢٨ ﴾

﴿ المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله ﴾

و هو أبو القاسم عبدالله المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، مات أبوه فى حياة القائم و هو حملٌ فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر ، بويع له بالخلافة عند موت جدّه وله تسع عشرة سنة .

و مات الخليفة فجأة ، و قيل انّ جاريته شمس النهار سمّته و ذلك في سنة (٤٨٧)[٢] .

ثمّ بويع لولده المستظهر بالله .

---

١ - **تاريخ الخلفاء** ص ٣١٦ ، **حياة الحيوان** ج ١ ص ١٣٤

٢ - **تاريخ الخلفاء** ص ٣١٨ و ٣٢٠ ، **حياة الحيوان** ص ١٣٤ .

﴿ ٢٩ ﴾

﴿ المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله ﴾

و هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله ، و كانت أيامه كثيرة الحروب ، وفي زمانه أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف ، و قتلوا به أكثر من سبعين ألفاً ، منهم جماعة من العلماء و العبّاد والزهّاد و هدموا المشاهد ، و جمعوا اليهود في الكنيسة و أحرقوها عليهم ، و ورد المستنفرون الى بغداد فأوردوا كلاماً أبكى العيون ، وقيل في ذلك شعر :

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منّا عرصة للمراحم

الى آخر الأبيات .

وفي سنة (٥١٢) مات الخليفة المستظهر بالله[١] وقام مقامه ابنه المسترشد بالله:

﴿ ٣٠ ﴾

﴿ المسترشد بالله بن المستظهر بالله ﴾

و هو أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله ، و لم يزل أيامه مكدّرة بكثرة التشويش والمخالفين وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك .

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٣.

قال السيوطيُّ : « وقعت الوحشة بينه و بين السلطان مسعود بن محمد (السلجوقي) فخرج لقتاله فغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر به مسعود و أسر الخليفة وخواصه فحبسهم بقلعة بقرب همدان .

فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا في الأسواق التراب على رؤسهم و بكوا و ضجّوا ، و خرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة و منعوا الصلوات والخطبة فردّ مسعود الخليفة الى مقرّه .

فجاء سبعة عشر من الباطنية ، قيل انّ مسعوداً دسهّم فهجموا على الخليفة في مخيّمه فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، فما شعر بهم العسكر الا و قد فرغوا من شغلهم .

وجلس السلطان مسعود للعزاء و أظهر المساءة بذلك ، و وقع النحيب و البكاء و جاء الخبر الى بغداد فاشتدّ ذلك على الناس وخرجوا حفاة مخرّقين الثياب ، و النساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثي[1] .

و كان المسترشد بالله أديباً شاعراً ، و من شعره :

و لا عجباً للأسد ان ظفرت بها   كلاب الأعادي من فصيح و أعجم

فحربة و حشيّ سقت حمزة الرّدىَ   و موت علي من حسام بن ملجم

و كان قَتلُ المسترشد بمراغة (ايران) في سنة تسع و عشرين وخمس مائة

---

١ – أقول : ليت شعري ! كيف يعترضون على الشيعة اذ يأتون بهذه الأعمال فى اقامة العزاء على أعظم **كارثة** في العالم ، و هي قتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحسين بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ، **والحال** أنّ مثل هذه الأعمال كانت شائعةٌ عندهم من قديم الزمان ، و لم يردعهم عن ذلك رادعٌ ، و لا **يمنعهم** مانعٌ .



(٥٢٩)[1] ثم قام مقامه ابنه الراشد بالله .

﴿ ٣١ ﴾

﴿ الراشد بالله بن المسترشد بالله ﴾

و هو أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد بالله ، انه وُلد مسدوداً فأحضروا الأطبّاء فأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ، ففعل به ذلك .

ولمّا عاد السلطان مسعود الى بغداد خرج هو الى الموصل ، فأحضروا القضاة والأعيان و العلماء ، وكتبوا محضراً فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم و أخذ الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر ، و استفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصح امامته ؟ واذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيراً منه ؟ .

فأفتوا بجواز خلعه ، فخلع و بويع عمّه محمد بن المستظهر و لُقّب المقتفي لأمر الله ، و ذلك في سنة ثلاثين و خمسمائة (٥٣٠) .

و بلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل الى بلاد آذربيجان ومعه جماعة ، فقسطوا على مراغة مالاً فعاثوا هناك[2] . ثم مضوا الى همدان و أفسدوا بها و قتلوا جماعة و صلبوا آخرين و حلقوا لحى جماعة من العلماء .

ثم مضوا الى اصبهان فحاصروها و نهبوا القرى ، و مرض الراشد بظاهر

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

٢ - من العيث : الفساد ، يقال : عاث في الأرض فساداً : أي ظلم فيها.

اصبهان مرضاً شديداً فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فرّاشين معه ، فقتلوه بالسكاكين ، ثم قتلوا كلهم و ذلك في سنة اثنتين و ثلاثين و خمسائة (٥٣٢)[1] .

ثم جلس مكانه عمّه المقتفي لأمر الله .

﴿ ٣٢ ﴾

﴿ المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله ﴾

و هو أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله ، بويع بالخلافة عند خلع ابن أخيه .

و بعث السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهّد بغداد ، فأخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب و أثاث و ذهب وستور و سرادق ، و لم يترك في اصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس و ثمانية أبغال برسم الماء ، فيقال انهم بايعوا المقتفي على أن لايكون عنده خيل و لا آلة سفر .

ثم في سنة احدى و ثلاثين (و خمسمائة) أخذ السلطان مسعود جميع ما تعلق الخليفة ، و لم يترك له الا العقار الخاص ، و أرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار .

فقال المقتفي : ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أنّ المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ماجرى ، و أنّ الراشد ولي ففعل ما فعل و رحل و لم يبق الا الأثاث ،

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.



فأخذته كله ، و تصرّفت في دار الضّرب فأخذت التركات و الجوالي ، فمن أيّ وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي الا أن نخرج من الدار ونسلّمها اليك .

مات المقتفي في سنة (٥٥٥)[١] .

ثم قام بالأمر بعده ابنه المستنجد بالله .

﴿ ٣٣ ﴾

﴿ المستنجد بالله بن المقتفي بالله ﴾

و هو أبو المظفّر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي بالله ولي الخلافة بعهد من أبيه و مات في سنة (٥٦٠)[٢] .

ثم قام بالأمر بعده ابنه المستضيء بأمر الله .

﴿ ٣٤ ﴾

﴿ المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله ﴾

و هو أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله ، و لمّا استخلف

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٣٣٣ .

خلع على أرباب الدولة و غيرهم ، فحكى خيّاط المخزن أنّه فصّل ألفاً و ثلاث مائة قباء ابريسم ، و خطب له على منابر بغداد ، ونثرت الدنانير كما جرت العادة ، و قال الحيص و البيص فيه :

يا امام الهدى علوت على الجو د بمالٍ و فضّةٍ و نضارٍ
فبماذا أُثني عليك و قد جاو زت فضل البحور و الأمطار

ثمّ احتجب المستضيءَ عن أكثر النّاس فلم يركب الا مع الخدم و لايدخل عليه غيرهم .

و في سنة (٥٧٥) مات الخليفة المستضيّ[١] .

ثم قام مقامه ابنه الناصر لدين الله .

« ٣٥ »
« الناصر لدين الله بن المستضئ بأمر الله »

و هو العباس أحمد الناصر لدين الله بعهد من أبيه .

كانت له حيل نظيفة ، و مكائد غامضة لايفطن لها أحد ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين و هم لايشعرون ، و يوقع العداوة بين ملوك متفقين و هم لا يفطنون .

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٣٥.



كان الناصر بالله يتشيّع

قال ابن واصل : كان الناصر شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة و عقل رصين و مكر و دهاء ، وكان يتشيّع و يميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه ، حتى انّ ابن الجوزي سأل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ فقال : من كانت ابنته تحته ، و لم يقدر أن يصرّح بتفضيل أبي بكر .

قال الذهبيّ : لم يل الخلافة أحدٌ أطول مدّة منه ، فانه أقام فيها سبعة و أربعين سنة و لم يزل مدة حياته في عزّ و جلالة و قمع الأعداء و استظهار على الملوك ، و لم يجد ضيماً[1] ولاخرج عليه خارجيٌ الاّ قمعه ، و لامخالف الا دفعه ، وكل من أضمر له سوءاً رماه الله بالخذلان ، وكان مع سعادة جدّه[2] شديد الاهتمام بمصالح الملك ، و لايخفى عليه شيٌ من أحوال رعيّته ، حتى قيل انّ الناصر كان مخدوماً من الجنّ .

و لمّا أتى خوارزم شاه بخراسان و ماوراء النهر ، تجبّر و طغى و استعبد الملوك الكبار ، و أباد أُمماً كثيرة ، و قطع خطبة الخليفة من بلاده و قصد بغداد ، فوصل الى همدان ، فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوماً فغطّاهم في غير أوانه ، فقال له بعض خواصه انّ ذلك غضب الله حيث قصدت بيت الخلافة ، فرجع وكفي الناصر شرّه بلا قتال .

قال ابن النجّار : دانت السلاطين للناصر و دخل في طاعته من كان من

---

١ - الضّيم ج ضيوم : الظلم .

٢ - الجَدّ : النّصيب .



المخالفين ، و ذلّت له العتاة و الطغاة ، و انقهرت بسيفه الجبابرة ، و اندحض أعداؤه وكثر أنصاره ، وفتح البلاد العديدة ، و ملك الممالك ما لم يملكه أحدٌ ممن تقدّم من الخلفاء و الملوك .

و خطب له ببلاد الاندلس و بلاد الصين ، وكان أشد بني العباس يتصدع لهيبته الجبال ، وكان حسن الخُلق ، لطيف الخَلق ، كامل الطرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، وكانت أيامه غرّة في وجه الدهر ، و درّة تاج الفخر .

موت الناصر لدين الله

قال شمس الدين الجوزى :كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدّواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ و يغلي سبع غلوات كل يوم غلوة ، ثم يحبس الأوعية سبعة أيام ، ثم يشرب منه ، و بعد هذا ما مات حتى سقي المُرقِد[١] مرّات ، و شقّ ذكره و أُخرج منه الحصى ، و مات سنة (٦٢٢)[٢] .

ثم ناب منابه ابنه الظاهر بالله .

---

١ – المُرقِد : دواءٌ يُرقِد شاربه كالأفيون .

٢ – أخذنا مطالب هذه الترجمة كلها من تاريخ الخلفاء ص ٣٣٨ ـ الى ـ ٣٤٠.



﴿ ٣٦ ﴾

﴿ الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ﴾

و هو أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ، بويع له بولاية العهد و لم يمكث الا قليلاً ، لأنه ملك الأمر تسعة أشهر فقط ، مات سنة (٦٢٣)[١] .

ثم ناب منابه ابنه المستنصر بالله .

﴿ ٣٧ ﴾

﴿ المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله ﴾

و هو أبو جعفر منصور المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله .

قال السيوطي : « و هو الذي بنى المدرسة المستنصرية في بغداد على ضفّة نهر دجلة ، قال ابن واصل : ما بنيت مدرسة على وجه الأرض أحسن منها و لا أكثر منها وقوفاً ، و هيأ مدرسين على المذاهب الأربعة و عمل فيها مارستان ، و رتّب فيها مطبخاً للفقهاء ، و مزمّلة[٢] للماء البارد ، تمّت سنة (٦٣١) و نقل اليها مائة و ستون حملاً من الكتب النفيسة ، و عدّة فقهائها مائتان و ثمانية و أربعون فقيهاً من

---

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٤٥ .

٢ - مخزن الماء.

المذاهب الأربعة ، ورتّب فيها الخبز و الطّبيخ و الحلاوة و الفاكهة ، و وقف عليها الأموال الهائلة ، و القرى و الرباع .

و من مناقب المستنصر أنّ الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها :

لو كنت يوم السّقيفة حاضراً   كنت المقدّم و الامام الأورعا

فقال له قائلٌ : أخطأت ، قدكان حاضراً العباس جدّ أمير المؤمنين ، و لم يكن المقدّم الا أبو بكر[1] فأقرّ ذلك المستنصر ، و خلع على القائل ذلك خلعة و أمر بنفي الوجيه فخرج الى مصر[2] .

مات المستنصر سنة (٦٤٠) و جلس مكانه ابنه المستعصم بالله .

﴿ ٣٨ ﴾

﴿ المستعصم بالله بن المستنصر بالله ﴾
(و هو آخر الخلفاء من هذه السلسلة)

و هو أبو أحمد عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر بالله و هو آخر خلفاء بني العباس الذي به انصرمت سلسلة الخلافة في العراق التي بدأت من السقيفة ، قتله هولاكو خان سلطان التتار .

قال الديار بكريّ : «كان المستعصم قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل الهمة ،

---

١ – هذا اشتباهٌ لأنه لم يكن أحدٌ من بني هاشم حاضراً في السّقيفة ، لا عباس و لا علي عليه السلام .

٢ – تاريخ الخلفاء ص ٣٤٨ .



مهملاً للأُمور المهّمة ، محبّاً لجمع المال »[١] .

و قال الحافظ ابن كثير يصفه : « قد كان رحمه الله سنّياً على طريقة السلف و اعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجدّه ، و لكن فيه لين و عدم تيقّظ ، و محبة للمال و جمعه ، و من جملة ذلك انه استحلّ الوديعة التي استودعه اياها الناصر داؤد بن المعظّم ، و كانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار ، فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، و هو مستقبح ممن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه اليك كما قال الله تعالى : ﴿ **و منهم من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك** ﴾[٢] .

و قال ابن الطقطقيّ : « انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش ، قليل الخبرة بأُمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، و لا مطّلع على حقائق الأُمور .

كان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني و التفرّج على المساخرة .

و كان أصحابه مستولين عليه و كلّهم جهّال من أراذل العوام الا وزيره مؤيّد الدين محمد بن العلقمي ، فانه كان من أعيان الناس ، و عقلاء الرّجال .

و كانت عادة الخلفاء أكثرهم أن يحبسوا أولادهم و أقاربهم ، و بذلك جرت سنّتهم الى آخر أيّام المستنصر ، فلمّا ولي المستعصم أطلق أولاده الثلاثة و لم يحبسهم »[٣] .

---

١ - **تاريخ الخميس** ج ٢ ص ٤٢٠ .

٢ - **آل عمران** ٣: ٧٥.

٣ - **تاريخ الفخري** ص ٣٣٣ .

كارثة الكرخ

إنّ اطلاق المستعصم أولاده يفعلون مايشاؤن صار سبباً لكارثة الكرخ[١] حيث هجم عليها ابنه أبو بكر مع عسكره ، فشنّ الغارة عليها ، فقتل منهم كثيراً ، و ذبح فيهم ذريعاً ، و هتكت النساء ربات الخدور ، و ارتكبت العظائم و الفجور ، حتى قتل فيها أقارب ابن العلقمي الذي كان وزيراً ، فشكا الى الخليفة كثيراً ، لكنّه لم يفد قطميراً[٢] .

﴿ نهاية الخلافة ﴾

لقد ضعفت سلسلة الخلافة من أجل هذه الأعمال و المظالم ، و تزعزعت بناية الامامة المؤسسة في السقيفة بسبب هذه المآسي و المآثم .

لا ريب فى أنّ الله تعالى ذو أناة و حلم ، لكنّه جلّ جلاله الى متى يحلم ؟ و الى متى ينظر و يمهل ؟ ! و ستنتهي مدة الإمهال ، و يأتي زمانٌ يكون فيه الأخذ و الانتقام ، لأنه كما هو غفورٌ رحيمٌ في مقام الرحمة ، كذلك ذو بطش شديد في مقام النقمة ، كما قال : ﴿ **انّ بطش ربك لشديد**﴾[٣] فيقطع دابر القوم الذين اختاروا الدنيا

---

١ - محلة في بغداد كانت مجمعاً للشيعة آنذاك .

٢ - راجع البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٤ ، تاريخ الخميس ص ٤٢٠ ، تاريخ حبيب السيرج ٢ ص ٢٣٦.

٣ - البروج ٨٥ : ١٢ .



على الآخرة ﴿ **و لبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾[1] ﴿ **و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾[2].

(اعلم) أنّ فكرة كون نكبة الخلفاء نتيجة أعمالهم التي كسبتها أيديهم، ليست منّا فحسب، بل انّه مما قاله علماء أهل السنة أيضاً، كما يلي:

قال الحافظ ابن كثير الدمشقيُّ: «و لم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد، فانه خرج عنهم بلاد المغرب، و بلاد الشام، و الحرمين، و كذلك أُخذت من أيديهم بلاد خراسان و ما وراء النّهر، حتى لم يبق مع الخليفة منهم الاّ بغداد و بعض بلاد العراق ـ الى أن يقول ـ **و ذلك لضعف خلافتهم و اشتغالهم بالشهوات، و جمع الأموال في أكثر الأوقات، كما ذُكر ذلك مفصّلاً في الحوادث و الوفّيات**»[3].

إغارة التتار على بغداد

لم تقنع الأقدار بسلب الأقطار من أيدي الخلفاء و بقاء حكومة بغداد لهم، بل انّها استأصلت حكومة بغداد أيضاً، فلم يبق لهم أثر ما سوى ذكراهم في صفحات التاريخ لتكون تذكرة للناظرين، و عبرة للمعتبرين.

قام طوفان التتار من أقصى البلاد محتفلاً بالهلاك و الدّمار، و سال الى

---

١ - البقرة ٢ : ١٠٢.

٢ - النحل ١٦ : ١١٨.

٣ - البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٨.

افغانستان و خراسان و الريّ و جبال ألموت حتى وصل الى بغداد ، و سيطر عليها كالجراد المنتشر ، و السيل المقبل ، وجوههم كالمجان ، و قوّتهم كبني الجان ، و قد أخبر بهم أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال :

« **كأنيّ أراهم قوماً كأنّ وجوهم المجانّ المطرقة يلبسون السَّرَق**[١] **و** »

« **الديّباج ، و يعتقبون الخيل**[٢] **العتاق ، و يكون هناك استمرار قتلٍ**[٣] »

« **حتى يمشي المجروح على المقتول ، و يكون المفلت أقلّ من المأسور**[٤] »

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي في بيان هذه الواقعة الهائلة :

«ثم دخلت سنة ست و خمسين و ستمائة فيها أخذت التتار بغداد و قتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، و انقضت دولة بني العباس منها .

استهلّت هذه السنة ، و جنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، و جاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة و ميرته و هداياه و تحفه ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، و مصانعة لهم قبحهم الله تعالى ، و قد سترت بغداد و نصبت فيها المجانيق و العرّادات و غيرها من آلات الممانعة التي لاتردّ من قدر الله سبحانه و تعالى شيئاً ، كما ورد في الأثر«**لن يغني حذر عن قدر** »[٥] وكما قال تعالى ﴿ **إن أجل**

---

١ – السَّرَق واحده : السَّرَقة : الحرير .

٢ – أي يستصحبون معهم الخيول المتعدّدة لينتقلوا من واحدها الى ثانيها .

٣ – أي شدة القتل .

٤ – **نهج البلاغة** ج ٢ ص ١٠ محمد عبده ط دمشق .

٥ – **الجامع الصغير** ج ٢ ص ٤٢٤ .

الله إذا جاء لا يؤخّر ﴾[١] و قال تعالى ﴿ **إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له و ما لهم من دونه من وال** ﴾[٢] .

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة و تضحكه ، وكانت من جملة حظاياه ، وكانت مولّدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها و هي ترقص بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك و فزع فزعاً شديداً ، و أحضر السهم الذى أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب : **(إذا أراد الله إنفاذ قضائه و قدره أذهب من ذوي العقول عقولهم)** فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة .

و كان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها ، و كانوا نحو مائتي ألف مقاتل إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة (٦٥٦) ، و هو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدّم من الأمر الذي قدّره الله و قضاه و أنفذه و أمضاه ، و هو أنّ هولاكو لمّا كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عمّا يريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك و غيره ، و قالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، و أشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان ، و أرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، و سليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه و لا بالى به حتى أزف قدومه .

---

١ - نوح ٧١ : ٤ .

٢ - الرعد ١٣ : ١١ .

و وصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله و لا باليوم لآخر ، فأحاطوا بغداد من ناحيتها الغربية و الشرقية ، و جيوش بغداد في غاية القلّة و نهاية الذلّة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، و هم و بقية الجيش كلّهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق و أبواب المساجد ، و أنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم و يحزنون على الإسلام و أهله ، و ذلك كلّه عن آراء الوزير العلقمي الرافضي[1] .

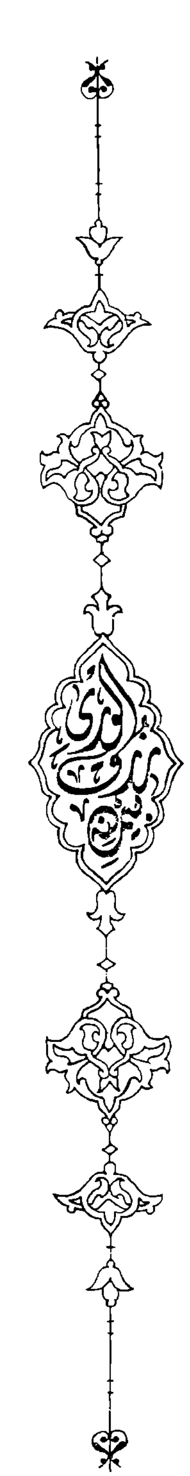
و ذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة و الرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ و محلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتدّ حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبّر على الإسلام و أهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، و لهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله و أصحابه و خدمه و حشمه ، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان لعنه الله .

ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه و المثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم و نصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة و الفقهاء و الصوفية و رؤس الأمراء و الدولة و الأعيان ، فلمّا اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، و أُنزل الباقون عن مراكبهم و قُتلوا عن آخرهم .

و أُحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال إنه اضطرب

---

١ - سيأتي الجواب عن هذا الافتراء .



كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة و الجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي ، و الوزير ابن العلقمي و غيرهما ، و الخليفة تحت الحوطة و المصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب و الحلي و المصاغ و الجواهر و الأشياء النفيسة ، و قد أشار أولئك الملأ من الرافضة و غيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، و قال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لايستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ماكان عليه قبل ذلك ، و حسّنوا له قتل الخليفة .

فلمّا عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، و يقال إنّ الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، و المولى نصير الدين الطوسي ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لمّا فتح قلاع الألموت ، و انتزعها من أيدي الإسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس و لأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي ، و انتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير .

فلمّا قدم هولاكو و تهيّب من قتل الخليفة هوّن عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، و هو في جوالق لئلا يقع على الأرض شئ من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، و قيل بل خنق ، و يقال بل أغرق فالله أعلم ، فباؤوا بإثمه و إثم من كان معه من سادات العلماء و القضاة و الأكابر و الرؤساء و الأمراء و أولي الحلّ و العقد ببلاده ـ و ستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات ـ و مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال و النساء و الولدان و المشايخ و الكهول و الشبان و دخل كثير من الناس في الآبار و أماكن الحشوش ، وقنى الوسخ ، و كمنوا كذلك أياماً لا يظهرون .

و كان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات و يغلقون عليهم الأبواب

فتفتحها التتار إما بالكسر و إما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

وكذلك في المساجد و الجوامع و الربط ، و لم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود و النصارى و من التجأ إليهم و إلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي و طائفة من التجّار أخذوا لهم أماناً ، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا و سلمت أموالهم .

و عادت بغداد بعد ماكانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، و هم في خوف و جوع و ذلّة و قلّة .

و كان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش و إسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر فى آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف .

ثم كاتب التتار و أطمعهم في أخذ البلاد ، و سهّل عليهم ذلك ، و حكى لهم حقيقة الحال ، و كشف لهم ضعف الرجال ، و ذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية ، و أن يظهر البدعة الرافضيّة و أن يقيم خليفة من الفاطميين ، و أن يبيد العلماء و المفتين ، والله غالب على أمره ، و قد ردّ كيده في نحره ، و أذلّه بعد العزّة القعساء ، و جعله حوشكاشا للتتار بعد ماكان وزيراً للخلفاء ، و اكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال و النساء و الاطفال ، فالحكم لله العلي الكبير ربّ الأرض و السماء .

و قد جرى على بني إسرائيل ببيت المقدس قريب ممّا جرى على أهل بغداد

كما قصّ الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز ، حيث يقول : ﴿ **و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين و لتعلنّ علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار و كان وعداً مفعولاً** ﴾[1] .

و قد قتل من بني إسرائيل خلق من الصلحاء و أسر جماعة من أولاد الأنبياء ، و خرب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد و الزهاد و الأحبار و الأنبياء ، فصار خاوياً على عروشه واهي البناء .

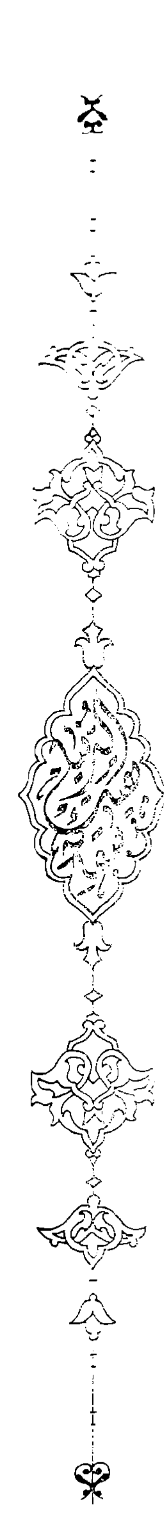
و قد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة . فقيل ثمانمائة ألف ، و قيل ألف ألف و ثمانمائة ألف ، و قيل ألفي ألف نفس ، فإنا لله و إنا إليه راجعون ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

و كان دخولهم ألى بغداد في أواخر المحرم ، و ما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، و كان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر و عفي قبره ، و كان عمره يومئذ ستاً و أربعين سنة و أربعة أشهر ، و مدة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أيام .

و قُتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس و عشرون سنة ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمان و له ثلاث و عشرون سنة ، و أُسر ولده الأصغر مبارك ، و أُسرت أخواته الثلاث فاطمة و خديجة و مريم ، و أُسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل و الله أعلم ، فإنا لله و إنا إليه

---

١ - الإسراء : ١٧ ـ ٤ ـ ٥



راجعون .

و قتل أُستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، و كان عدو الوزير ، و قتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، و عبدالرحمن ، و عبدالكريم ، و أكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيبك ، و شهاب الدين سليمان شاه ، و جماعة من أمراء السنة و أكابر البلد .

و كان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده و نسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلاّل ، تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ، و يؤسر من يختارون من بناته و جواريه .

و قتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، و قتل الخطباء و الأئمة ، و حملة القرآن ، و تعطّلت المساجد و الجماعات و الجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله و لعنه أن يعطّل المساجد و المدارس و الربط ببغداد و يستمرّ بالمشاهد و محال الرفض ، و أن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم و عَلَمهم بها و عليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه و قصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، و أتبعه بولده فاجتمعا و الله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

و لما انقضى الأمر المقدّر و انقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، و القتلى في الطرقات كأنها التلول ، و قد سقط عليهم المطر فتغيّرت صورهم و أنتن من جيفهم البلد ، و تغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى و سرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجوّ و فساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء و الوباء و الفناء و الطعن و الطاعون ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

و لمّا نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير و القنى و المقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، و قد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، و أخذهم الوباء الشديد فتفانوا و تلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، و اجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر و أخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، و فوّض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوّض اليه الشحنكية بها والي الوزير ابن العلقمي ، فلم يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وكان عنده فضيلة في الانشاء ، و لديه فضيلة في الأدب ، و لكنّه كان شيعيّاً جلداً رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً و غمّاً و حزناً و ندماً الى حيث ألقت أُمّ قشعم[1] رحلها ، فولي بعده الوزارة ولده عزّ الدين بن الفضل محمد ، فألحقه الله بأبيه في بقيّة هذا العام ، و لله الحمد و المنّة »[2] .

هذا ما نفث به ابن كثير من الطعن و التشنيع و السبّ و الشتم على الشيعة عامّة ، و على ابن العلقمي خاصة ، فأخرج من قلبه ما كان كامناً فيه من الضغائن و الحقد ، و تكلّم بكلمات ركيكةٍ مملوءةٍ بالعصبية و الجحود ، بعيدة عن أدب علماء الاسلام ، غريبة عن اسلوب المؤلفين الكرام ، و العجيب أنه ليس منفرداً فيه ، بل سلك هذا المسلك غيره أيضاً كالسيوطي ، و الدّميري ، و الديار بكري ، كلهم هجموا على ابن العلقمي رحمه الله و جعلوه سبباً وحيداً لانهدام قصر الخلافة ، و ما حدث فيه من الآفة ، و مكان أن يلتفتوا الى أسباب انصرامها الأصلية ، عطفوا عنان المذمّة الى

---

١ - أُمّ قشعم : المنيّة .

٢ - البداية والنّهاية ج ١٣ ص ٢٣٣ الى ٢٣٦ .

الشيعة الذين ظُلموا طول حياتهم في حكومات هؤلاء الخلفاء (كما علمت سابقاً) .

و بالرّغم من أنّ هذا الكتاب لم يوضع للدفاع عن حريم الشيعة و جواب ما وجّه اليهم من التهمات الواهية و الدعايات الكاذبة ، يجدر بنا أن نحقّق الموضوع مختصراً لتتجلى للقارىء المنصف معالم الهداية ، و لا يقع باضلال الناس في هوّة الغواية ، و قبل أن نخوض في المطلب نوجّه الى ابن كثير هذا سؤالاً واحداً ، و هو :

انّك قلت انّ ما أصاب الخليفة المستعصم بالله و مواليه ، و ما نزل من البلاء على قصر الخلافة و حواليه ، انما كان جزاءً لأعمالهم ، و نتيجة لأطوارهم ، فاستشهدت[1] بقول الله تعالى ﴿ **انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم و اذا أراد بقوم سوءً فلا مردّ له و مالهم من دونه من وال** ﴾[2] بل انّك شبّهتهم باليهود ، حيث قلت : و قد جرى على بني اسرائيل ببيت المقدس قريبٌ مما جرى على أهل بغداد كما قصّ الله تعالى حيث يقول ﴿ **و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض ـ الى قوله ـ بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار و كان وعداً مفعولاً** ﴾[3] .

فمعناه صريحاً أنّ التتار كانوا عباد الله الذين بعثهم الله نفسه الى أهل بغداد انتقاماً ، فما ذنب ابن العلقمي حتى يلق أثاماً ؟ .

مع أنّ ابن العلقمي بريءٌ عن هذه النسبة اليه (أي نسبة مواطاته مع التتار) براءة يوسف عن السّوء ، و كل ما قاله ابن كثير و كثير من أمثاله ، افتراء محضٌ و

---

١ - راجع ص ٢٠٦ من هذا الكتاب .

٢ - **الرّعد** ١٣ : ١١ .

٣ - راجع ص ٢١٠ من هذا الكتاب .



كذبٌ بحتٌ ، لا سند له و لا أصل .

و قبل أن نتعمّق فيه يجدر بنا ان نتأمّل في شخصية ابن العلقمي بأنه هل يمكن له هذا العمل في مقام الثبوت ، أم لا ، ثم نبحث فيه من حيث الاثبات .

من هو ابن العلقمي ؟

هو مؤيدّ الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن علي العلقمي الأسدي الوزير ، ذكره مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٦٥٦) ، و قال :كان عالماً فاضلاً أديباً ، يحبّ العلماء و يسدي اليهم المعروف ، دفن في مشهد موسى بن جعفر عليه‌السلام[١] .

قال الدكتور جعفر خصباك : « يكاد المؤرّخون يتفقون في الثناء على شخصية محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله ، آخر خلفاء بني العباس ، فقد وصفوه بالعقل و العلم و الأدب و الكفاية و الوقار و النّزاهة و العفّة عن أموال الديوان و المعرفة بأدوات الرياسة »[٢] .

و قد وصفه سبط ابن الجوزي الحنبلي : « انّه كان رجلاً فاضلاً صالحاً عفيفاً قارئاً للقرآن »[٣] .

و وصفه الخزرجي : « انّه كان عالماً فاضلاً أديباً حسن المحاضرة ، دمث

---

١ - الحوادث ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦ .

٢ - راجع **طبقات الشافعية الكبرى** ج ٥ ص ١١٠ كما في **أعيان الشيعة** ج ٩ ص ٩٦ .

٣ - **مرآة الزمان** ج ٨ قسم ٢ ص ٧٤٧ .

الأخلاق ، كريم الطباع ، خيّر النفس ، كارهاً للظلم ، خبيراً بتدبير الملك »[1] .

و عندما توفي الخليفة العبّاسي الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله سنة (٦٢٣) كان هو المتولّي لأخذ البيعة للخليفة الجديد المستنصر بالله ، و قد ظلّ في عهده استاذاً للدار حتى وفاته سنة (٦٢٧) .

و عندما توفي ابن الناقد سنة (٦٤٢) عيّن ابن العلقمي مكانه ، و ظلّ يشغل منصب الوزارة حتى سقوط بغداد عام (٦٥٦) وقد عُرف ابن العلقمي بحبّه للعلم و الأدب و معرفته باللغة ، وقد أنشأ لنفسه مكتبة عظيمة في داره في (٦٤٤) و نقل اليها عدداً كبيراً من الكتب من أنواع العلوم ، وصفها ابن أبي الحديد بأبيات ، أوّلها :

رأيت الخزانة قد زّينت بكتب لها المنظر الهائل

و ذكر علي ابن أُخت العلقمي : انها كانت تشتمل على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب .

و قد صنفت له كتب ، منها : العباب الذي وضعه الصغاني اللغوي ، و شرح نهج البلاغة لعزّ الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد[2] .

هذا مختصر ممّا وصف به علماء أهل السنة ابن العلقمي ، و قد مضى اطراء **ابن الطقطقا** صاحب تاريخ (الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية) عليه ، حيث قال : وكان رجلاً فاضلاً كاملاً ... عفيفاً عن أموال الديوان . . . الخ فراجع .

(أقول) فهل يمكن من مثل هذا العالم الجليل القدر ، العفيف النفس ، أن يبيع

---

١ – **العسجد المسبوك** ج٢ الورقة ١٩٤ .

٢ – المصدر .





الدولة الاسلامية بيد الكفّار و يمهّد لهم الطريق اليهم ليقتّلوهم تقتيلاً ، هذا مستبعدٌ جدّاً حتى من علماء السنة فضلاً عن علماء الشيعة الذين يعتقدون بامامة الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام و يقتدون بآثارهم . هذا كلامنا في مقام الثبوت .

أمّا في مقام الاثبات ، فلعدم ثبوت كلّما عزوه اليه من المناكير ، لأنّ كلّما قالوه في ذلك خالٍ عن الدليل ، بل الدليل قائم على كذبه ، و نحن نذكر منه نماذج :

قول ابن كثير (السابق الذكر) : «و ذلك كله عن آراء الوزير العلمقي الرافضي - الى قوله - و لهذا كان أوّل من برز الى التتار هو» . أقول : ففيه .

أولاً : انه لم يكن راضياً بخروجه الى التتار ، و لم يخرج باختياره ، بل الخليفة المستعصم هو الذي أكرهه على ذلك .

قال ابن الطقطقي : «حدّثني كمال الدين أحمد بن الضحاك ، و هو ابن اُخت الوزير ابن العلقمي ، قال : لمّا نزل السلطان هولاكو على بغداد ، أرسل يطلب الوزير اليه . قال : فبعث الخليفة فطلب الوزير ، فحضر عنده و أنا معه ، فقال له الخليفة : قد أنفذ السلطان يطلبك ، و ينبغي أن تخرج اليه ، فقال : يامولانا ! اذا خرجتُ فمن يدبّر البلد و من يتولّى المهام ؟ فقال له الخليفة : لا بدّ أن تخرج اليه ، فخرج الوزير من ذلك»[1] .

و **ثانياً** : لو كان الخروج الى هولاكو دليلاً على المواطاة معه لكان غيره أيضاً شريكاً فيها ، لأنه لم يخرج وحده ، بل خرج معه صاحب الديوان (فخر الدين بن الدامغاني) و جمعٌ من المعارف و المشاهير[2] .

---

١ - **تاريخ الفخري** ص ٣٣٨

٢ - راجع : **جامع التواريخ** ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٩٦ .

و ثالثاً : انّ ابن كثير جعل الوزير (ابن العلقمي) سبباً لهجوم هولاكو على بغداد في هذه العبارة ، و قد نسي ما قاله سابقاً : «وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها ـ وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل ـ الى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة (٦٥٦) و هو شديد الحنق على الخليفة بسبب ماكان تقدّم من الأمر الذي قدّره الله و قضاه و أنفذه و أمضاه ، و هو أنّ هولاكو لمّاكان أوّل بروزه من همدان متوجهاً الى العراق ، أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث اليه بهدايا سنيّة ليكون ذلك مداراة له عمّا يريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك و غيره ، و قالوا انّ الوزير انما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه من الأموال ، و أشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا ، فاحتقرها هولاكو خان و أرسل الى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، و سليمان شاه ، فلم يبعثهما اليه و لا بالىٰ به حتى أزف قدومه ، و وصل بغداد بجنوده الكثيرة (الى آخر ما قاله ابن كثير الدمشقي ، راجع الصفحات الماضية و البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

لقد رأيت أنّ ابن كثير نفسه قد ألزم الخليفة و أعوانه بسوء التدبير و الحماقة لأنّ من سبر سير هولاكو و غيره من التتار ليعلم أنّهم كانوا يغيرون على البلاد لأجل نهب الأموال فقط ، فاذا حصّلوها من بلد بلا مقاتلة كانوا يغتنمون به و ينصرفون إلى غيره ، فلو عمل الخليفة برأي وزيره و لم يركن الى رأي أيبك و غيره الذين كانوا أعداء للوزير ، لم ير ذلك اليوم الأسود ، فالنتيجة أنّ الخائن هو دويداره الصغير أيبك الذي منع الخليفة عن معالجة البلاء المتوجه اليه و الى المسلمين بالمال ، لا ابن العلقمي المدبّر الوفيّ .

أما قوله : وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش و اسقاط

اسمهم من الديوان ـ الى قوله ـ فلم يزل يجتهد في تقليلهم الى أن لم يبق سوى عشرة آلاف .

(أقول) إنّي أتعجّب من هذا المؤرّخ الشهير بأنه كيف تجسّر على هذا الكذب الصريح بلا احساس أيّ خجلٍ و لا تذمّم ، لأنّ الوزير ابن العلقمي لم يكن له أيّ دخل في التجنيد ، بل كان بيد خصمه ايبك الدويدار الصغير .

قال مصطفىٰ جواد : «و نسبة بعض المؤرّخين و من لفّ لفّه تسريح الجنود الى الوزير ابن العلقمي ، تهمة أُخرى من هذه التهم الكثيرة الباطلة التى اتّهم بها هذا الوزير . فانّ ادارة شئون الجيش و التجنيد و اعطاء الأرزاق كانت بيدي مقدّم الجيش مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير خصم الوزير و عدوه ، و لا شأن للوزير فيها و لا نهيٌ و لا أمرٌ ، فبأيّ وجهٍ يتّهم الرجل باقلال الجنود بالحلّ و التسريح»[1] .

و قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة (٦٥٠) : «و فيها فارق كثير من الجند بغداد لا نقطاع أرزاقهم ، و لحقوا ببلاد الشام»[2] .

انه كيف كان يقدر على تقليل الجنود أو تسييرها الى البلاد البعيدة مع أنه لم يكن قائدها ، و لا مبسوط اليد ، و لا المسيطر على الخليفة ، بل كان ضعيفاً عنده غير مسموع القول ، و الخليفة كان واقعاً تحت نفوذ أعداء الوزير ، خصوصاً مجاهد الدين الدويدار الصغير الذي كان قائداً للجيش . و الشاهد على ذلك انه كان في محلّة الكرخ أقارب للوزير ، فلو كان له أيّ نفوذ في الدولة ، و هو بمنصب الوزارة ـ و هو يقابل رئيس الوزراء في عصرنا ـ لمنع استباحة المحلّة المذكورة ، أو حفظ أقاربه

---

١ - راج **أعيان الشيعة** ج ٩ ص ٨٥ .

٢ - **الحوادث** ص ٢٦١ .

على الأقل .

أما قوله : ذلك كله طمعاً منه أن يقيم أحداً من الفاطميّين . . . الخ .

(يردّه) ما مضىٰ من انه لمّا توفي الخليفة العبّاسي الظاهر بأمر الله سنة (٦٢٣) كان هو المتولّي لأخذ البيعة للخليفة الجديد (المستنصر بالله) فلو كان يرى أنّ علوياً أحق بها من العباسيّين لنصبه ذاك الحين ، و مذهب الشيعة يقول أنّ الخلافة و الامامة لمّا انتهت الى الامام المهدي عجلّ الله تعالى فرجه الشريف ، توقّفت و لم تتجاوز الى أحد بعده ، فكيف أراد ابن العلقمي أن ينصب علوياً كخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟.

أما تأييده للمستنصر بالله أو المستعصم بالله ، فلأنه كان يحسبهما كأمير و حاكم للبلاد ، و لا فرق فيه بين سني و شيعي لأنّ البلاد تحتاج الى حاكم ، فان لم يوجد حاكم عادل ، أو لم يعط الفرصة ، يغلب عليهم حاكم ظالم .

و ربما كان منشأ التهمة سلامة الوزير من القتل ، و مشاركته في اللجنة التي أعادت تنظيم بغداد و العراق بعد الفتح ، فهذا أيضاً لا يقوم حجةً على خيانته ، لأنّ صاحب ديوان الخليفة فخر الدين أحمد بن الدامغاني الحنفي ، و تاج الدين حاجب الباب في عهده أي مدير شرطة العاصمة ، و نجم الدين أحمد بن عمران أحد عمّال الخليفة ، و أقضى القضاة عبد المنعم الشافعي ، و سراج الدين بن البجليّ الشافعي قد عوملوا بنفس المعاملة ، كما سلم أقرب مستشاري الخليفة اليه و صديقه عبد الغني بن الدرنوس ، و سلم الابن الأصغر للخليفة مع أخواته فاطمة و خديجة و مريم[١] .

---

١ - **الحوادث الجامعة** ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ .

و قد كان هولاكو بحاجة الى من يدبّر أمر العراق بعد فتحه و كان الوزير و صاحب الديوان و حاجب الباب خبيرين بأُموره ، فأشركهم في لجنة عهداليها أمر تنظيمه .

و مما يدلّ على كذب انتماء الوزير الى المخابرة و المراسلة الى هولاكو ، ما كتبوه من كيفية هذه المراسلة . من انه تحيّل مرّة الى أن أخذ رجلاً و حلق رأسه حلقاً بليغاً ، و كتب ما أراد عليه بوخز الابر كما يفعل بالوشم ، و نفض عليه الكحل و تركه عنده الى أن طلع شعره و غطّى ما كتب ، فجّهزه و قال : اذا وصلت مُرهم بحلق رأسك و دعهم يقرؤون مافيه ، و كان في آخر الكلام : قطّعوا الورقة . فضربت رقبته . وهذا غاية في المكر و الخزي[1] .

ليت شعري من أخبرهم بهذا الفعل ؟ ابن العلقمي ؟ أم الذي قطع رأسه ؟ أم المغول الذين ادّعي في الخبر أنّ هذه الرسالة وجهت اليهم ؟ فكيف أخبروا الناس به مع أنّ ذلك من أسرار دولتهم !

و من المعلوم أنّه من المفتعلات الكثيرة التي افتعلت على ابن العلقمي اذ كان له ميسوراً أن يرسل مراسلاته الى أين يريد بلا مانع لأنه وزير ، ثم كيف يرضى مسلم كابن العلقمي قطع رأس انسان خدوم له بلا ذنب و لا تقصير !

(و الخلاصة) أنّ ابن العلقمي الوزير لم يكن له ذنب غير أنه كان شيعيّاً محبّاً لأهل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

و من المعلوم أنّ هذا ذنب لا يُغفر ، و عيب لا يُستر ، و لهذا قال معيّره :

---

١ - **الوافي بالوفيات** ج ١ ص ١٨٦ الطبقة الاولى .



يــا فــرقة الاسلام نـوحوا و انـدبوا أسـفاً عـلى الاسلام و المستعصم
دســـت الوزارة كـان قـبل زمـانه لابن الفرات ، فصار لابن العلقمي[1]

انظروا الى هذا الشاعر السخيف ، ما أجهله ، فإنّ ابن الفرات الوزيـر الذي مدحه و جعله أهلاً للوزارة كان شيعياً أيضاً ، و قد قتله المقتدر بالله و أعداؤه من أرباب الدولة العباسية ظلماً و عدواناً ، صبراً و هو صائم ، بعد أن قتلوا ابنه أيضاً و وضعوا رأسه بين يديه[2] .

(فانقدح) من هذا كلّه أنّ المسئول الحقيقي لهذه المـهالك و المـخازي هـو الخليفة نفسه ، الذي كان منهمكاً في لذّاته و شهواته كما مرّ في عبارة ابن كثير من انه كان يلعب بجاريته حتى أتاها سهم فقتلها ، فكان حاله كالخليفة محمد الأمين .

ثم بالدرجة الثانية : الخونة هم أصحابه الذين كـانوا يـحوطونه و يـغشونه و يمنعونه عن العمل برأي الوزير حيث أشار عليه بفداء الأموال عن الملك و الأنفس و النواميس ، لكنه الى وقته الأخير شحّ عليها حتى أُخذت منه قهراً .

تلالٌ من الأموال

قال رشيد الدين فضل الله الهمذاني المؤرّخ في تاريخه جامع التواريخ : « و في يوم الجمعة التاسع صفر سنة (٦٥٦) دخل هـولاكـو المـدينة لمشاهدة قـصر الخليفة ، و جلس في المثمّنة ، و احتفل بالأمراء ، ثم أشار باحضار الخليفة .

---

١ - **البداية و النّهاية** ج ١٣ ص ٢٤٦ .

٢ - و قد تقدم ذكره في بيان أحوال المقتدر بالله ، فراجع .



فقال له : انك مضيف و نحن الضيوف فهيئ ما يليق بنا .

فظنّ الخليفة أنّ هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ، و بلغ من دهشته أنه لا يعرف مكان المفاتيح ، فأمر بكسر عدة أقفال ، و أحضر هولاكو ألفي ثوب ، و عشرة آلاف دينار ، و نفائس و مرصّعات و عدداً من الجواهر فلم يلتفت هولاكو اليها ، و منحها كلها للأُمراء و الحاضرين .

ثم قال للخليفة : انّ الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة و هي ملك عبيدنا ، لكن اذكر ما تملكه من الدفائن ماهي و أين توجد ؟ .

فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوءٍ بالذهب في ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه كان ملآناً بالذهب الأحمر ، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر باحصاء نساء الخليفة فعدّوا سبعمائة زوجة و سرّية ، و ألف خادمة ، فلمّا اطّلع الخليفة على تعداد نسائه تضرّع ، فقال لهولاكو : و مُنّ عليّ بأحرمي اللائي لم تطلع عليهن الشمس و لا القمر .

فقال له هولاكو : اختر مائة من هذه النساء السبعمائة و اترك الباقي .

فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه و المحبّبات اليه .

و قصارى القول أنّ كل ما كان للخلفاء و ما جمعوه خلال خمسة قرون ، وضعه المغول بعضه على بعض ، فكان كجبل على جبل ، أخذوه و ذهبوا به الى وطنهم .

و لمّا يئس الخليفة من انقاذ حياته استأذن في أن يذهب الى الحمام ليجدّد اغتساله . فأمر هولاكو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول ، لكن الخليفة قال : أنا



لا أُريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية[١] .

وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

و أصبحنا لنا دارٌ كجنات و فردوس
و أمسينا بلا دارٍ كأن لم تغن بالأمس

و في مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة (٦٥٦) قضوا على الخليفة و على ابنه الأكبر و خمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية الوقف ، و في اليوم الثاني قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذا ،كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حيّاً من العبّاسيّين اللهم الا أفراداً قلائل لم يأبهوا لهم .

و في يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثاني للخليفة بوالده و أخيه ، و بذلك قضي على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بني أُمية ، و كانت مدة خلافتهم خمساً و عشرين و خمسمائة سنة ، و عددهم سبعة و ثلاثون (٣٧) خليفة[٢] .

هذه سلسلة سبعة و خمسين خليفة (١٩ من بني امية و ٣٨ من بني العباس) الذين ابتدؤا من السقيفة و انتهوا الى سقوط بغداد .

و انما حذفنا عدداً من الخلفاء الذين كانوا في مصر و افريقيا لانقطاع سلسلتهم عن الذين ذكرناهم زماناً و مكاناً و اختصار حكومتهم كذلك .

و لقد رأيت أنّ هذه الخلافة و الحكومات كلها كانت مجعولة مما عملته أيدي

---

١ – جمع الزِّبْنِيَة : الشّرطي .

٢ – راجع **جامع التواريخ** لرشيد الدين فضل الله الهمذاني ترجمة مصر ج ١ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ حسبما نقله العلامة السيد محسن العاملي في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٩٤ ـ ٩٥ .



الناس ، و لم يكن فيها نصّ من الله و لا مسّ من رسوله ، فكان الناس هم الذين ينصبون الخليفة و الامام لهم، سواء كان بواسطة اجتماع بضعة نفر كما كان في السقيفة ، أو بواسطة نصب السابق اللاحق و تعيينه اياه ، كما كانت خلافة عمر ، أو بواسطة الشورى كما كانت خلافة عثمان ، أو اجماع أهل المدينة ، كما كانت خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام (حسب نظرية العامّة) أو القهر و الغلبة ، كما كانت خلافة معاوية بن أبي سفيان و أمثاله .

و من اليوم الذي انتهت هذه الخلافة و ذلك في (٦٥٦) الى الآن و هي سنة (١٤١٥ الهجرية) فالأرض خالية من أي خليفة (خلا بضعة خلفاء نزر ادّعوا الخلافة في بلاد يسيرة لمدة قصيرة) مع بقاء الناس في غمرات من المسائل و المشاكلهم ، فهم كالبهائم المرسلة و الربائض المطلقة ، لا يجدون لمسائلهم ملجأً ، و لا لمشاكلهم مرجعاً ، و المذاهب الأربعة (الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية) أيضاً غير كافية في قضاء حوائجهم العصرية ، لاختلاف الآراء فيما بينهم أوّلاً ، و عدم تكفلّهم لجميع المسائل المبتلى بها لاسيما المسائل الحديثة المتجدّدة في العصر الجديد ثانياً .

و باب الاجتهاد أيضاً مسدودٌ عندهم ، ليس لأحد حقّ أن يفتي بخلاف ماأفتى به الأئمة الأربعة[1] ، و آخرهم أحمد بن حنبل الذي مضى في سنة (٢٤١) فمن ذاك الحين الى الآن ليس عندهم مفتٍ ، و من (٦٥٦) ليس لهم خليفة . فالآن

---

١ - وهم : أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة (١٥٠) ، وأبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي المتوفى (١٧٩) ، و أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى (٢٠٤) ، و أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١) .

ليس لهم زعامة دينية و لادنيوية ، مع أنّ رسول الله ﷺ قد بشّر الناس بأنَّ هذا الأمر لا يزال باقياً و ممتدّاً الى آخر الزّمان و لو بقي من الناس اثنان[1] .

مضافاً الى أنّ عدد هولاء الخلفاء و هو (٥٧) أو أكثر اذا حسبنا معهم خلفاء مصر و افريقيا أيضاً ، لايطابق عدد «اثنا عشر» الذي أخبر به النبي الصادق ﷺ كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال النبي ﷺ : « انّ هذا الأمر لاينقضي حتى يمضي فيهم اثناعشر خليفة »[2] .

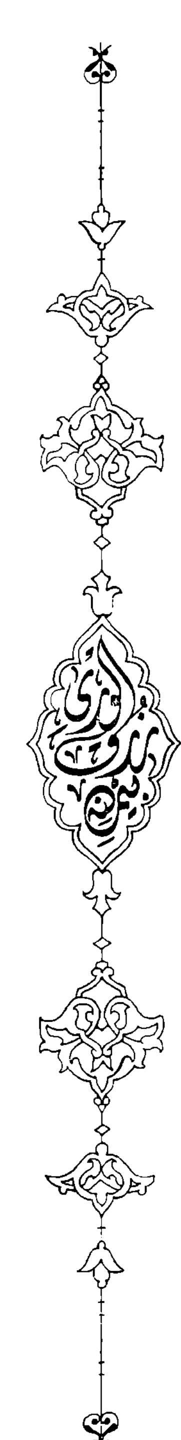
و روى البخاري أيضاً في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال : « يكون اثناعشر أميراً كلهم من قريش »[3] **فافهم و تدبّر** .

---

١ – قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان (راجع **صحيح مسلم** ج ٣ ص١٤٥٢ كتاب **الامارة** ح ١٨٢٠) .

٢ – المصدر ح ١٨٢١ .

٣ – **صحيح البخاري** ج ٨ ص ١٢٧ كتاب الأحكام ، باب ٥٢ .



نظرة خاطفة الى الامامة
التى بدأت من غدير خم (في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)
وانتهت الى المهدي عجل الله تعالى فرجه

الآن نذكر للقرّاء الكرام سلسلة أُخرى من الأئمة و خلفاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذين عددهم اثنا عشر لا يزيد و لا ينقص عن العدد الذي نبّأ به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما أسلفناه قبيل هذه الصفحة .

وإنّ خلافتهم و امامتهم غير مجعولة بأيدي الناس ، بل هي من الله و رسوله منصوصة ، و في القرآن و السنة موصوفة ، سيرتهم منزّهة عن كل ريب ، و سريرتهم مطهّرة عن كل عيب ، كما قال أبو نواس :

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهم تجري الصّلاة عليهم كلّما ذكروا

تراجمهم لامعة ، و سيرتهم ناصعة ، اتفق علماء السنة و الشيعة على حسن صفاتهم ، و أطبق جهابذة العلم على علوّ درجاتهم ، اذ ملئوا به أسفارهم ، و دوّنوا كتبهم ، و الآن نذكرهم مقتصرين على كتب أربعة من أهل السّنة و هي :

١ ـ وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى (٦٨١) .

٢ ـ الصواعق المحرقة للمحدّث أحمد بن حجر الهيتمي المكّي المتوفى في (٩٧٤) .

٣ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي المولود سنة (١٢٥٠) و نيّف .

٤ ـ أرجح المطالب في عدّ مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمولانا عبيدالله الإمر تسري المعاصر (١٣٠٠) و نيّف .



﴿ ١ ﴾

﴿ امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ﴾

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام ، و اسمه الثاني (حيدر) كما رجز به في خيبر ، و (ايليا) كما ورد في التوراة و الانجيل ، وكنيته : أبو الحسن و أبو تراب ، و ألقابه كثيرة منها : المرتضىٰ أمير المؤمنين ، امام المتقين ، قائد الغرّ المحّجلين ، يعسوب المؤمنين ، خاتم الوصيّين ، صالح المؤمنين ، مولى المؤمنين ، أسد الله ، سيف الله ، امام البررة ، قاتل الفجرة ، الصدّيق الأكبر و الفاروق الأعظم[١] .

﴿ ولادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : «ولد عليه السلام بمكة داخل البيت الحرام ، على قول[٢] يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث و عشرين سنة و قبل المبعث بعشر سنين . و لم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، قاله ابن الصبّاغ .

---

١ - **أرجح المطالب** ص ٩ ـ الى ـ ٣٨ .

٢ - قوله (على قول) الظاهر أنه متعلق بما بعده ، لاقبله ، لأنّ ولادته في جوف الكعبة متواتر ، قال الحافظ الحاكم النيسابوري : تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الكعبة (المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٤٨٣) .



و اُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، أسلمت و هاجرت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

نقل عنها أنها كانت اذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي عليه السلام في بطنها لم يمكّنها يضع رجله على بطنها و يلصق ظهره بظهرها و يمنعها من ذلك[1] و لذلك يقال عند ذكره (كرم الله وجهه) أي عن أن يسجد لصنم .

و هي أول هاشمية ولدت هاشمياً .

و لما ماتت كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقميصه ، لأنها كانت عنده بمنزلة اُمّه ، و أمر اسامة بن زيد و غيره أن يحفروا قبرها بالبقيع ، فلمّا بلغوا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، و أخرج ترابه فلّما فرغ اضطجع فيه ، و قال : اللهم اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد ، و لقنّها حجّتها و وسّع عليها مدخلها بحقّ نبيك محمد و الأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين .

فقيل يارسول الله : رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبلها ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، و اضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر ، لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعاً إليّ بعد أبي طالب .

و تربىّ عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يزل علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتبعه علي عليه السلام وآمن به و صدّقه وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

و قال ابن إسحاق : أسلم علي بن أبي طالب و هو ابن عشر و قيل غير ذلك .

---

١ – لا يخفىٰ أنّ هذا على مذاق العامّة ، و الا عند الشيعة أنّ والدي المعصومين مسلمان عند انعقاد الحمل .

و شهد المشاهد كلها و لم يتخلف إلا في تبوك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفه في أهله[1] فقال يارسول الله أتخلفني في النساء و الصبيان قال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنّه لانبي بعدي ، أخرجه الشيخان»[2] .

﴿ صفته عليه السلام ﴾

«كان ربعة من الرجال ، أدعج العينين عظيمهما ، حسن الوجه كأنه قمرٌ بدريٌ ، عظيم البطن ، وكان رضي الله عنه عريض ما بين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لاتبين عضده من ساعده ، أدمج إدماجاً شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، أغيد كأنّ عنقه إبريق فضة . و في أُسد الغابة عن رازم بن سعد الضبي قال : سمعت أبي ينعت علياً قال : كان رجلاً فوق الربعة ، ضخم المنكبين ، طويل اللحية ، و إن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم و إن تبيّنه من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم»[3]

﴿ اسلامه عليه السلام ﴾

قال ابن حجر المكّي : «أسلم علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم و هو ابن عشر

---

١ – هذا أيضاً اشتباهٌ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخلف علياً عليه السلام في أهله فقط ، بل خلفه في جميع أهل المدينة و غيرها كما هو ظاهرٌ من تشبيهه بهارون .

٢ – **نور الأبصار** ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٣ – المصدر .



سنين ، و قيل تسع و قيل ثمان ، و قيل دون ذلك .

قال ابن عباس و أنس و زيد بن أرقم و سلمان الفارسي و جماعة : انه أول من أسلم ، و نقل بعضهم الاجماع عليه ، و مرّ الجمع بين هذا الاجماع و الاجماع على أنّ أبا بكر أول من أسلم .

و نقل أبو يعلي عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم الاثنين و أسلمت يوم الثلاثاء .

(و أخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد قال : لم يعبد الأوثان قط و من ثم يقال فيه كرم الله وجهه»[1]

قال الجزائري : و مما يدلّ على بطلان الاجماع الثاني مايلي :

روى ابن جرير مسنداً الى محمد بن سعد بن أبي وقّاص . قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم اسلاماً ؟ قال : لا ! و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين[2] .

و الخدشة في سند الرواية لا تخدش في بطلان الاجماع الثاني ، مضافاً الى تظافر الأخبار و الروايات بأنّ علياً عليه السلام قال : أنا عبد الله و أخو رسوله ، و أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي[3] الاكذّاب ، صلّيت قبل الناس بسبع سنين[4] .

---

١ - **الصواعق المحرقة** ص ٧٢ .

٢ - **تاريخ الطبري** ج ٢ ص ٣١٦.

٣ - الظاهر أنّ لفظ « بعدي » تصحيف « غيري » لعدم ورود الروايات المعتبرة من الفريقين في ذلك لغير علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤ - **صحيح ابن ماجة** ص ١٢ ، **المستدرك على الصحيحين** ج ٣ ص ١١١ ، **تاريخ الطبري** ج ٢ ص ٥٦ .



الآيات التي نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن حجر المكيّ : (أخرج) ابن عساكر عن ابن عباس ، قال : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي عليه السلام .

(و أخرج) عنه ايضاً قال : نزل في ثلاث مائة آية .

(و أخرج) الطبراني و ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : ما أنزل الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ الاّ و عليّ أميرها و شريفها ، و لقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم في غير مكانٍ و ما ذكر علياً الاّ بخير[1] .

و قال الشيخ مؤمن الشبلنجي : قد ورد في فضله آيات جمّة ، ثم ذكر منها مايلي :

(۱) قوله تعالى :﴿ أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله . لايستوون عند الله و الله لايهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجةً عند الله و اولئك هم الفائزون . يبشّرهم ربّهم برحمةٍ منه و رضوانٍ و جناتٍ لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً انّ الله عنده أجرٌ عظيم﴾[2] نقل الواحديُّ في كتابه المسمى بأسباب النزول أنّ الحسن و الشعبي و القرطبي قالوا إنّ علياً عليه السلام و العباس و طلحة بن شيبة افتخروا ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت مفتاحه بيدي و لو شئت كنت فيه ، و قال العباس رضي الله عنه : و أنا صاحب السقاية و القائم عليها فقال علي عليه السلام لا أدري

---

۱ – **الصواعق المحرقة** ص ٧٦ .

۲ – التوبة ۹ : ۱۹ ـ الى ـ ۲۲ .



[ما تقولان ؟] لقد صلّيت ستة أشهر قبل الناس و أنا صاحب الجهاد في سبيل الله فأنزل الله تعالى ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله . . . الخ** ﴾[1] .

(٢) قوله تعالى : ﴿ **انّما وليّكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون**﴾[2] .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال «صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إني سألت في مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعطني أحد شيئاً ، وكان علي عليه السلام في الصلاة راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى و فيها خاتم ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، و ذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو في المسجد ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفه إلى السماء ، و قال : اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال : ﴿ **ربّ اشرح لى صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي و اجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري و أشركه في أمري**﴾[3] فأنزلت عليه قرآناً﴿ **سنشدّ عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما**﴾[4] اللّهم و إنّي محمد نبيّك و صفيّك ، اللهم فاشرح لي صدري و يسر لي أمري و اجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري .

قال : أبو ذر رضي الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عز و

---

١ - نور الأبصار ص ٨٦.

٢ - المائدة ٥ : ٥٥ .

٣ - طه ٢٠ : ٢٥ .

٤ - القصص ٢٨ : ٣٥ .

جل و قال : يامحمد اقرأ ﴿ **إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون**﴾ نقله أبو إسحق أحمد الثعلبي في تفسيره[١] .

(٣) قوله تعالى ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سراً و علانية فلهم أجرهم عند ربّهم و لا خوفٌ عليهم و لا هم يحزنون**﴾[٢] .

و نقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال : «كان مع علي عليه السلام أربعة دراهم لايملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سراً و بدرهم علانيةً فأنزل الله تعالى ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سراً و علانيةً . . .الخ** ﴾[٣] .

(٤) قوله تعالى : ﴿ **انّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات أُولئك هم خير البريّة**﴾[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : انّ الذين آمنوا ـ الى قوله ـ خير البريّة .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : « أنت و شيعتك تأتي يوم القيامة أنت و هم راضيين مرضيّين و يأتي أعداؤك غضاباً مقمحين»[٥] .

(٥) قوله تعالى : ﴿ **وتعيها أُذنٌ واعية**﴾[٦] .

عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **وتعيها أُذن واعية**﴾ قال قال

---

١ – نور الأبصار ص٨٧ .

٢ – البقرة ٢: ٢٧٤ .

٣ – نور الأبصار ص٨٧.

٤ – البيّنة ٩٨ : ٦ .

٥ – نور الأبصار ص ٨٧ .

٦ – الحاقّة ٦٩ : ١٢ .



رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك ياعلي ففعل فكان علي عليه السلام يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً إلا وعيته و حفظته و لم أنسه[1].

(٦) قوله تعالى : ﴿ **انما أنت منذر و لكل قوم هاد** ﴾[2] عن ابن عباس رضي الله عنه قال «لما نزل قوله تعالى : ﴿ **إنما أنت منذرٌ و لكل قوم هاد** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا المنذر وعلي الهادي و بك ياعلي يهتدي المهتدون»[3].

(٧) قوله تعالى : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافعٌ . من الله ذي المعارج** ﴾[4]

نقل الإمام أبو إسحق الثعلبي في تفسيره «أنّ سفيان بن عيينة سئل عن قوله تعالى ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ فيمن نزلت ؟ .

فقال للسائل سألتني عن مسألة لم يسألني عنها قبلك أحدٌ ، حدّثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان بغدير خم نادى الناس ، فاجتمعوا ، فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام و قال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد و بلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقة له فأناخ راحلته و نزل عنها و قال : يامحمد أمرتنا عن الله عز و جل أن نشهد : لا آله إلا الله و أنك رسول الله ، فقبلنا ، و أمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك ، و أمرتنا بالزكاة فقبلنا ، و أمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا ، و أمرتنا بالحج فقبلنا ، ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضّله علينا ! فقلت : من

---

١ - نور الأبصار ص٨٧ .

٢ - الرّعد ١٣ : ٧ .

٣ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٤ - المعارج ٧٠ : ١ـ٣ .

كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله عزّ و جل ؟ .

فقال النبي ﷺ و الذي لا إله إلا هو إنّ هذا من الله عزّ و جل .

فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته و هو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّ و جل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله عزّ و جلّ ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج** ﴾[1] .

(٨) قوله تعالى : ﴿ و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤف بالعباد﴾[2].

(أورد) الإمام الغزالي في كتابه احياء العلوم : أن ليلة بات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل إني آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كلاهما الحياة و أحبّاها فأوحى الله إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ؟ آخيت بينه و بين محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة ، اهبطا الأرض فاحتفظاه من عدوه ، فكان جبريل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه ينادي و يقول بخٍ بخٍ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عز و جل ﴿ **و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف بالعباد** ﴾ و في تلك الليلة أنشاء علي عليه السلام :

---

١ – نور الأبصار ص ٨٧ .

٢ – البقرة ٢ : ٢٠٧ .

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصىٰ و أكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبتّ أُراعي منهم ما يسوءني و قد صبّرت نفسي على القتل و الأسر
و بات رسول الله في الغار آمناً و ما زال في حفظ الآله و في الستر[1]

الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب عليه السلام

و هي كثيرة جداً بحيث يعسر ضبطها ، و لهذا لم يتيسّر لأحد أن يدرجها تماماً في كتابه ، و نحن نقتصر على ما نقله ابن حجر المكيّ فى صواعقه ، و انما رجّحناه على غيره في مقام النقل عنه لوجهين :

(الأول) انّه ذكر المصادر .

(الثاني) انه متعصّب للسنة للغاية فتكون منقولاته في علي عليه السلام أزيد اعتباراً من غيره . و انه ذكر أربعين حديثاً مترتباً في مقام واحد و سبعة منها متفرقاً و نحن نذكرها جميعاً في سرد واحد ، فهذه سبعة و أربعون حديثاً :

(الحديث الأول) أخرج الشيخان عن سعد ابن أبي وقاص و أحمد البزاز عن أبي سعيد الخدري و الطبراني عن أسماء بنت عميس و أُم سلمة و حبيش بن جنادة و ابن عمر و ابن عباس و جابر بن سمرة و علي عليه السلام و البراء بن عازب و زيد بن أرقم انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف علي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلّفني في النساء و الصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي .

---

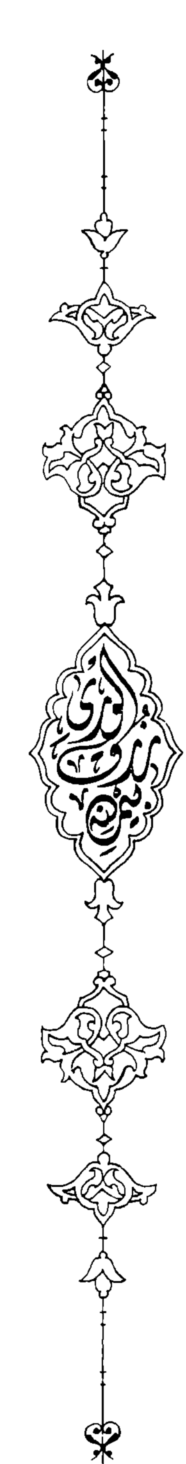
١ - نور الأبصار ص ٩٦ .

(الحديث الثاني) أخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد و الطبراني عن ابن عمر و ابن أبي ليلى و عمران بن حصين و البزاز عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله و رسوله ، فبات الناس يتذاكرون أي يخوضون و يتحدثون ليلتهم أيّهم يعطاها فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل يشتكي عينيه ، قال فأرسلوا اليه ، فاتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه و دعا له ، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، و أخرج الترمذي عن عائشة كانت فاطمة أحبّ الناس الى رسول الله ﷺ و زوجها أحبّ الرجال اليه .

(الحديث الثالث) أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لمّا نزلت هذه الآية ﴿ **ندع أبناءنا و أبناءكم** ﴾[١] دعا رسول الله ﷺ علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال : اللّهم هؤلاء أهلي .

(الحديث الرابع) قال ﷺ يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه الحديث ، و قد مرّ في حادي عشر الشبه أنه رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وانّ كثيراً من طرقه صحيح أو حسن و مرّ الكلام ثم على معناه مستوفى و روى البيهقي أنه ظهر علي عليه السلام من البعد فقال ﷺ هذا سيد العرب ، فقالت عائشة : ألست سيد العرب ؟ فقال : أنا سيد العالمين و هو سيد العرب ، و رواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ أنا سيد ولد آدم و علي سيد العرب ، و قال انه صحيح .

١ - **آل عمران** ٣ : ٦١ .



(الحديث الخامس) أخرج الترمذي و الحاكم و صحّحه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ الله أمرني بحبّ أربعة و أخبرني أنه يحبّهم قيل يارسول الله سمّهم لنا ، قال : علي منهم ، يقول ذلك ثلاثاً و أبو ذر و المقداد و سلمان .

(الحديث السادس) أخرج أحمد و الترمذي و النسائي و ابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي مني و أنا من علي و لايؤدّي عني الا أنا أو علي .

(الحديث السابع) أخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك و لم تؤاخ بيني و بين أحد ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة .

(الحديث الثامن) أخرج مسلم عن علي عليه السلام ، قال : و الذي فلق الحبّة و برأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أنه لا يحبّني الا مؤمن و لا يبغضني الا منافق ، و أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً .

(الحديث التاسع) أخرج البزّار و الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ، و الطبراني و الحاكم و العقيلي في الضعفاء ، و ابن عدي عن ابن عمر ، و الترمذي و الحاكم عن علي عليه السلام ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم و علي بابها ، و في رواية فمن أراد العلم فليأت الباب ، و في أُخرى عن الترمذي عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا دار الحكمة و عليٌّ بابها ، و في أُخرىٰ عن ابن عدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علي باب علمي .

و تضعيف ابن حجر لهذا الحديث استناداً الى قول ابن الجوزي و النووي ، واهٍ بعد ما رواه جمّ غفير من الحفّاظ و أئمة الحديث يناهض عددهم مائة و ثلاثة و أربعين نفراً و صحّحه كثيرٌ من العلماء ، منهم :

الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى (٢٣٣).
و ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠).
و الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥).
و الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣).
و الحافظ أبو محمد الحسن السمرقندي المتوفى (٤٩١) في بحر الأسانيد.
و الحافظ مجد الدين الفيروز آبادي المتوفى (٨١٦) في النقد الصحيح.
و الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١) في جمع الجوامع و غير ذلك من جهابذة العلم و حملة الحديث[١].

(الحديث العاشر) أخرج الحاكم و صحّحه عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله بعثتني و أنا شاب أقضي بينهم و لأدري ما القضاء؟ فضرب صدري بيده ثم قال: اللّهم اهد قلبه و ثبّت لسانه، فوالذي فلق الحبّة ما شككت في قضاء بين اثنين.

قيل و سبب قوله صلى الله عليه وآله وسلم أقضاكم علي السابق في أحاديث أبي بكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً مع جماعة من أصحابه، فجاءه خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله انّ لي حماراً وانّ لهذا بقرةً وانّ بقرته قتلت حماري، فبدأ رجلٌ من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقض بينهما ياعلي، فقال علي لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين؟ أم أحدهما مشدوداً و الآخر مرسلاً؟ فقالا: كان الحمار مشدوداً و البقرة مرسلةً و صاحبها معها، فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه و أمضى قضاءه.

---

١ - راجع لمزيد التفصيل **عبقات الأنوار** الجزء الخامس ط القديم أو **الغدير** ج ٦ ص ٧٧.



(الحديث الحادى عشر) أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام أنه قيل له مالك أنت أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ؟ قال : اني كنت اذا سألته أنبأني و اذا سكت ابتدأني .

(الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف[1] عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من شجر شتّى و أنا و علي من شجرة واحدة .

(الحديث الثالث عشر) أخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي لايحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري و غيرك .

(الحديث الرابع عشر) أخرج الطبراني و الحاكم و صحّحه عن أُم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب لم يجترئ أحدٌ أن يكلّمه الا علي .

(الحديث الخامس عشر) أخرج الطبراني و الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : النظر الى علي عبادة ، اسناده حسن .

(الحديث السادس عشر) أخرج أبو يعلى و البزّار عن سعدبن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آذى علياً فقد آذاني .

(الحديث السابع عشر) أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله و من أبغض علياً فقد أبغضني و من أبغضني فقد أبغض الله .

(الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد و الحاكم و صحّحه عن أم سلمة قالت

---

١ - أقول : انّ السند ليس بضعيف بل عقل القائل ضعيفٌ لأن مفاد هذا الحديث معلومٌ بالوجدان فلايحتاج الى سند أو برهان .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سبّ علياً فقد سبّني .

(الحديث التاسع عشر) أخرج أحمد و الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : انّك تقاتل على تاويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

(الحديث العشرون) أخرج البزّار و أبو يعلى و الحاكم عن علي عليه السلام قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انّ فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا اُمّه ، و أحبّته النصارى حتى نزّلوه بالمنزل الذي ليس به ، ألا و انّه يهلك فيّ اثنان محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيّ و مبغض يحمله شنآني على أن يبهتني .

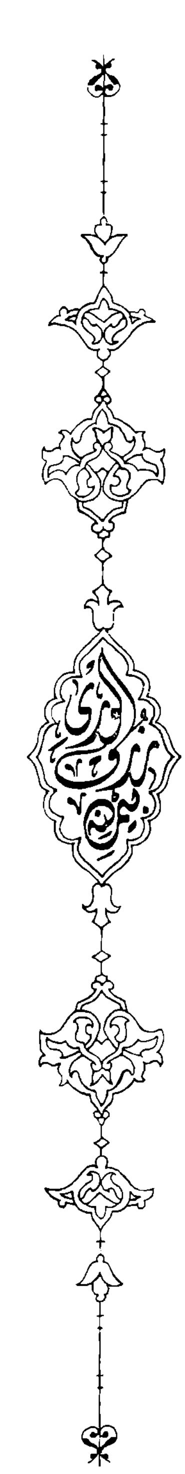
(الحديث الحادي و العشرون) أخرج الطبراني في الأوسط عن اُم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : علي مع القرآن و القرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض .

(الحديث الثاني و العشرون) أخرج أحمد و الحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة و الذي يضربك ياعلي على هذه يعني قرنه حتى يبلّ منه هذه يعني لحيته ، و قد ورد ذلك من حديث علي عليه السلام و صهيب و جابر بن سمرة و غيرهم .

(و أخرج) أبو يعلى عن عائشة قالت رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم التزم علياً و قبلّه و هو يقول : بأبي الوحيد الشهيد .

و روى الطبراني و أبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحداً منهم فانه موثق أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له يوماً : من أشقى الأولين ؟

قال : الذي عقر الناقة يارسول الله ، قال : صدقت ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لي يارسول الله ، قال الذي يضربك على هذه ، و أشار صلى الله عليه وآله وسلم



الى يافوخه ، فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق أي عند تضجره منهم : وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته ، من هذه و وضع يده على مقدم رأسه .

و صحّ أيضاً انّ ابن سلام قال له : لا تقدم العراق فانيّ أخشى أن يصيبك بها ذباب السّيف ، فقال علي عليه السلام : وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو الاسود : فما رأيت كاليوم قطّ محارب يخبر بذا عن نفسه .

(الحديث الثالث و العشرون) أخرج الحاكم و صحّحه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس علياً فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً فقال : لا تشكو علياً فو الله انه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله .

(الحديث الرابع و العشرون) أخرج أحمد و الضياء عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : انيّ أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم و انيّ و الله ما سددت شيئاً و لافتحته و لكنّي أُمرت بشيء فاتبعته .

(الحديث الخامس و العشرون) أخرج الترمذي و الحاكم عن عمران بن حصين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما تريدون من علي ! ما تريدون من علي !! ما تريدون من علي !!! انّ علياً منّي و أنا منه و هو ولي كل مؤمن بعدي .

(الحديث السادس و العشرون) أخرج الطبراني عن ابن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انّ الله تبارك و تعالى أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي .

(الحديث السابع و العشرون) أخرج الطبراني عن جابر و الخطيب عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه و جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب .

(الحديث الثامن و العشرون) أخرج الديلمي عن عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير اخوتي علي و خير أعمامي حمزة ذكر علي عبادة .

(الحديث التاسع و العشرون) أخرج الديلمي أيضاً عن عائشة و الطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال السبق ثلاثة : فالسابق الى موسى يوشع بن نون و السابق الى عيسى صاحب يس ، و السابق الى محمد علي بن أبي طالب .

(الحديث الثلاثون) أخرج أبن النجّار عن أبنّ عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الصدّيقون ثلاثة : حزقيل مؤمن آل فرعون ، و حبيب النجار صاحب يس ، و علي بن أبي طالب .

(الحديث الحادي و الثلاثون) أخرج أبو نعيم و ابن عساكر عن أبي ليلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الصدّيقون ثلاثة : حبيب النجار ، مؤمن آل يس الذي قال ﴿ **ياقوم اتبعوا المرسلين** ﴾[1] و حزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله** ﴾[2] و علي بن أبي طالب و هو أفضلهم .

(الحديث الثاني و الثلاثون) أخرج الخطيب عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب .

(الحديث الثالث و الثلاثون) أخرج الحاكم عن جابر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : عليٌّ امام البررة ، و قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .

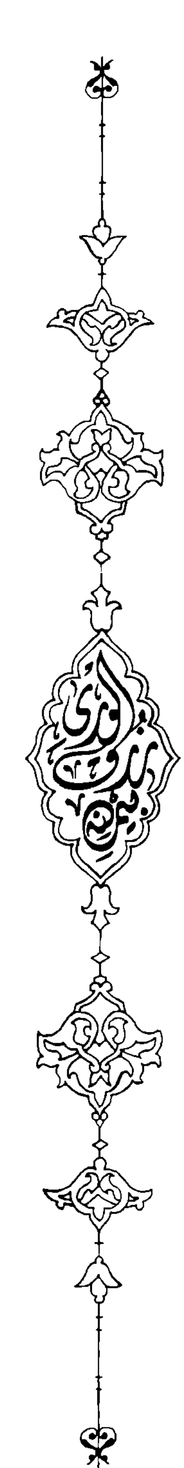
(الحديث الرابع و الثلاثون) أخرج الدارقطني في الافراد عن أبن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً و من خرج منه كان كافراً .

(الحديث الخامس و الثلاثون) أخرج الخطيب عن البراء و الديلمي عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : علي مني بمنزلة رأسي من بدني .

---

١ - يس ٣٦ : ٢٠ .

٢ - **الغافر** ٤٠ : ٢٨ .



(الحديث السادس و الثلاثون) أخرج البيهقي و الديلمي عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا .

(الحديث السابع و الثلاثون) أخرج ابن عدي عن علي عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : عليٌّ يعسوب المؤمنين و المال يعسوب المنافقين .

(الحديث الثامن و الثلاثون) أخرج البزار عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : عليٌّ يقضي ديني .

(الحديث التاسع و الثلاثون) أخرج الترمذي و الحاكم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انّ الجنة لتشتاق الى ثلاثة : عليٌّ و عمارٌ و سلمان .

(الحديث الأربعون) أخرج الشيخان عن سهل أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجد علياً مضطجعاً في المسجد و قد سقط رداؤه عن شقّه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسحه عنه و يقول : قم أبا تراب ! فلذلك كانت هذه الكنية أحبّ الكنى اليه لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كنّاه بها .

(الحديث الواحد و الأربعون) أخرج ابن أبي شيبة عن عبدالرحمان بن عوف قال لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة انصرف الى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة ثم قام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أُوصيكم بعترتي خيراً و انّ موعدكم الحوض و الذي نفسي بيده لتقمين الصلاة و لتؤتن الزكاة أو لأبعثنّ اليكم رجلاً منّي أو كنفسي يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه ثم قال هو هذا .

(الحديث الثاني و الأربعون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرض موته : أيها الناس ! يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي و قد قدمت اليكم القول معذرةً اليكم ألا اني مخلّف فيكم كتاب ربي عز و جل ، و عترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن و القرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض

فاسألوهما ما خلّفت فيهما .

(الحديث الثالث و الأربعون) أخرج أحمد في المناقب عن علي عليه السلام قال طلبني النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حائط و قال : قم فو الله لأُرضيك أنت أخي و أبو ولدي تقاتل على سنتي ، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ، و من مات على عهدك فقد قضى نحبه و من مات يحّبك بعد موتك ختم الله له بالأمن و الايمان ما طلعت شمس أو غربت .

(الحديث الرابع و الأربعون) أخرج الدارقطني أنّ علياً قال للستة الذين جعل عمر أمر الشورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته أُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي أنت قسيم الجنة و النار يوم القيامة غيري ؟ قالوا اللهم لا ، و معناه ما رواه عنترة عن علي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له أنت قسيم الجنة و النار فيوم القيامة تقول للنار هذا لي و هذا لك .

(الحديث الخامس و الأربعون) روى ابنّ السماك أن أبا بكر قال له سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا يجوز أحد الصراط الا من كتب له علي الجواز .

(الحديث السادس الأربعون) أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمان للخصومة يوم القيامة[١] .

(الحديث السابع و الأربعون) (أخرج) الطبرانيُ : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلي معك يوم القيامة عصاً من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض .

(الحديث الثامن و الأربعون) (أخرج) أحمد : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أُعطيت في علي خمساً ، هنّ أحبّ اليّ من الدنيا و ما فيها (أمّا واحدة) فهو بين يدي الله حتّى

---

١ - راجع لهذه الأحاديث كلها الصواعق المحرقة من ص ٧٢ ـ الى ـ ٧٥ .



يفرغ من الحساب[١] . (و أما الثانية) فلواء الحمد بيده آدم و من ولده تحته .(و أما الثالثة) فواقف على حوضي يسقي من عرف من أُمتي ، الحديث ، و مرّ خبر انّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي أعداؤك يردون على الحوض ظماء مقمحين[٢] .

فضائله الجبّارة و مآثره الزخّارة

قال ابن حجر : «و هي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد : ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي ، و قال اسماعيل القاضي و النسائي و أبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء فی علي»[٣] .

و قال ابن حجر : (أخرج) الطبراني عن ابن عباس قال :كانت لعلي ثمانية عشرة منقبة ماكانت لأحد من هذه الأمّة .

(و أخرج) أبو يعلى عن أبي هريرة قال عمر بن الخطاب : لقد أُعطي علي ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها أحبّ اليّ من حمر النعم ، فسُئل و ما هي ؟ قال : تزويجه ابنته ، و سكناه في المسجد لا يحل لي فيه ما يحلّ له ، والراية يوم خيبر .

و روى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه .

و لمّا دخل الكوفة دخل عليه حكيمٌ من العرب فقال و الله ياأمير المؤمنين

---

١ – لا يخفى أنّ المراد منه أن يفرغ الله تعالى من حساب الخلق ، لا أن يفرغ من حساب علي عليه السلام و الا ليس منقبة .

٢ – **الصواعق المحرقة** ص ١٠٤ .

٣ – **المصدر** ص ٧٢ .

لقد زينت الخلافة و ما زيّنتك ، و رفعتها و ما رفعتك ، و هي كانت أحوج اليك منك اليها .

(و أخرج) السلفي في الطيوريات عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي و معاوية ؟ فقال اعلم أنّ علياً كان كثير الأعداء ففتّش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه فجاؤا الى رجل قد حاربه و قاتله فأطروه كيداً منهم له[1] ، و هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، و أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤاخاة ، و صهره على فاطمة سيدة نساء العالمين ، و أحد السّابقين الى الاسلام ، و أحد العلماء الربّانين ، و الشجعان المشهورين ، و الزهّاد المذكورين ، و الخطباء المعروفين ، و أحد من جمع القرآن و عرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عرض عليه أبو الأسود الدؤلي و أبو عبدالرحمان السلمي و عبدالرحمان بن أبي ليلى ، و لمّا هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدّي عنه أمانته و الودائع و الوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يلحقه باهله ففعل ذلك[2] .

و قال أيضاً و مناقب علي و فضائله أكثر من أن تُحصى .

و من كلام الشافعي :

قالوا ترفّضت قلت كلا ... ماالرفض ديني و لا اعتقادي
لكن تولّيت غير شك ... خير امام و خير هادي
ان كان حب الولي رفضاً ... فانني أرفض العباد

وقال أيضاً :

---

١ – المصدر ٧٦
٢ – المصدر ٧٢



يا راكباً قف بالمحصّب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[١]

شأن علمه الزخّار

قال ابن حجر المكيّ : «(أخرج) ابن سعد عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : علي أقضانا .

(و أخرج) الحاكم عن ابن مسعود قال : أقضى أهل المدينة علي .

(و أخرج) ابن سعد عن ابن عباس قال : اذا حدّثنا ثقة عن علي الفتيا لا نعدوها ، أي لا نتجاوزها .

(و أخرج) عن سعيد بن المسيّب كان عمر بن الخطّاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، يعني علياً .

(و أخرج) عنه قال : لم يكن أحدٌ من الصحابة يقول : سلوني ، الا علي .

(و أخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة و أقضاها علي .

و ذُكر عند عائشة ، فقالت : انّه أعلم من بقي بالسنّة .

و قال عبدالله بن عيّاش كان بعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، وكان له القدم في الاسلام ، و الصهر برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ، و الفقه في السنّة ، و النجدة في

---

١ - المصدر ص ٧٩ .

الحرب ، و الجود في المال .

(و أخرج) ابن سعد عنه ، قال : و الله ! ما نزلت آية الا و قد علمت فيم نزلت و أين نزلت و على من نزلت إنّ ربيّ وهب لي قلباً عقولاً و لساناً ناطقاً .

(و أخرج) ابن سعد و غيره عن أبي الطفيل قال قال علي : سلوني عن كتاب الله فانّه ليس من آية الا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل .

(و أخرج) ابن أبي داوّد عن محمد بن سيرين قال لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبطأ علي عن بيعة أبي بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتي ؟ فقال : لا ، ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي الا الى الصّلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا انه كتبه على تنزيله ، قال محمد بن سيرين : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم»[١] .

قال الجزائري : انّ نسبة عدم كراهة علي عليه السلام لخلافة أبي بكر مخالفة صريحة لما ورد من اتفاق أرباب السير و التأريخ على أنّ علياً عليه السلام وكذا سائر بني هاشم رجالاً و نساءً (و فيهن فاطمة الزهراء عليها السلام) أبوا عن بيعة أبي بكر ، و لهذا هجم القوم على دار فاطمة عليها السلام و أخرجوا منها علياً عليه السلام لأخذ البيعة منه قهراً ، اذ بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب و قال له : إن أبوا فقاتلهم[٢] .

---

١ - **المصدر** ص ٧٦ .

٢ - راجع : **العقد الفريد** ج ٢ ص ٢٥٠ و **تاريخ أبي الفداء** ج ١ ص ١٥٦ و **أعلام النساء** ج ٣ ص ١٢٠٧ (على ما نقله الغدير ج ٧ ص ٧٧) .



شجاعة علي عليه السلام و جهاده في سبيل الله

قال ابن حجر : «انّه شهد مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم سائر المشاهد الا تبوك فانه صلى الله عليه و آله و سلم استخلفه على المدينة و قال له حينئذ : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى كما مرّ .

و له في جميع المشاهد الآثار المشهورة .

و أُصيبَ يوم أحد ست عشرة ضربة .

و أعطاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر ، و أخبر صلى الله عليه و آله و سلم أنّ الفتح يكون على يده كما في الصحيحين ، و حمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، و انّهم جرّوه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلاً ، و في رواية انه تترّس باب الحصن عن نفسه فلم يزل يقاتل و هو في يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فاراد ثمانية أن ينقلوه فما استطاعوا»[1] .

و قال الشبلنجي : «فمن شجاعته مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمّا أمره بذلك . و قد اجتمعت قريش على قتل النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لم يكترث علي رضي الله عنه بهم .

قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله تعالى الى جبرئيل و ميكائيل عليهما السلام أن أنزلا الى علي و احرساه في هذه الليلة الى الصباح ، فنزلا اليه و هما يقولان بخٍّ بخٍّ من مثلك ياعلي قد باهى الله بك ملائكته»[2] .

---

١ - **الصواعق المحرقة** ص ٧٢ .

٢ - **نور الأبصار** ص ٩٦ راجع تمام الخبر في فصل الآيات النازلة في علي بن أبي طالب عليه السلام .

﴿ شجاعته عليه السلام يوم بدر ﴾

قال الشبلنجي :كان عمره إذ ذاك سبعاً و عشرين سنة .

قال بعضهم إنّ أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قُتل من المشركين يوم بدر سبعون رجلاً ، قال قتل علي عليه السلام منهم أحداً و عشرين ، تسعة باتفاق الناقلين ، و أربعة شاركه فيهم غيره ، و ثمانية مختلف فيهم .

و روي عن رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لمّا أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة و ابنه الوليد ، فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا محمد ! أخرج لنا أكفاءنا من قريش ، فبرز إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار ، فقال لهم عتبة : من أنتم ؟ فانتسبوا ، فقال : لا حاجة لنا في مبارزتكم إنّما طلبنا بني عمّنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار : ارجعوا مواقفكم ، ثم قال : قم ياعلي ! قم ياحمزة ! قم ياعبيدة ! قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيّكم .

فقاموا فصفّوا في وجوههم ، وكان على رؤوسهم البيض ، فلم يعرفوهم ، فقال عتبة : من أنتم يا هؤلاء ؟ تكلّموا ! فان كنتم أكفاءنا قاتلناكم .

فقال حمزة بن عبدالمطلب : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أنا أسد الله و أسد رسوله .

فقال عتبة :كفؤ كريم .

و قال علي : أنا علي بن أبي طالب ، و قال عبيدة : أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

فقال عتبة لابنه الوليد : قم يا وليد ! ابرز لعلي ، وكان أصغر الجماعة سناً ،



فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد ، و وقعت ضربة علي عليه السلام على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها ، ثم ثنّى عليه بأُخرى فخرّ قتيلاً .

روي عن علي عليه السلام أنه كان إذا ذكر بدراً و قتله الوليد قال في حديثه : كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله عند ما أبنت يده و بها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس .

و بارز عتبة حمزة ، و بارز عبيدة شيبة ، و كان من أسنّ القوم فاختلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها ، فاستنقذه علي و حمزة رضى الله عنهما و قتلا شيبة و حمل عبيدة فمات بالصفراء»[١] .

﴿ شجاعته عليه السلام يوم أُحد ﴾

قال الشبلنجي : «و محصّل القول في هذه الغزوة أنّ أشراف قريش لما كسروا يوم بدر و قُتل بعضهم و أُسر بعض آخر ، دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم و أشرافهم و بذلوا أموالاً و استمالوا جمعاً من كنانة و غيرهم ليقصدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ستئصال المسلمين و تولّى ذلك أبو سفيان بن حرب ، فحشد و حثّ و قصد المدينة .

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع قريب من ثلثهم و بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعمائة من المسلمين فالتقى الجمعان و اشتدّ الحرب و اضطرب المسلون و

---

١ - نور الأبصار ص ٩٦ .

استشهد حمزة و جماعة من المسلمين و قتل من مقاتلة المشركين اثنان و عشرون رجلاً .

نقل أصحاب المغازى أنّ علياً عليه السلام قتل منهم سبعة ؛ طلحة بن أبي طلحة ، و عبدالله بن جميل ، و أبا الحكم ابن الأخنس ، و سباع بن عبد العزى ، و أبا أُمية بن المغيرة ، و هؤلاء الخمسة متفق على أنه عليه السلام قتلهم ، و الاثنان مختلف فيهما .

و عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أُحد فكان صاحب لواء المشركين فقال ياأصحاب محمد تزعمون أنّ الله يعجّلنا بأسيافكم إلى النار و يعجّلكم بأسيافنا إلى الجنة ، فأيّكم يبرز إليّ ؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب عليه السلام و قال و الله لا أفارقك حتى أُعجّلك بسيفي إلى النار ، فاختلفا بضربتين فضربه علي عليه السلام على رجله فقطعها و سقط إلى الارض ، فأراد أن يجهز عليه فقال أُنشدك الله و الرحم ياابن عم فانصرف عنه إلى موقفه ، فقال المسلمون هلاّ أجهزت عليه ، فقال ناشدني الله و لن يعيش فمات من ساعته و بُشرّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم بذلك فسرّ و سرّ المسلمون .

قال ابن إسحق : كان الفتح يوم أُحد بصبر علي عليه السلام .

روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذي في كتابه (معالم العترة) مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً عليه السلام يقول : أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطتُ إلى الارض في أربع منهن ، فجاء رجل حسن الوجه طيّب الريح و أخذ بضبعي فأقامني ، ثم قال أقبل عليهم فإنك في طاعة الله و رسوله و هما عنك راضيان ، قال علي فأتيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم فأخبرته فقال : ياعلي أقرّ الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام .

ثم رجع أبو سفيان و من معه إلى مكة و النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى المدينة و هذه



الغزوة ذكرها الله في سورة آل عمران في قوله ﴿ **و إذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال و الله سميع عليم** ﴾[1] »[2].

ثم ذكر الشبلنجي شجاعته عليه السلام في غزوة الخندق تركناها مراعاةً للاختصار، و خوفاً من التكرار، لأنه مضى سابقاً في غزوة خيبر[3].

ثم قال الشبلنجي ذاكراً لأسباب وقعة الجمل و صفّين ما لفظه:

﴿ **فصل: في الكلام على وقعة الجمل و قتال صفّين** ﴾ في ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال: أتى رجل علياً و عثمان محصور، فقال: إنّ أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إنّ أمير المؤمنين مقتول السّاعة، فقام عليّ، قال محمد: أخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال: خلّ لا أُمّ لك، فأتى علي عليه السلام الدار، و قد قُتل الرجل، فأتى داره فدخلها و أغلق عليه بابه و أتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه، فقالوا إنّ هذا الرجل قد قُتل و لابدّ للناس من خليفة و لا نعلم أحداً أحقّ بها منك.

قال فإنّ بيعتي لا تكون سراً و لكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعني، بايعني، قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس أخرجه الإمام أحمد في المناقب.

قال ابن إسحاق: انّ عثمان لمّا قتل بويع علي ابن أبي طالب بيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بايع له أهل البصرة، و بايع له بالمدينة طلحة و الزبير.

و في الفصول المهمة: أول من بايعه طلحة بن عبيدالله فنظر إليه رجل يقتاف

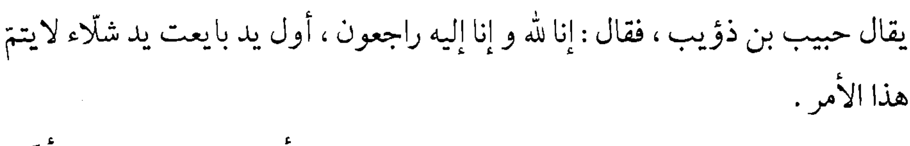
---

١ - **آل عمران** ٣: ١٢١.

٢ - **نور الأبصار** ص ٩٧.

٣ - راجع «**البرهان الثاني**» من هذا الكتاب.





يقال حبيب بن ذؤيب ، فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، أول يد بايعت يد شلّاء لا يتمّ هذا الأمر .

ثم بايعه الزبير ، ثم بقية الناس من المهاجرين و الأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم محمد بن مسلمة ، و النعمان بن بشير .

وكانت البيعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فماكان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان الذي قُتل فيه ملطّخاً بالدم و أخذ أصابع زوجته نائلة و هرب إلى الشام عند معاوية .

و أما طلحة و الزبير فهربا إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر .

ثمّ إنّ علياً عليه السلام فرّق إلى البلدان عمّاله وكتب إلى بعض عمّال عثمان يستقدمهم عليه ، وكتب إلى معاوية أيضاً يستقدمه ، فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء المغيرة بن شعبة ، فقال : ما هذا ياأمير المؤمنين ؟ قال كتاب كتبته إلى معاوية و أُريد أن أبعث الرسول .

فقال ياأمير المؤمنين ! عندي لك نصيحة فاقبلها مني ، قال إنه ليس أحد يتشغّب عليك غير معاوية ، و في يده بلاد الشام ، و هو ابن عمّ عثمان ، و عامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك ، فإذا استقرّت قدماك رأيت فيه رأيك .

فقال علي عليه السلام : لا و الله لا يراني الله مستعيناً بمعاوية أبداً و لكن إلى ما نحن فيه ، فإن أجاب ، و إلا حاكمته إلى الله فخرج عنه المغيرة .

فلمّاكان الغد جاء المغيرة و قال ياأمير المؤمنين ! إنيّ قد جئتك بالأمس و أشرت عليك بما أشرت و خالفتني ثم إنّي رأيت ليلتي هذه أنّ الرأي ما رأيت ، فأرسل إلى معاوية الكتاب الذي كتبت فان قدم و إلا فاعزله ، فقال أفعل ان شاء الله تعالى .



فخرج المغيرة بن شعبة و فرّ إلى مكة و كان يقول : نصحت علياً فلمّا لم يقبل غششته .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتيت علياً عليه السلام بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فقلت له بعد أن خرج ماكان يقول لك هذا ؟

فقال : قال لي مرةً قبل مرته هذه إنّ النصيحة أن تقرّ معاوية على عهده و ابن عامر و عمّال عثمان حتى يأتيك بيعتهم و يسكن الناس ثم اعزل من شئت منهم وأبق من شئت منهم ، فأبيت عليه ذلك ثم عاد إليّ الآن فقال إنّي رأيت أن تصنع الذي رأيت أن تعزل من تختار و تقر من تثق به .

قال ابن عباس : فقلت لعلي : أمّا المرّة الأُولى فقد نصحك ، و أما المرّة الثانية فقد غشّك .

قال : و كيف نصحه لي ؟

قلت : لأنّ معاوية و أصحابه أهل دنيا فمتى أثبتّهم على عملهم سكنوا ، و متى عزلتهم يقولون أخذ الأمر بغير حق ، و هو قتل صاحبنا عثمان ، مع أني لا آمن عليك من طلحة و الزبير و أنا أُشير عليك أن تبقى معاوية فإن بايع فلك عليّ أن أقلعه من منزله .

فقال علي عليه السلام لا أُعطيه الا السيف .

فقلت له افعل فإن أيسر مالك عندي الطاعة و إني باذلها لك .

فقال علي عليه السلام أُريد منك أن تسير إلى الشام فقد ولّيتكها .

فقال ابن عباس : ما هذا برأي ، إنّ معاوية رجلٌ من بني أمية و هو ابن عمّ عثمان ، و لستُ آمن أن يضرب عنقي بعثمان ، و إنّ أدنى ما هو صانع بي إن أحسن إليّ أن يحبسني و يتحكّم فيّ لقرابتي منك ، و كل ما حمل عليك حمل علي و لكن



أرسل إليه الكتاب الذي كتبته تستقدمه فيه و انظر بماذا يجيب .

قال : فأرسل علي عليه السلام الكتاب الذي كتبه بيد الجهني .

فلمّا قدم على معاوية بالكتاب أخذه منه و وقف على مافيه و لم يجب عنه بشيء حتى إذاكان الشهر الثالث من مقتل عثمان و ذلك في أواخر صفر دعا معاوية رجلاً من بنى عبس فدفع إليه طوماراً مختوماً من غير كتابة ليس في باطنه شيء عنوانه من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب ، و قال للعبسى إذا دخلت المدينة فادخلها نهاراً و أعط علياً الطومار على رؤوس الناس فإذا قبضه و فتحه إلى آخره و لم يجد فيه شيئاً يقول لك ماالخبر ؟ فقل له كيت و كيت بكلام أسرّه للرسول .

ثم دعا معاوية الجهني رسول علي فجهّزه مع رسوله ، فخرجا معاً فقدما المدينة في اليوم العاشر من ربيع الأول فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينة و تبعه الناس ينظرون ما أجاب به معاوية .

و دخل الرسول على علي عليه السلام و أعطاه الطومار ففضّ خاتمه و فتحه إلى آخره فلم يجد فيه كتابة فقال للرسول ما وراءك ؟

قال : آمن أنا ؟

قال : نعم انّ الرسول لا يُقتل .

قال : إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى الا بالقود .

قال : ممن ؟

قال : يقولون من خيط رقبة علي ، و تركت ستّين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان و هو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق ، و أصابع زوجته نائلة معلّقة فيه .



فقال علي عليه السلام : أمنّي يطلبون دم عثمان ؟ الّلهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان ، أُخرج .

قال : و أنا آمن ؟ قال : و أنت آمن ، فخرج العبسي و أراد الناس أن يقتلوه و لولا أمان علي عليه السلام لقتلوه[1] .

﴿ وقعة الجمل ﴾

قال الشبلنجيُّ : ثم أحبّ أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي عليه السلام في معاوية هل يقاتله أو يتركه ؟

و قد بلغهم أن الحسن عليه السلام ابنه دعاه إلى القعود فدسّوا إليه زياد بن حنظلة التيمي وكان يتردّد إلى علي عليه السلام فجلس ساعةً فقال له علي عليه السلام يازياد نسير ، فقال لأي شيء يا أميرالمؤمنين !

فقال : لحرب الشام .

فقال زياد : الأناة و الرفق أمثل ياأمير المؤمنين !

فقال : لا إلا السّيف .

فخرج زياد من عنده و الناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك ؟ قال : السّيف ، فعرفوا ما هو فاعل[2] .

---

١ - نور الأبصار ص ٩٩ .

٢ - نور الأبصار ص ١٠٠ .



خروج عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام للقتال

قال الشبلنجيُ : ثم إنّ علياً عليه السلام تجهّز يريد الشام لقتال معاوية و دعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء و جعل عبدالله بن عباس رضي الله عنه على ميمنته ، و عمر و بن مسلمة على ميسرته ، و جعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة على مقدمته ، و استخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنه و كتب إلى العراق إلى قيس بن سعد و إلى عثمان و إلى أبي موسى الأشعري أن يندبوا الناس إلى الخروج الى أهل الشام .

فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذأتاهم الخبر عن طلحة و الزبير و عائشة أنهم على الخلاف و أنّهم قد سخطوا إمارته ، و هم يريدون الخروج إلى البصرة .

و كان سبب ذلك أنّ طلحة و الزبير لمّا قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة بها فقالت لهما ماوراءكما ؟

فقالا : إنّا تحمّلنا هرباً من المدينة من غوغاء و أعراب و فارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً و لا ينكرون باطلاً و لايمنعون أنفسهم .

فقالت : ننهض إلى هذه الغوغاء .

فقالا : كيف يكون ؟

قالت : نأتي الشام .

فقال ابن عامر ـ و كان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان ـ لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم معاوية ، و لكن نأتي البصرة فإنّ لي بها صنائع ، و لي بها المال ، و لأهل البصرة في طلحة هوى ، و هو الأوفق بنا و الأليق .

فاستقلّ رأيهم على التوجه إلى البصرة و أجابتهم عائشة إلى ذلك .



و دعوا عبدالله بن عمر يسير معهم ، فأبىٰ و قال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون فتركوه و أرادت حفصة أُخته زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تسير معهم فمنعها .

(ثم) إنّ يعلى بن منية جهّزهم بستمائة ألف درهم و ستمائة بعير ، وكان من عمال عثمان على اليمن ، قدم مكة بعد مقتل عثمان .

و نادى منادي عائشة: إنّ أُم المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد اعزاز الدين و الطلب بثأر عثمان و ليس له مركب و جهاز فليأت ، فحملوا على ستمائة بعير ، و ساروا في ألف من أهل مكة و لحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل .

و أعطى يعلى بن منية جملاً لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم .

قالوا و خرجت عائشة : و من معها من مكة و خرج معها أمهات المؤمنين مودّعات لها إلى ذات عرق و بكوا على الإسلام بكاءً شديداً فى هذا اليوم و كان يسمّى يوم النحيب[1] .

نباح كلاب حوأب على عائشة

قال الشبلنجيُّ : ثمّ إنّهم ساروا متوجهّين نحو البصرة ، و نقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوأب فنبحتهم كلابه .

فقالت عائشة : أي ماء هذا ؟

قيل : هذا ماء الحوأب ، فصرخت و قالت : إنا لله و إنا إليه راجعون ، سمعت

---

١ - المصدر



رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول و عنده نساؤه : «ليت شعرى أيّتكن تنبحها كلاب الحوأب» ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته و قالت ردّوني فأناخوا يوماً و ليلةً .

و قال لها عبدالله بن الزبير : إنّه كذب ، يعني ليس هذا ماء الحوأب ، و لم يزل بها و هي تمتنع ، فقال النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا و نزلوا على البصرة ، و استولوا عليها بعد قتال شديد مع عثمان بن حنيف عاملها ، و قتل من أصحابه أربعون رجلاً و أُمسك فنتفت لحيته و رأسه و أشفار عينيه و حاجباه و سجن[1] .

توجه أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة

قال الشبلنجيُّ : هذا و قد سار علي عليه السلام في عسكره على قصد الشام و كان ذلك في آخر ربيع الآخر سنة ست و ثلاثين ، فبينما هو في مسيره إذ أتاه رسول أُمّ الفضل يخبره عن طلحة و الزبير و عائشة بما كان منهم ، فلمّا بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد الله و أثنى عليه و قال : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوّله فانصروا الله ينصركم و يصلح أمركم .

ثمّ إنه أعرض عن المسير إلى الشام و حثّ عليه إلى جهة البصرة رجاء أن يدرك طلحة و الزبير و عائشة فلمّا انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنّهم سبقوا إلى البصرة و قد نزلوا بفنائها[2] .

---

١ – المصدر .

٢ – نور الأبصار ص ١٠١ .



كتاب علي عليه السلام الى طلحة و الزبير

قال الشبلنجيُّ : ثمّ إنه كتب و هو بالربذة ، إلى طلحة و الزبير : «أمّا بعد ياطلحة و يازبير فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ، و لم أبايعهم حتى أكرهوني ، و أنتما أوّل من بادر إلى بيعتي و لم تدخلا في هذا الأمر لسلطان غالب و لا لغرض حاضر ، و أنت يازبير فارس قريش ، و أنت ياطلحة فارس المهاجرين ، و دفعكما هذا الأمر قبل دخولكما فيه كان أوسع لكما من خروجكما عنه الآن ، و هؤلاء هم بنو عثمان و أولياؤه المطالبون به وأنتما رجلان من المهاجرين ، و قد أخرجتما أُمّكما من بيتها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه ، والله حسبكما و السلام»[١] .

كتاب علي عليه السلام الى عائشة

قال الشبلنجيُّ : و كتب إلى عائشة « أما بعد : فإنّكِ خرجتِ من بيتكِ تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنّكِ لم تريدى إلا الإصلاح بين الناس ، فخبّريني ما للنساء وقود العسكر ، و زعمتِ أنّكِ مطالبة بدم عثمان ، و عثمان رجلٌ من بني أمية ، و أنت امرأة من بني تيم بن مرة .

لعمري ! إنّ الذي أخرجكِ لهذا الأمر و حملكِ عليه لأعظم ذنباً إليك من كل أحد .

فاتقي الله ياعائشة ! و ارجعي إلى منزلكِ و اسبلي عليك ستركِ و السّلام» .

---

١ - المصدر .

وكتب عليّ عليه السلام إلى أهل الكوفة كتاباً يحثّهم على الخروج معه و أرسله مع محمد بن أبي بكر ، و محمد بن جعفر ، فقدموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بذي قار و كانوا اثنى عشر ألفاً فلقيهم في ناس من وجوه أصحابه منهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه .

ثم إنّ علياً عليه السلام دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة ، و قال له ألّف هذين الرجلين ، يعني طلحة و الزبير ، فذهب إليهم و استمالهم للصلح ، فمالوا ، فرجع القعقاع إلى علي عليه السلام و أخبره بذلك فسرّ به و أعجبه ، و أشرف القوم على الصلح ، فكره ذلك من كرهه و رضيه من رضيه .

ثم قال علي عليه السلام ألا و إنّي راحلٌ غداً فارتحلوا .

فشقّ ذلك على الذين خرجوا على عثمان و باتوا بأسوء ليلة و هم يتشاورون .

فقال رئيسهم عبدالله بن بشّار ، و هو الشهير بابن السوداء : ياقوم ! إنّ عزّكم في مخالطة الناس ، فلا تتركوا علياً و ألزموه ، فإذاكان الغد و التقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع ، فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون ، فتفرقوا على رأيه .

و أصبح علي عليه السلام و أخذ في المسير إلى البصرة مع الجيش فقام إليه الأعور بن بيان المنقرى فقال : ياأمير المؤمنين ! ما تريد باقدامك على البصرة ؟

قال : الإصلاح ، وإطفاء الثائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة .

قال : فإن لم يجيبوا ، قال : تركناهم ماتركونا .

قال : فإن لم يتركوا ، قال دفعناهم عن أنفسنا .

و سار طلحة و الزبير و عائشة فالتقوا عند قصر عبدالله بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام ، وكان نزولهم في النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان و ثلاثين و

كان أصحاب عليّ عليه‌السلام عشرين ألفاً و أصحاب طلحة و الزبير و عائشة ثلاثين ألفاً ، و أرسل علي عليه‌السلام عشيّة اليوم الثالث من نزولهم عبدالله بن عباس الى طلحة و الزّبير بالسّلام ، فأرسل طلحة و الزبير إلى علي عليه‌السلام بالسلام ، و تردّدت الرسل بينهم في الصلح فتداعوا إليه ، و شاع ذلك في الفئتين ، فسرّ الناس بذلك ، و باتوا تلك الليلة في غاية السرور و الفرح ، و بات الذين أثاروا أمر عثمان بأسوء ليلة لما رأوه من تراسل القوم و تصافيهم ، فباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمع رأيهم على إنشاب الحرب مع الفجر ، فلمّا كان غلس الصبح ثاروا على أصحاب طلحة و وضعوا فيهم السلاح ، فثارت كل قبيلة إلى أختها وقامت الحرب بينهم ، و لم يدر الناس كيف الأمر ، فقام في ميمنته أصحاب طلحة ، عبدالله بن الحرث ، وفي الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ، و في وسطهم طلحة و الزبير ، و قالا لأصحابهم : كيف كان هذا الأمر ؟ قالوا : لا ندري الّا و قد طرقونا واضعين فينا السيوف و كانت عائشة إذ ذاك راكبة في هودجها على الجمل[1] .

عاقبة أمر الزّبير

قال الشبلنجيُّ : «هذا و علي عليه‌السلام راكب على بغلة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و عليه قميص ورداء و عمامة ، فلمّا أسفر النهار خرج عليه‌السلام و مشى بين الصفّين و نادى بأعلى صوته : أين الزبير بن العوام ؟ فليخرج إليّ !

فخرج إليه الزبير ، و دنا كل منهما إلى الآخر ، فقال له علي عليه‌السلام : ما حملك

---

١ - نور الأبصار ص ١٠٢ .

على ما صنعت يا زبير ؟

قال : حملني على ذلك الطلب بدم عثمان .

فقال له عليّ عليه السلام : إن أنصفت من نفسك فأنت و أصحابك قتلتموه ، و لكني أُنشدك الله يا زبير ! أما تذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا زبير ! أتحبّ علياً ؟ فقلت : و ما يمنعني من حبّه و هو ابن خالي ، فقال لك : أما إنّك ستخرج عليه و أنت ظالم له .

فقال : اللّهم بلى ، قدكان ذلك .

و قال : أُنشدك الله ثانياً ! أما تذكر يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني عوف و أنت معه ، و هو آخذ بيدك فاستقبلتُه فسلّمتُ عليه فضحك في وجهي و ضحكت إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك صلى الله عليه وآله وسلم مهلاًيازبير ليس بعلي زهوٌ و لتخرجنّ عليه و أنت ظالم له .

فقال الزبير : اللّهمّ بلى ، و لكني نسيت ذلك ، و بعد أن ذكّرتني لأمضينّ و لو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ما خرجت و لكن هذا تصديق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم كرّ راجعاً فقالت له عائشة : ما وراءك يازبير ! فقال : و الله ما وقفت موقفاً و لا شهدت مشهداً في شركٍ ولا في إسلام إلا ولي فيه بصيرة ، و أنا اليوم على شك من أمري ، و ما أكاد أبصر موضع قدمي ، وشقّ الصفوف و خرج من بينهم آخذاً طريق مكة .

فنزل على قوم ، فقام إليه عمرو بن جرموز فضيّفه ، و خرج معه إلى وادي السباع و أراه أنه يريد مسايرته و مؤانسته ، فقتله غيلةً و هو ساجد ، و قيل و هو نائم ، و أخذ سيفه و خاتمه و مضى يؤمّ علياً عليه السلام فلمّا وصل إليه سلّم و أخبره بقتله الزبير ، فقال علي عليه السلام أبشر بالنار فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «بشّروا

قاتل الزبير بالنار» .

فقال ابن جرموز : إنا لله و إنا لله راجعون ، ان قاتلناكم فنحن في النار و ان قتلنا لكم فنحن في النار ؟

فقال علي عليه السلام : هذا شيء سبق لابن صفيّة ، و في ذلك قال عمرو بن جرموز :

أتيت علياً برأس الزبير و قد كنت أحسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان فبئس البشارة و التحفه
وسيّان عندي قتل الزبير و ضرطة عير بذي الجحفه

عاقبة أمر طلحة

فأصابه سهم من مروان بن الحكم و هو من مقاتلة عائشة ، فمات به و قيل من غيره .

ثم إنّ جماعة طلحة و الزبير و عائشة انهزمت ، و قد أحاطت الخيل بالجمل و اختلط القوم بعضهم ببعض ، و وقعت مقتلة عظيمة ، وكان الآخذ بزمام الجمل نحو سبعين رجلاً من قريش لم ينج منهم واحدٌ ، وكان من جملتهم محمد بن طلحة وكان معروفاً عندهم بالسجّاد لكثرة صلاته ، وكان على جانب عظيم من العبادة و الزهد و اعتزال الناس و إنما خرج براً بأبيه ، و قتل محمد بن الزبير ، و جرح عبدالله أخوه سبعاً و ثلاثين جراحة ، و في الغرر و العرر و أطاف بنوضبة و الأزد بالجمل و أقبلوا يرتجزون :

نحن بنوضبّة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل
فالموت أحلى عندنا من العسل نبغي ابن عفان بأطراف الأسل

(و فيه) و قطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة و كان لا يأخذ بخطام الجمل إلا من ينتسب و يقول أنا فلان بن فلان .

و قتل في هذه الوقعة خلق كثير . قال أصحاب السير عدة من قتل من أصحاب الجمل ستة عشر ألفاً و سبعمائة و تسعون رجلاً وكانت عدتهم ثلاثين ألفاً فكانت القتلى أكثر من الأحياء .

و قتل من أصحاب علي عليه‌السلام منهم ألفا و سبعون رجلٍ و كانت جماعته عشرين ألفاً و قيل غير ذلك .

و لمّا كثر القتل على خطام الجمل قال علي عليه‌السلام اعقروا الجمل ، فضربه رجلٌ فسقط .

و بقيت عائشة في هودجها إلى الليل و أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر البصرة إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعي و تسلّلت الجرحى ليلاً من بين القتلى ، و أمر علي عليه‌السلام بالنداء في الناس أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح و لايدخلوا داراً و أقام عليه‌السلام بظاهر البصرة ثلاثة أيام و طاف على القتلى فصلّى عليهم و أمر بدفنهم .

و أمر علي عليه‌السلام بجمع ماكان في العسكر من سلاح وثياب ، و قال من عرف شيئاً فلياخذه الا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان .

و دخل يوم الاثنين البصرة فبايعه أهلها ، ثم أمر عائشة بالرجوع إلى مكة و جهّزها بما احتاجت اليه ، وسيرّ معها أولاده مسيرة يوم ، فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت الى المدينة .

و استعمل على البصرة عبدالله بن عباس ثم نزل على الكوفة و انتظم له الامر بالعراق و مصر و اليمن و الحرمين و فارس و خراسان .

هذا و معاوية بالشام و أهل الشام مطيعون له ، فأرسل اليه علي عليه السلام جرير بن عبدالله البجلي ليأخذ البيعة عليه ، فماطله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضّون على الطلب بدم عثمان ، فقال لهم عمرو أنتم على الحق و اتفق مع معاوية اذا ظفر أن يولّيه مصر ،كذا في تتمة المختصر [١] .

﴿ وقعة صفين ﴾

ثم حكى الشبلنجيُ : « صفّين : على وزن سجّين . موضع قريب من الرقّة بشاطىء الفرات ، و هو من الصف أو من الصفون فعلى الأوّل النون زائدة و على الثاني أصلية كذا في المصباح .

ولمّا اتفق معاوية و عمرو على حرب علي عليه السلام قدم جرير بن عبدالله البجلي على علي عليه السلام فأعلمه بذلك . قال صاحب الفصول المهمة : فخرج و عسكر بالنخيلة و استنفر الناس للمسير الى الشام لقتال معاوية ، فبلغه فخرج هو أيضاً و عمرو بن العاص ، و هيّأ الجيوش معاوية و أعطى لواء لعمرو بن العاص ، و لوائين لابنيه عبدالله و محمد ، و لواء لغلامه وردان .

ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات فدعا علي عليه السلام أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري بن قيس الهمداني ، و شبيب بن ربعي التميمي و قال لهم : اذهبوا الى هذا يعني معاوية ، و ادعوه الى الله و إلى الطاعة و الجماعة فلعل الله أن يهديه و يلمّ شمل هذه الأمّة ، وكان ذلك في أوّل يوم السبت من

---

١ - نور الأبصار ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ذي الحجة سنة ست و ثلاثين ، فأتوه و دخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله و أثنى عليه و قال : يامعاوية إنّ الدنيا عنك زائلة ، و إنّك راجع الى الآخرة وانّ الله محاسبك على ذلك مجازيك عليه ، وإنّي أنشدك بالله تعالى أن لاتفرّق جماعة هذه الأُمّة ، و أن لا تسفك دماءها فيما بينها .

فقطع معاوية كلامه و قال هلاّ أوصيت صاحبك ؟

فقال : إنّ صاحبي ليس أحدٌ مثله ، و هو صاحب السّابقة في الإسلام ، و الفضل من قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

فقال : فما عندك يابن عمرو و ما الذي تأمرني به ؟

قال : الذي عندي و الذي آمرك به تقوى الله تعالى و إجابة ابن عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك و دنياك .

قال معاوية : و أترك دم عثمان ؟ لا و الله لا أفعل ذلك أبداً .

ثم تكلّم سعد بن قيس و شبيب ، فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما و قال انصرفوا عني فليس عندي إلا السّيف .

فقال له شبيب أتهوّل علينا بالسّيف ؟ و الله لنعجلها إليك .

فأتوا علياً عليه السلام فأخبروه بذلك ، فجعل علي عليه السلام بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج في خيل ، فيخرج إليه جماعة من أصحاب معاوية في خيل مثلها فيقتتلان ، ثم ينصرف كل خيل إلى أصحابها و ذلك خوفاً من استئصال العسكرين و ذهاب الفئتين و هلاك المسلمين .

فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلّها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين .

ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين فحصل في شهر المحرم منها بين علي و معاوية موادعة على الحرب طمعاً في الصلح ، فاختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح ، فلمّا

انسلخ المحرم أمر علي عليه السلام مناديا فنادىٰ في أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إني قد استقدمتكم لتراجعوا الحق و تنيبوا إليه فلم تفعلوا و لم تنتهوا عن طغيان، و لم تجيبوا إلى طاعة، و إنّي قد نبذت إليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين.

ثم أصبح علي عليه السلام فجعل على خيل الكوفة الأشتر، و على خيل البصرة سهل بن حنيف، و على رجالة الكوفة عمّار بن ياسر، و على رجالة البصرة قيس بن سعد، و جعل مسعر بن مذكّى على قراء أهل الكوفة و قراء أهل البصرة، و أعطى الراية هاشم بن عتبة و خرج إلى مصافهم و ذلك في أوّل يوم من صفر.

فخرج إليهم معاوية و قد جعل على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري، و على ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، و على مقدمته أبا الأعور السلمي، و على خيل دمشق عمرو بن العاص، و على رجالة دمشق أسلم بن عيينة المزني، و على بقية أصحابه الضحاك بن قيس، وبايع رجالاً من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم و كانوا خمسة صفوف[1].

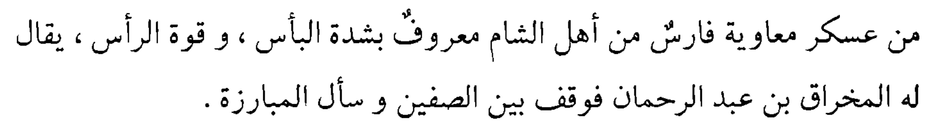
شجاعة علي عليه السلام في صفّين

قتل المخراق بيد علي عليه السلام

قال الشبلنجيُّ: فلمّا توافقت الأبطال و تصافت الخيل للمبارزة و النزال خرج

---

١ - نور الأبصار ص ١٠٣ ـ ١٠٤.



من عسكر معاوية فارسٌ من أهل الشام معروفٌ بشدة البأس ، و قوة الرأس ، يقال له المخراق بن عبد الرحمان فوقف بين الصفين و سأل المبارزة .

فخرج إليه فارسٌ من أهل العراق يقال له عبيد المرادي فتطاعنا بالرّماح ثم تضاربا بالصفاح فظفر به الشامي و قتله ، ثم نزل عن فرسه و حزّ رأسه و حكّ بوجهه الأرض و تركه مكبوباً على وجهه ثم ركب فرسه و سأل المبارزة .

فخرج إليه فتىً من الأزد يقال له مسلم بن عبد ربه ، فقتله الشامي أيضاً ، و فعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه و سأل المبارزة .

فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام متنكّراً فتجاولا ساعة ثم ضربه الامام البطل الهمام علي عليه السلام ضربة بالسيف على عاتقه رمت بشقه الى الأرض و سقط فنزل علي عليه السلام و حزّ رأسه و جعل وجهه الى السّماء .

ثم ركب و نادى هل من مبارز ؟

فخرج اليه فارس آخر من فرسان أهل الشام فقتله و فعل به كما فعل بصاحبه الأول و هكذا إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه و لم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصفّين جولةً و رجع إلى أصحابه و لم يعرفه أهل الشام فانه كان متنكّراً عليه السلام [١].

قتل كريب و الحارث الحميري بيد عليّ عليه السلام

و قال الشبلنجيُّ : و خرج في بعض أيّامها و قد تقابل الجيشان ، فارسٌ من



---

١ - **المصدر** ص ١٠٤ .

أبطال عسكر الشام يقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين و سأل المبارزة ، فخرج إليه فارسٌ من أهل العراق يقال له المبرقع الخولاني فقتله الشامي ، ثم خرج الحارث الحكمي فقتله الشامي أيضاً ،

فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد .

فخرج اليه علي عليه السلام بنفسه الكريمة فوقف بازائه و قال من أنت أيها الفارس ؟ قال أنا كريب بن الصباح الحميري ، فقال له علي عليه السلام ويحك إنّي أحذّرك في نفسك و أدعوك إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال له كريب من إنت ؟ فقال أنا علي بن أبي طالب ، يا كريب الله الله في نفسك ، فإنّي أراك فارساً بطلاً فيكون لك مالنا و عليك ما علينا و لا يغررك معاوية .

فقال : ادن منّي يا علي! و جعل يلوّح بسيفه ، فجعل يلوّح الامام علي عليه السلام بسيفه ، و دنا منه فتجاولا ساعةً ثم اختلفا بضربتين فسبقه الامام بضربة فقتله و سقط كريب إلى الأرض .

ثم نادى هل من مبارز ، فخرج إليه الحارث الحميري فقتله هكذا[1] .

علي عليه السلام يدعو معاوية للنزال

ثم قال الشبلنجيُّ : فلم يزل يخرج إليه فارسٌ بعد فارسٍ إلى أن قتل منهم أربعة و هو يقول ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى**

---

١ - **المصدر** ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين ﴾[١] ثم صاح علي كرّم الله وجهه: يا معاوية ! هلمّ إلى مبارزتي لئلّا تفنى العرب بيننا .

فقال معاوية : لا حاجة لي في مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك[٢] .

قتل أشجع أهل الشام بيد علي عليه السلام

فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة : ياابن أبي طالب ! ان كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا لها ، و جرّد سيفه و خرج للامام فتجاولا ثم إنه سبق الامام بضربة فتلقّاها الإمام في سيفه ثم انّ عليا عليه السلام ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأرض قتيلاً ، فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم و مشاهيرهم ثم حجز الليل بينهم[٣] .

حيلة عمرو بن العاص للنجاة

(ثم قال الشبلنجيُّ) و اتفق في بعض الأيام و قد تقابل الجيشان أن خرج علي عليه السلام متنكّراً فدعا بالمبارزة ، فقال معاوية لعمرو بن العاص عزمت عليك الا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس ، فخرج إليه عمرو و هو لا يعرف أنه علي ، فلمّا رآه

---

١ - البقرة ٢ : ١٩٤ .

٢ - نور الأبصار ص ١٠٥

٣ - المصدر ص ١٠٥ .



علي عرفه فانهزم بين يديه ليبعده من أصحابه ، فتبعه عمرو و هو يقول :

ياقادة الكوفة ياأهل الفتن أضربكم و لا أرى أباالحسن

فكرّ عليه علي عليه السلام و هو يقول :

أبو الحسين فاعلمن و الحسن قد جاك يقتاد العنان و الرسن

فعرفه عمرو فولّى عنه راكضاً و هو يقول : «مكرَهٌ أخوك لا بطل»[1] فلحقه علي عليه السلام فطعنه طعنة جاءت في فصول درعه فألقته إلى الأرض و ظن أنّ علياً عليه السلام قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف علي عليه السلام وجهه راجعاً إلى عسكره ، فقام عمرو و ركب فرسه و أقبل على معاوية ، فجعل معاوية يضحك ، فقال عمرو مم تضحك ؟ و الله لو تكون أنت و بدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لضرب قذالك و ما أقالك .

فقال له معاوية : لوكنت أعلم أنك ما تحمل مزاحاً ما مازحتك .

فقال عمرو : ما أحملني للمزاح و لكن أرأيت إن لقي رجلٌ رجلاً فصدّ أحدهما الآخر أتقطر السماء دماً ؟

قال : لا و لكنّها سوأة تعقب فضيحة الأبد [فقال عمرو] أما و الله لو عرفته ما أقدمت عليه ، و في ذلك يقول أبو فراس :

و لاخير في رد الردى بمذلة كما ردّها يوماً بسوأته عمرو[2]

---

١ - مكرَهٌ أخوك لا بطل : مثل يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه ، يريد قائله أنه محمولٌ على ذلك و أن ليس في طبعه شجاعةٌ **(فرائد الأدب)** .

٢ - **نور الأبصار** ص ١٠٥ .

بسر بن أرطاة يقلّد عمراً في كشف سوأته

ثم انّ فارساً من فرسان معاوية كان مشهوراً بالشجاعة يقال له بسر بن أرطاة حدثته نفسه بالخروج إلى علي كرم الله وجهه و مبارزته ، وكان له غلام شجيع يقال له لاحق فشاوره في ذلك ، فقال ما أشير عليك الّا أن تكون واثقاً من نفسك أنك من أقرانه و من فرسان ميدانه فابرز له فانه الأسد الخادر و الشجاع المطرق و أنشد العبد :

فأنت له يابسر إن كنت مثله و إلا فان الليث للضبع آكل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه و في سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال له و يحك هل هو إلّا الموت ؟ و الله لابدّ لي من مبارزته على كل حال .

فخرج بسر بن أرطاة لمبارزة علي كرم الله وجهه فلمّا رآه علي حمل عليه ودقّه بالرمح ، فسقط إلى الأرض على قفاه فرفع رجله فبدت سوأته ، فصرف علي عليه السلام وجهه عنه ، فوثب بسر قائماً فسقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب علي عليه السلام فصاحوا يا أميرالمؤمنين ! إنه لبسر بن أرطاة ! لا يذهب ! فقال ذروه ! فركب جواده و رجع إلى معاوية يضحك منه و يقول : لا عليك و لا بأس لاتستح فقد نزل بعمرو مثلها ، فصاح فتىً من أهل الكوفة : ويلكم ياأهل الشام أما تستحون من كشف السوآت و أنشد :

أفي كل يوم فارسٌ بعد فارسٍ له عورة تحت العجاجة باديه
يكفّ لها عنه عليٌ سنانه و يضحك منها في الخلاء معاويه
فقولا لعمرو و ابن أرطاة أنظرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه



و لاتحمدا إلّا الحيا و خصاكما فـإنهما و الله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجيا من سنانه و تلك ما فيها عن العود كافيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة و فيها علي فاتركا الخيل ناحيه

فجعل بسر بن أرطاة يضحك من عمرو و صار عمرو يضحك منه و خاف أهل الشام من علي عليه السلام خوفاً شديداً و لم يجسر واحد منهم على مبارزته ، وصار لا يخرج إلى المبارزة إلا متنكّراً[1] .

قتل الأحمر بيد علي عليه السلام

(قال الشبلنجيُ) ثم إنّ مولى من موالى عثمان يقال له الأحمر وكان شجاعاً خرج يبغي المبارزة ، فخرج إليه مولى لعلي عليه السلام يقال له كيسان فحمل كل واحد منهما على صاحبه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله .

فقال علي كرم الله وجهه قتلني الله ان لم أقتلك به ، فكرّ علي عليه السلام على العبد فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقّاه علي عليه السلام في سيفه فنشب بالسيف فدنا منه علي و مدّ يديه إلى عنقه فقبض عليها و رفعه عن فرسه ثم جلد به الأرض فكسر ظهره و أضلاعه ثم رجع عنه[2] .

---

١ - المصدر ص ١٠٦ .

٢ - المصدر .

قتل حريث مولى معاوية بيد على عليه السلام

قال : (وكان) لمعاوية عبدٌ يقال له حُريث وكان فارساً بطلاً شجاعاً و معاوية يحذّره من التعرض لعلي بن أبي طالب عليه السلام فخرج علي متنكّراً يطلب المبارزة و قد عرفه عمرو بن العاص فقال لحريث عليك بهذا الفارس ، لا يفوتك اقتله ، و تشيع به .

فخرج له حريث و هو لا يعرفه أنه علي بن أبي طالب عليه السلام فما كان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف على أم رأسه ضربة سقط منها إلى الأرض قتيلاً و تبين لمعاوية و لأهل الشام أن قاتله علي بن أبي طالب ، فشقّ ذلك على معاوية و قال لعمرو أنت قتلت عبدي و غررته و لم يقتله أحد غيرك[1] .

قتل فارسين لخميّين بيد علي عليه السلام

(و اتفق) في أيامها أن خرج العباس بن ربيعة الهاشمي من أصحاب علي عليه السلام و خرج إليه فارس مشهور يقال له عرّار من أصحاب معاوية ، فقال له : يا عباس ! هل لك في المبارزة ؟

فقال له عباس : هل لك في المنازلة قال : نعم فنزل كل واحد منهما عن فرسه و تلاقيا وكفّ أهل الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما ، فتجادلا ساعةً بسيفيهما فلم يقدر أحدهما على الآخر ، ثم إنهما تجادلا ثانيةً فتبين للعباس وهن فى

---

١ - المصدر .

درع الشامي ، و كان سيف العباس قاطعاً فضربه بالسيف على وسط الدرع فقسمه نصفين ، فكبّر الناس و عجبوا لذلك و عطف العباس على فرسه فركبها و جال بين الصفين .

فقال معاوية لأصحابه : من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندي ديتان ، فخرج فارسان من لخم ، و قال كل واحد منهما أنا له ، فقال اخرجا فأيّكما قتله كان له عندي ما قلت ، و للآخر مثل نصفه .

فخرجا معاً و وقفا في مقرّ المبارزة ثم صاحا ياعباس ! هل لك في المبارزة ؟ فابرز لأينا اخترت .

فقال أستأذن أميري ثم أرجع إليكما ، فجاء إلى علي عليه‌السلام فاستأذنه فقال له علي عليه‌السلام : أنا لهما ، ادن مني يا عباس ! و هات لبسك و فرسك و جميع ما عليك ، و خذ لبسي و فرسي ، ثم إنّ علياً عليه‌السلام خرج إليهما فجال بين الصفين و كل من رآه يظنّه العباس فقال له اللخميان استأذنت أميرك ؟ فتحرّر علي عليه‌السلام من الكذب و قال ﴿ **أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا و إن الله على نصرهم لقدير** ﴾[1] فتقدّم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين و سبقه أمير المؤمنين بضربة فجاءت على مراقّ بطنه فقطعته نصفين .

فتقدّم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر و جال بين الصفين جولةً و رجع إلى مكانه فتبيّن لمعاوية و لأهل الشام أنه علي عليه‌السلام لكنّه تنكر ، فقال معاوية قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد إلا خُذل .

---

١ - **الحج** ٢٢ : ٣٩ .

قال : فقال عمرو : و المخذول و الله اللخميان[١] .

ليلة الهرير

و ممّا وقع في أيامّها : «ليلة الهرير» قال بعضهم : شبهت بليلة القادسية التي كلّما أردى علي عليه السلام قتيلاً أعلن عليه بالتكبير ، فأُحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسمائة تكبيرةً و ثلاثاً و عشرين تكبيرةً بخمسمائة قتيل و ثلاثة و عشرين قتيلاً، وكان الناس يتلاطمون في هذه الليلة تلاطم الأمواج ، و يتصادمون تصادم الفحول عند الهياج[٢] .

حيلة رفع المصاحف

(قال الشبلنجيُّ) و لمّا أسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه و حسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة و ثلاثين ألفاً ، وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة .

و أصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و المعركة كلها خلف ظهره و هو في قلب عسكره ، و الأشتر في الميمنة ، و ابن عباس في الميسرة ، و الناس يقتلون من كل جانب ، و لوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين علي عليه السلام و الأشتر

---

١ - **نور الأبصار** ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٢ - المصدر ، ص ١٠٧ .



بالميمنة يقاتل و يقول لأصحابه : ارجعوا قيد رمح ، و يزحف بهم و يقول قيد هذا القوس و كلّما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام .

و لمّا رأى علي عليه السلام الظفر من ناحية الأشتر أمدّه بالرجال ، فلمّا رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام و تخيّل منهم الهزيمة و الفرار ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً و لا يزيدهم إلا فرقة ؟

قال : نعم ، قال : نرفع المصاحف على رؤوس الرّماح ثم نقول لهم ندعوكم إلى كتاب الله و هذا حكم بيننا ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي أن نقبل كتاب الله تعالى ، فتكون فرقة ، و أن قبلوا أخّرنا القتال عنّا إلى أجل .

فرفعوا المصاحف فوق الرّماح و قالوا : هذا كتاب الله يحكم بيننا و بينكم .

فلمّا رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب الله تعالى .

فقال علي عليه السلام عباد الله امضوا على حقّكم و صدقكم في قتال عدوّكم ، فإنّ معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي سرح و الضحاك أنا أعرف بهم منكم ، ليسوا بأصحاب قرآن ، و قد صحبتهم أطفالاً و رجالاً ، و يلكم ! و الله مارفعوها إلا مكيدةً و خديعةً و قد وهنوا.

فقال أصحاب علي عليه السلام القرّاء منهم : لا يسعنا أن نُدعىٰ إلى كتاب الله عز وجل و نأبىٰ أن نقبله .

فقال علي عليه السلام إني إنّما أُقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب .

فقال له مسعود بن فدك التميمي و زيد بن حصين الطائي في عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد : ياعلي ! أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، و إلا



دفعناك برمّتك إلى القوم[١] .

مواقف مالك الأشتر في المعركة

و كان الأشتر في الميمنة و علي بالوسط و ابن عباس بالميسرة كما علمت ، فكفّ علي و ابن عباس عن القتال ، و لم يكفّ الأشتر ، و ذلك لمّا رأى من علامات النصر و الظفر فقالوا : إبعث إلى الأشتر فليأتك و يكفّ عن القتال ، فبعث إليه علي عليه السلام يزيد بن هانىء يستدعيه ، فقال الأشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي أن تزيلني عن مكاني فإنّي وجدت ريح الظفر .

فأتى علياً عليه السلام فأخبره بمقالة الأشتر ، فردّه إليه ثانياً و هو يقول له : أقبل إليّ فإن الفتنة تريد أن تقع .

فجاء الأشتر و قال و الله لقد ظننت أنها سترجع اختلافاً و فرقةً و إنها لمشورة عمرو بن العاص ، فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه و قال ياأهل العراق ياأهل الذلّ و الوهن أحين علوتم القوم و عرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، ويلكم أمهلوني فواقاً[٢] فإنّ الفتح قد حصل ، و النّصر قد أقبل .

قالوا : لا يكون ذلك أبدا .

قال : أمهلوني عدو الفرس .

---

١ – المصدر .

٢ – الفَواق و الفُواق (مصدران) ما بين الحلبتين من الوقت ، و قيل ما بين فتح يد الحالب و قبضها على الضرع . و منه قولهم : «أمهلني قدر فواق حالب» أي زماناً يسيراً .



قالوا : إذاً تدخل معه في خطته ، قال : خبرّوني عنكم متى كنتم محقّين ؟ أحين تقاتلون و خياركم يُقتلون ؟ أم الآن حين أمسكتم عن القتال ؟

فقالوا : دعنا عنك ياأشتر ! قاتلناهم لله و ندع قتالهم لله .

قال خَدعتم فانخدعتم ، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، ياأصحاب الجباه السّود ! كنّا نظنّ صلاتكم زهادةً في الدنيا و شوقاً إلى الله تعالى فلا أرى مرادكم الا الدنيا ، ياأشباه البقر الجلّالة ! ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبّوه و سبّهم وضربوا وجه دابته ، فصاح به و بهم علي عليه السلام [1] .

القرار على الحكمين

(فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكماً و رضوا بذلك ، فقام الأشعث بن قيس [2] إلى علي عليه السلام فقال : أرى الناس قد رضوا بما دُعوا إليه من حكم القرآن

---

١ - **نور الأبصار** ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٢ - هو الأشعث بن قيس الكندي ذلك المنافق المشهور الذي شارك ابن ملجم في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، و ابنه محمد في دم الامام الحسين عليه السلام يوم كربلاء ، و بنته جعدة في دم الامام الحسن عليه السلام و في القاموس : أُسر بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم في ردّة أهل ياسر ، و زوّجه أبو بكر اخته ام فروة و كانت عوراء فولدت له محمداً و قال أبو بكر عند موته : و الله ما آسى الا على ثلاث فعلتهنّ ليتنى كنت تركتهنّ ، و ثلاث تركتهنّ ليتني فعلتهنّ (الى أن قال) و أما اللاتي تركتهنّ و ليتني كنت فعلتهنّ : ليتني حين أُتيت بالأشعث أسيراً ، إنّي قتلته و لم أستحيه ، فانّي سمعت و أراه أنّه لا يرىٰ غيّاً و لا شرّاً الا أعان عليه ، نقله عن **(خلفاء ابن قتيبة) قاموس الرجال** ج ٢ ص ٩٧ .



بينهم ، فإن شئت أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد ؟

قال : ائته ، فأتاه فقال : يامعاوية لأي شيء رفعتم المصاحف ؟

قال : لنرجع نحن و أنتم إلى ما أمر الله في كتابه تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاًنرضاه ، و نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لايتعديانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه .

قال الأشعث : هذا الحق و عاد إلى علي عليه السلام و أخبره بما قال معاوية .

فقال الناس : قد رضينا ذلك و قبلناه فقال أهل الشام : نرضى عمراً و قال الأشعث و أولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد : نرضى بأبي موسى الأشعري .

فقال لهم علي عليه السلام : قد عصيتموني أوّل الأمر فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو و مكايده .

فقال الأشعث و من معه : لا نرضى إلّا به فإنّه حذّرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع ، وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال .

فقال علي : إنّ أبا موسى لا يكمل في هذا الأمر ، و لكن هذا ابن عباس دعوني أُولّيه ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر .

فقالوا و الله لا نريد الّا رجلاً هو منك و من معاوية سواء .

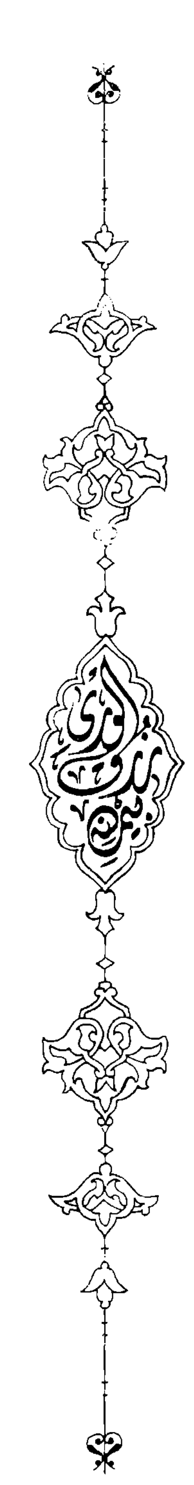
فقال دعوني أجعل الأشتر .

قالوا : و هل سعر الأرض ناراً الا الأشتر ؟

فقال : قد أبيتم الا أبا موسى ؟

قالوا : نعم .

قال : اصنعوا ما أردتم .



فبعثوا إلى أبي موسى و جاؤا به و كان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدّم ، و حضر عمرو بن العاص عند علي عليه السلام ليكتب القصّة بحضوره ، فكتب الكتاب :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، هذا ما تقاضىٰ عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و معاوية بن أبي سفيان و من معهما ، فقال عمرو بن العاص هو أميركم و أما أميرنا فلا ، امح اسم الامرة .

فقال الأحنف بن قيس : ياأمير المؤمنين ! لا تمحها و لو قتل الناس بعضهم بعضاً فانّي أتخوّف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً .

فأبى علي ذلك ملياً من النهار و إنّ الأشعث بن قيس كلّمه فى ذلك ، فمحاه و قال علي عليه السلام الله أكبر سنةً لسنةٍ و الله إني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية و كتبت محمداً رسول الله ، فقالوا لست برسول الله ، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بمحوه ، فقلت : لا أستطيع ، فقال أرنيه ، فأريته اياه ، فمحاه ، فقال إنك ستدعى لمثلها فتجيب .

فقال عمرو : سبحان الله أنشبه بالكفار و نحن مؤمنون ؟

فقال : اكتبوا فكتبوا هذا ما تقاضيا عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل الكوفة و من معهم ، و قاضى معاوية على أهل الشام و من معهم ، أ نّا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه و أن لا يكون بيننا غيره و أن كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نُحيي ما أحيىٰ و نُميت ما أمات ، فما وجد الحكَمان في كتاب الله تعالى ـ و هما أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس و عمرو بن العاص ـ عملا به و ما لم يجدا في كتاب الله تعالى فالسّنة العادلة الجامعة غير المفرّقة .

و أخذ الحكَمان من علي و معاوية عهوداً و مواثيق ، و من جنديهما أنّهما

آمنان على أنفسهما و أهلهما و الأُمّة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه ، و على أبي موسى عبدالله بن قيس و عمرو بن العاص عهد الله و ميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ، و لايرداها و لا فرقة حتى يتقاضيا .

و أجّلا القضاء إلى رمضان ، و إن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه و أن يقضيا مكان قضيّتهما مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة و أهل الشام .

وكتب في الصحيفة الأشعث بن قيس ، و عدي بن حجر ، و سعد بن قيس الهمداني ، و ورقاء بن شمس ، و عبدالله بن عكل العجلي ، و حجر بن عدي الكندي ، و عقبة بن زياد الحضرمي ، و يزيد بن حجرة التميمي ، و مالك بن كعب الهمداني هؤلاء كلّهم من أصحاب علي عليه السلام .

وكتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي ، و حبيب بن سلمة ، و رميل بن عمرو العدوي ، و حمزة بن مالك الهمداني ، و عبد الرحمان بن خالد المخزومي ، و سبيع بن يزيد الأنصاري ، و عتبة بن أبي سفيان و يزيد بن الحر العبسي .

و خرج الأشعث بن قيس فقرأه على الناس ، وكتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع و ثلاثين ، و اتّفقوا على أن يكون اجتماع الحكمين بدومة الجندل ، و هو موضع كثير النخل و الزرع و به حصن اسمه مارد[١] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

عدّة القتلىٰ في حرب صفّين

وكانت عدة من قتل من أصحاب علي عليه‌السلام خمسة و عشرين ألفاً منهم عمار بن ياسر ، و خمسة و عشرون من البدريين ، وكانت عدّة عسكره تسعين ألفاً .

و قتل من أصحاب معاوية خمسة و أربعون ألفاً وكانت عدتهم مائة ألف و عشرين ، و أقاما بصفين مائة يوم و عشرة أيام ، وكان بينهم سبعون وقعةً وقيل تسعون ذكر ذلك كله صاحب الفصول المهمة و غيره[1] .

شهادة عمّار بن ياسر رضي‌الله‌عنه

و في عقائد الشيخ أبي إسحاق الفيروزابادي أنّ عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلمّا قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال و تابعه على ذلك خلقٌ كثيرٌ ، فقال له معاوية لم لا تقاتل ؟

قال : قتلنا هذا الرجل و قد سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية ، فدلّ على أ نّا نحن بغاة .

قال له معاوية : اسكت فو الله لا تزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه إنما قتله علي و أصحابه ، جاؤا به حتى ألقوه بيننا .

و في رواية قال : قتله من أرسله إلينا يقاتلنا ، و إنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك علياًعليه‌السلام قال إن كنت قتلته أنا فالنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال

---

١ - المصدر ص ١٠٩ .



الكفار [١].

شهادة ذي الشهادتين و اويس القرني رضي الله عنهما

(و قتل) مع علي عليه السلام خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ، و أُويس القرني زاهد التابعين [٢] .

نشأة فرقة الخوارج

(و لمّا رجع) علي عليه السلام ودخل الكوفة خالفت الحرورية و خرجت و أنكرت التحكيم ، و قالت : لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله ، وكان ذلك أول ما ظهر من أمرهم و رجعوا على غير الطريق الذي كانوا عليه و أتوا «حروراء» [٣] فنزلوا بها و بذلك سمّوا بها ، و كانوا اثني عشر ألفاً .

و في الفصول المهمة : و نادى مناديهم : أنّ أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي ، و أمير الصلاة عبدالله بن الكواء اليشكري ، و الأمر شورى بعد الفتح ، و البيعة لله عز و جل و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و زعموا أنّ علياً عليه السلام كان إماماً إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه ، و حار

١ – المصدر .

٢ – المصدر .

٣ – قريةٌ بظاهر الكوفة (مراصد الاطلاع) .

في أمره ، و أنّه الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله تعالى ﴿ **حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا** ﴾[١] و أنهم أصحابه الداعون له إلى الهدى ، و لكن كذبوا فيما زعموا قاتلهم الله تعالى و إنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلا لغيره كما هو معلوم في كتب التفسير و ليس علي عليه السلام بحيران بل به يهتدي الحيارىٰ .

(و لمّا) سمع علي عليه السلام هو و أصحابه بذلك بعث إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه و قال لا تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتى آتيك فإنّي في أثرك فلمّا أتاهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه أكرموه و رحّبوا به و قالوا له ما جاء بك ياابن عباس ! قال قد جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ابن عمه و أعلمنا بربه و سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : ياابن عباس إنا أذنبنا عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى ، و إن تاب كما تبنا ، و نهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا إليه .

فلم يصبر ابن عباس عن مجاوبتهم و قال : أُنشدكم الله إلا ما صدقتم أما قال الله تعالى ﴿ **فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾[٢] في أمر المرأة و زوجها .

قالوا : اللّهم نعم ، قال فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فقالت الخوارج : أما ما جعل الله تعالى حكمه إلى الناس و أمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، و أما ما حكم به و أمضاه فليس للعباد أن ينظروا في هذا .

قال ابن عباس رضي الله عنه : و قال الله تعالى ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ**

---

١ - الأنعام ٦ : ٧١ .

٢ - النساء ٤ : ٣٥ .

الكعبة ﴾[1] في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم فقالوا أيجعل الحكم في الصيد و شقاق الرجل و زوجته كالحكم في دماء المسلمين ؟

ثم قالوا : له أعدلٌ عندك عمرو بن العاص و هو بالأمس يقاتلنا ؟ و إن كان عدلاً فلسنا بعدول و قد حكمتم في أمر الله الرجال و قد أمضى الله تعالى حكمه في معاوية و أصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا ، و قد كتبتم كتاباً و جعلتم بينكم الموادعة و قد قطع الله تعالى الموادعة بين المسلمين و أهل الحرب مذ نزلت براءة إلا من أقرّ بالجزية .

ثم خرج علي عليه السلام في أثر عبدالله بن عباس رضي الله عنه فانتهى إليهم و هم يخاصمونه ، فقال له علي عليه السلام ألم أنهك عن كلامهم ؟ ثم قال لهم علي عليه السلام : من زعيمكم ؟ قالوا : عبدالله بن الكواء ، فقال : عليّ به ، فلمّا حضر قال له علي عليه السلام : ما أخرجكم علينا هذا المخرج ؟

قال : تحكيم يوم صفين .

فقال لهم علي عليه السلام : أُنشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم إنّهم استحرّ بهم القتل و إنما رفعوها خديعةً و مكيدةً لكم ليفتنوكم و يثبطوكم عنهم و يقطعوا الحرب و يتربصوا بكم الدوائر ؟ فلم تسمعوا مني .

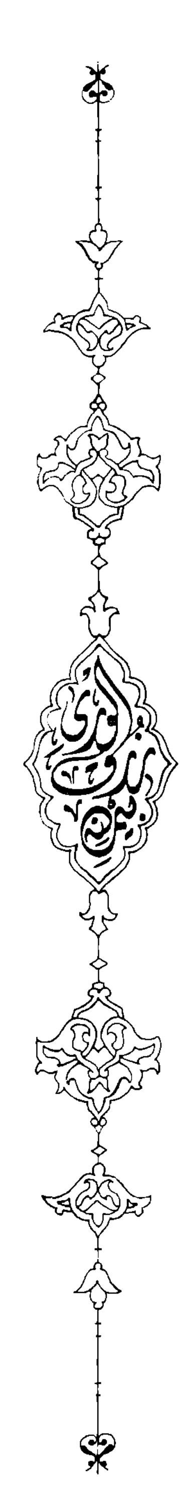
و اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيى القرآن و أن يميتا ما أماته فإن حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، و إن أبيا فنحن من حكمهما برآء .

فقالوا : فأخبرنا عن عمرو بن العاص أتراه عدلاً حتى تحكّمه في الدماء ؟

قال : إنما حكّمت القرآن ، و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا

---

١ - المائدة ٥ : ٩٥ .



ينطق ، و إنما يتكلم به الرجال .

قالوا : فأخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم ؟

قال : ليعلم الجاهل و يتثبت العالم و لعلّ الله عز و جل أن يصلح الأُمة في مدة هذه الهدنة ، و يلهمها رشدها .

قالوا : فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين و قلت للكاتب : اكتب ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين و نحن المؤمنون فلست بأميرنا .

فقال علي عليه السلام : ياهؤلاء أناكنت كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سهيل بن عمرو ، فقال سهيل لو علمنا أنّك رسول الله ما صددناك ، و لا قاتلناك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحوه ، فقلت لا أستطيع ، فقال : أرنيه ، فأريته اياه فمحاه و كتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله ، و إنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه من الرسالة ، وكان لي به أسوة فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به عليّ ؟

فسكتوا فقال لهم علي عليه السلام قوموا فادخلوا مصركم يرحمكم الله .

فقالوا ندخل و لكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك و بين القوم ههنا ليحيى المال و يسمن الكراع ثم ندخل ، فانصرف عنهم علي عليه السلام و هم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى .

(و لمّا جاء) وقت الحكمين أرسل علي عليه السلام مع أبي موسى الأشعري

أربعمائة راكب و عليهم شريح بن هانيء الحارثي و معهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه يصلي بهم.

و أرسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام و توافقوا بدومة الجندل و حضر معهم عبدالله بن عمر، و عبدالرحمان بن أبي بكر، و عبدالرحمان بن الزبير، و عبدالرحمان بن عبد يغوث الزهري، و أبو الجهم بن حذيفة العدوي، و المغيرة بن شعبة.

و كان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له إنّ أبا موسى و عمرو بن العاص قد حضرا للحكومة و قد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أحد الستة الذين كانت الشورى بينهم و لم تدخل في أمر تكرهه هذه الأُمة و أنت أحق الناس بالخلافة، فلم يفعل، و قيل بل حضر ثم ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس و توجه إلى مكة محرماً.

و كان عمرو بن العاص بعد تحيكم علي و معاوية له و لأبي موسى يقدّم أبا موسى في كل شيء، و يُظهر له الاحترام و الإعظام، و يقول له لا أتقدم عليك في أمر من الأُمور و لا في شيء من الأشياء لا في كلام و لا في غيره، لأنك أسنّ مني و أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد دعا لك فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه و أدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً، حتى استقرّ ذلك في نفس أبي موسى و سكن في خاطره و ظنّ أنه يقدّمه على نفسه تعظيماً و تكريماً، و إنما كان هو دهاء وخديعة منه له.

و لمّا اجتمعا للحكومة و تفاوضا في الكلام، كان من كلام عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوما ؟



قال : أشهد ، قال : ألم تعلم أنّ معاوية و آل معاوية أولياؤه ؟

قال : أعلم ، قال فما يمنعك من توليته و بيته في قريش كما علمت ؟ و إن خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولي عثمان الخليفة المقتول ظلماً و هو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة و التدبير و هو أخو أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه و آله و سلم وكاتب وحي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عرض له بسلطان .

فقال أبو موسى الأشعري : ياعمرو ! اتق الله أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين و الفضل مع أني لوكنت معطيه أفضل قريش شرفاً لأعطيته علي بن أبي طالب ، و أمّا قولك إنّ معاوية ولي دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فلم أكن أُولّيه و أدع المهاجرين الأولين ، و أما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ما وليته .

فقال له عمرو : فما تقول في ابني عبدالله و أنت تعلم فضله و صلاحه ؟

فقال : قد غمست ابنك في هذه الفتنة لا يكون ذلك .

فقال عمرو : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل و يُطعم ، فسمع ابن الزبير كلامه فقال ياأبا موسى تفطّن و تنبّه لكلام عمرو و قال يابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ما تنازعوا بالسيوف و أشرفوا على الحتوف فلا تردنّهم في فتنة و اتق الله .

و لمّا راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية و على ابنه عبدالله فأبى أبو موسى راوده على توليته عبدالله بن عمر ، فأبى عمرو ثم قال هات رأيّاً غير هذا فقال أبو موسى : أرى أن نخلع هذين الرجلين يعني علياً عليه السلام و معاوية و نجعل الأمر شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا .

فقال : الرأي ما رأيت ، فأقبلا على الناس بوجوههم و هم مجتمعون ينظرون

ما يتفقان عليه فقال عمرو تكلّم ياأبا موسى و أخبرهم أنّ رأينا اتفق .

فقال موسى : أيها الناس إنّ رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة و يلمّ شعثها و يجمع كلمتها

فقال عمرو : صدق أبو موسى و برّ فيما قال تقدّم ياأبا موسى ! فتكلّم .

فقام إليه عبدالله بن عباس رضي الله عنه وقال له : ياأبا موسى ! إن كنت وافقته على أمر فقدمه يتكلم به قبلك ، فإني أخشى من خديعته لك ، و إني لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك و بينه فإذا قمت في الناس خالفك .

فقال أبو موسى : قد توافقنا و تراضينا و ما ثم مخالفة أبداً و كان أبو موسى سليم القلب فتقدّم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنا قد نظرنا في أمر هذه الأُمة فلم نر أسلم لأمرها و لا ألمّ لشملها من أمر قد اجتمع عليه رأيي و رأى عمرو ، و هو أن نخلع علياً و معاوية و يستقبل الناس هذا الأمر بأنفسهم فيولّوا عليه من أحبّوا و اختاروا وإنّي قد خلعت علياً معاوية ، فاستقبلوا أمركم فولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً لذلك ثم تنحّى .

و أقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن أبا موسى قد خلع صاحبه و قد قال ما سمعتم و أنا ايضاً قد خلعت صاحبه و أبقيت صاحبي معاوية على الخلافة فإنه ولي عثمان بن عفان و المطالب بدمه و أحقّ الناس بمقامه ثم تنحّى .

فقال له أبو موسى : مالك لا وفقّك الله غدرت و فجرت ، و إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو لأبي موسى : و أنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً قال سعد لأبي موسى : ما أضعفك ياأباموسى عن عمرو و مكايده ؟



فقال أبو موسى : ما أصنع وافقني على أمر و غدر .

و قال ابن عباس : لاذنب لك ياأبا موسى و إنما الذنب لمن قدّمك و أقامك في هذا المقام .

و قال عبدالرحمان بن أبي بكر : لو غاب الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيراً له .

و حمل شريح بن هانیء على عمرو فضربه بالسوط و حمل ابن عمرو على شريح فضربه بعصا و حجز الناس بينهم و كان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتی إلا من أن أكون ضربت عمراً بالسيف عوضاً عن السوط .

و التمس الناس أبا موسى فوجدوه قد ركب راحلته و هرب إلى مكة و كان أبو موسى يقول حذّرني ابن عباس غدر عمرو و لكنّي اطمأننت إليه لما يُظهر لي .

و انصرف عمرو بن العاص و أهل الشام إلى معاوية و سلّموا عليه بالخلافة .

قيل إنّ معاوية قام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلماً في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنه و خرج شريح بن هانیء مع ابن عباس إلى علي عليه‌السلام فأخبراه الخبر فقام في أهل الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدثان الجليل و أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أما بعد فإنّ المعصية تورث الحسرة و تعقب الندامة و كنت أمرتكم في هذين الرجلين و في هذه الحكومة أمري فأبيتم و نحلتكم رأيي فما لويتم فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن :

أمـرتهم أمـري بـمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أما إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين ، فقد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما و أحييا ما أمات القرآن ، و اتّبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من

الله ، فحكما بغير حجّة بينة و لا سنة مضيئة ، و اختلفا في حكمهما و كلاهما لم يرشدا ، استعدوا و تأهبّوا للمسير إلى الشام و أصبحوا في معسكركم الى يوم الاثنين ، ثم نزل[١] .

﴿ وقعة الخوارج ﴾

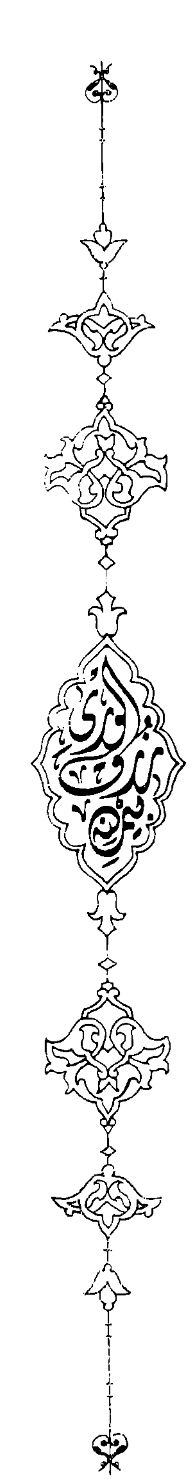
(ثم قال الشبلنجيُّ) : وكتب إلى الخوارج بالنهروان ، بسم الله الرحمن الرحيم، من علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين ، و عبدالله بن وهب ، و عبدالله بن الكواء ، و من معهم من الناس ، أمّا بعد فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله ، و اتبعا هواهما بغير هدى من الله ، و لم يعملا بالسنة ، و لم ينفذا حكم القرآن ، فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا و عدوكم و نحن على الأمر الأول الذي كنا عليه .

فكتبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب لله تعالى و إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر و استقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا و بينك و إلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحبّ الخائنين .

فلمّا قرأكتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم و يمضي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله و داهن في أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله و قاتلوا من حادّ الله و حاول أن يطفىء نوره و قاتلوا الخائنين الضالّين .

---

١ - نور الأبصار ١١١ ـ ١١٢ .



فبينما علي عليه السلام معهم في الكلام اتاه الخبر أنّ الخوارج خرجوا على الناس و أنّهم قتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بقروا بطن امرأته و هي حامل ، و قتلوا ثلاث نسوة من طي ، و قتلوا أُم سنان .

فلمّا بلغ علي عليه السلام ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم و ينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم و يكتب به إليه و لا يكتمه شيئاً من أمرهم فلمّا دنا منهم و سألهم قتلوه .

و أتى علياً عليه السلام الخبر بذلك و هو بمعسكره فقال الناس : ياأمير المؤمنين ! علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا و عيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام .

و جاءهم منجّم يقال له مسافر بن عدي الأزدي فقال : ياأمير المؤمنين ! إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها لقيت أنت و أصحابك ضرراً شديداً و مشقةً عظيمةً ، فخالف علي عليه السلام قوله .

و لمّا قرب علي عليه السلام منهم بحيث يرونه ويراهم نزل و أرسل اليهم أن ادفعوا الينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، و أُتارككم و أكفّ عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله أن يأخذ بقلوبكم و يردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم .

فقالوا : كلّنا قتلناهم و كلّنا مستحلون لدمائكم و أموالكم و دمائهم .

فخرج إليهم قيس بن عبادة رضي الله عنه فقال لهم : عباد الله أخرجوا إلينا قتلة إخواننا منكم و ادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه ، و عودوا إلى قتال عدوّنا و عدوّكم فانكّم قد ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، و تسكفون دماء المسلمين .

فقال عبدالرحمان بن صخر السلمي : إنّ الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم .

ثم إن علياً عليه السلام خرج إليهم بنفسه فقال لهم :

«أيتها العصابة التى أخرجها عداوة المراء و الحجاج ، و صدّها عن الحق اتباع الهوى و اللجاج ، إنّ أنفسكم الأمّارة سوّلت لكم فراقي لهذه الحكومة التى أنتم ابتدأتموها و سألتموها و أنا لها كاره ، و أنبأتكم أنّ القوم انّما فعلوها مكيدةً فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، و عندتم عليّ عناد العاصين ، حتّىٰ صرفت رأيي إلى رأيكم و انّ معاشركم و الله صغار الهام ، سفهاء الأحلام ، و أجمع رأى رؤسائكم و كبرائكم أن اختاروا رجلين و أخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن و لا يتعديانه فتاها و تركا الحق و هما يبصرانه ، فبّينوا لنا بم تستحلون دماءنا و الخروج عن جماعتنا ؟ ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم انّ هذا لهو الخسران المبين».

فتنادوا : لا تخاطبوهم و لا تكلّموهم و تهيّئوا للقتال ، الرواح الرواح إلى الجنة .

فرجع علي عليه السلام إلى أصحابه فهيّأهم للقتال ، فجعل ميمنته حجر بن عدي ، و ميسرته شبيب بن ربعي و قيل معقل الرياحي ، و على الخيل أبا أيوب الأنصاري ، و على الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، و في مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة .

و أعطى علي عليه السلام لأبي أيوب الأنصارى راية أمان فناداهم أبو أيوب رضي الله عنه فقال من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل و لا تعرّض لأحد من المسلمين بسوء ، و من انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ، و من انصرف إلى المدائن فهو آمن ، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دمائكم .

فانصرف فورة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس ، و خرج طائفة أُخرى منصرفين إلى الكوفة ، و طائفة أُخرى إلى المدائن ، و تفرّق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفا ، فلم يبق منهم غير أربعة آلاف جعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس



الطائي ، و على الميسرة شريح بن أوفى العبسي ، و على خيلهم حمزة بن سنان الأسدي ، و على رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي .

و قال علي عليه السلام لأصحابه : كفّوا حتى يبدءوكم فتنادوا : الرواح الرواح إلى الجنة ، و حملوا على الناس فانفرقت خيل علي عليه السلام فرقتين حتى صاروا في وسطهم و عطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة و استقبلت الرماة و جوههم بالنبل ، و عطف عليهم الرجالة بالسيوف و الرماح فماكان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم ، وكانوا أربعة آلاف و لم يفلت منهم إلا تسعة رجال لا غير ، رجلان هربا إلى خراسان و بها نسلهما إلى الآن ، و رجلان سارا إلى حرّان و بها نسلهما ، و رجلان سارا الى اليمن و بها نسلهما ، و هم الذين يقال لهم الأ بّاضية أصحاب عبدالله بن أبّاض ، و رجلان سارا إلى الجزيرة ، و رجلٌ سار إلى تلّ مؤذّن ، و غنم جماعة علي عليه السلام منهم غنائم كثيرة ، و قتل من جماعته رجلان ، و لم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة و هذه كرامة من أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنه قال قبل ذلك : نقتلهم و لا يُقتل منّا عشرة و لا يسلم منهم عشرة .

(تنبيه) الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على علي عليه السلام لما حكم الحكمين و قالوا لا حكم الا لله هم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» كما جاء في حديث البخاري .

و منهم عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو يقسم الصدقات فقال : اعدل يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم و يلك و من يعدل إن لم أعدل ؟ فقال عمر : فأذن لي يارسول الله في أن أضرب عنقه .

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم دعه فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، و صيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

و فيهم نزل : ﴿ **و منهم من يلمزك في الصدقات فان أُعطوا منها رضوا و ان لم يُعطوا منها اذا هم يسخطون** ﴾[١] و يقال لهم «الحرورية» بحاء مهملة وراء مكـررة بينهما واو ثم ياء ، نسبةً إلى «حروراء» أرض نزلوا بها لمّا خرجوا على علي عليه‌السلام .

و في كلام بعض المؤرّخين أنّ علياً همّ بقتال معاوية فلم يتمكّن علي كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانياً لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله[٢] .

﴿ ردّ الشمس لعلي عليه‌السلام و الكرامات الأُخرىٰ ﴾

و قال ابن حجر : «و من كراماته الباهرة أنّ الشمس رُدّت عليه لمّا كان رأس النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في حجره و الوحي ينزل عليه و علي لم يـصلّ العـصر[٣] فـما سـرى

---

١ - **التوبة** ٩ : ٥٨ .

٢ - كل ذلك نقلناه من **نور الأبصار** للعلامة الشبلنجي من ص ٩٨ ـ الى ـ ص ١١٤ و هو نـقله مـن الفصول المهّمة لابن الصباغ المالكي .

٣ - (ان قيل) انّ الرواية غير مقبولة لكونها مشتملة على أنّ علياً عليه‌السلام ترك الصلاة الواجبة و هـو لا يتصور من مؤمن متديّن فكيف من أمير المؤمنين عليه‌السلام (قلنا) جوابه من وجهين :

(الأول) انه اذا كانت صلاة شخص مستلزمة لايذاء الرسول و الاخلال في الوحي كان ترك الصلاة وجباً ، لدوران الأمر بين ترك واجب فرعي و فعل حرام اصولي ، لأنّ الصلاة من فروع الدين و النبوّة من أصوله ، فلهذا ترك علي عليه‌السلام هذه الصلاة اجتناباً عن ايذاء الرسول و الاخلال في استمرار الوحي ، و صلاّها بعد اتمامه فلم تفت منه (ان قلت) ان صلاته بعد غروب الشمس و طلوعها مرة ثانية تحسب قضاءً و هو ادون مرتبة من الأداء .

(قلنا) انّ الشمس لو طلعت من المشرق كان يوماً ثانياً و الصلاة فيه عن الصلاة فـي اليـوم الأوّل قضاءً. لكنّ الشمس قد طلعت من المغرب فكان النور المنبثق منها تكملة للنهار السابق فكانت الصلاة =



عنه صلى الله عليه و آله و سلم الا و قد غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم اللهم انه كان في طاعتك و طاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت .

و حديث ردها صحّحه الطّحاوي و القاضي في الشفاء و حسّنه شيخ الاسلام أبو زرعة .

و زعمُ فوات الوقت بغروبها ـ فلا فائدة لردّها ـ في محل المنع ، بل نقول كما أنّ ردّها خصوصية كذلك ادراك العصر الآن أداء خصوصية و كرامة .

على أنّ في ذلك أعني أنّ الشمس اذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها تردّد[1] حكيته مع بيان المتّجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة .

قال سبط ابن الجوزي : و في الباب حكاية عجيبة حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق انهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أردشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث و نمقه بالفاظه و ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فغطّت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت ، فقام على المنبر و أومأ الى الشمس و أنشد :

= المأتي بها فيه أداءً لا قضاءً .

(الثاني) لنا أن نقول أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يترك الصلاة ، بل صلاّها مؤمياً للضرورة و هي الاحتراز عن ايذاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الحفاظ على الوحي الآلهي ، و إتيانها له كذلك كان ممكناً له لأنه كان على الطهارة دائماً ، بل أتباعه المخلصون أيضاً كانوا كذلك كما روي عن حجر بن عدي انه كان لم يحدث الا وعقّبه بالوضوء و لم يتوضأ الا وعقّبه بالصلاة فاذا كانت عادة شيعته هكذا فهو بطريق أولىٰ كان كذلك ، فلم يكن له مانعٌ من أن يصلّي جالساً و مؤمياً مراعياً عدم ايذاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عدم ازعاجه في النوم لاسيّما في حالة نزول الوحي . و النبي صلى الله عليه و آله و سلم لمّا رآى أنّ علياً عليه السلام لم يصلّ صلاته الكاملة (و هي الصلاة قائماً) دعا لرجعة الشمس فرجعت فصلّاها قائماً أيضاً ، و سيأتي المزيد على ما قلنا في كلام ابن حجر أيضاً .

١ - لا تردّد فيه كما بيّناه آنفاً .

لاتغربي ياشمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى و لنجله
و اثني عنانك ان أردت ثناءهم ... أنسيت اذ كان الوقوف لأجله
ان كان للمولى و قوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله و لرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس و طلعت[١] .

﴿ إخباره عليه‌السلام بالغيب ﴾

(أخرج) عبدالرزاق عن حجر المرادي قال : قال لي علي عليه‌السلام كيف بك اذا أُمرت أن تلعنني ؟

قلت : أوكائنٌ ذلك ؟ قال : نعم قلت فكيف أصنع ؟ قال : العنّي و لاتبرأ منّي .

قال : فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميراً من قبل عبدالملك بن مروان على اليمن أن ألعن علياً فقلت : انّ الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله ، فما فطن لها الارجل أي أنه انما لعن الأمير و لم يلعن علياً فهذا من كرامات علي و إخباره بالغيب[٢] .

و من كراماته أيضاً أنه حدّث بحديث فكذّبه رجل فقال له : أدعو عليك ان كنت كاذباً ، قال : ادع ، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره[٣] .

---

١ – الصواعق المحرقة ص ٧٦ .

٢ – المصدر .

٣ – المصدر .



﴿ علي عليه السلام و معاوية ﴾

قال معاوية لضرّار بن حمزة : صف لي علياً ! فقال : اعفني ، فقال : أقسمت عليك بالله !

فقال : «كان و الله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، و يحكم عدلاً ، يتفجرّ العلم من جوانبه ، و تنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا و زهرتها ، و يأنس بالليل و وحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ، و من الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، و يأتينا اذا دعوناه ، و نحن و الله مع تقريبه إيّانا و قربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبةً له ، يعظّم أهل الدين ، و يقرّب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، و لا ييأس الضعيف من عدله .

و أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله و غارت نجومه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، (أي اللديغ) ، و يبكي بكاء الحزين ، و يقول يادنيا غرّي غيرى أبي أو اليّ تشوقّتِ هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، و خطرك قليل آه آه من قلّة الزاد ، و بعد السفر ، و وحشة الطريق» .

فبكى معاوية و قال رحم الله أبا الحسن كان و الله كذلك[1] .

---

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٩ .

﴿ سبب مفارقة أخيه عقيل ﴾

أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفي عياله فاشتهى عليه أولاده هريساً فصار يوفرّ كل يوم شيئاً قليلاً حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمناً و تمراً و صنع لهم فدعوا علياً اليه فلمّا جاء و قدّم له ذلك ، فسأل عنه ، فقصّوا عليه ذلك ، فقال : أو كان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه .

قالوا : نعم ، فنقّص مماكان يعطيه مقدار ماكان يعزل كل يوم ، و قال لا يحلّ لي أزيد من ذلك ، فغضب عقيل ، فحمى له أميرالمؤمنين عليه السلام حديدةً و قرّبها من خدّه و هو غافل فتأوّه ، فقال : تجزع من هذه و تعرضني لنار جهنم[1] ؟

فقال : لأذهبنّ الى من يعطيني تبراً ، و يطعمني تمراً ، فلحق بمعاوية .

و قد قال معاوية يوماً : لولا علم بأ نّي خيرٌ له من أخيه ما أقام عندنا و تركه .

فقال له عقيل : أخي خيرٌ لي في ديني و أنت خيرٌ لي في دنياي ، و قد آثرت دنياي و أسأل الله خاتمة خير[2] .

(و أخرج) ابن عساكر أنّ عقيلاً سأل علياً عليه السلام فقال : إنّي محتاج و إنّي فقير فأعطني .

---

١ - و في نهج البلاغة انه عليه السلام قال لعقيل : أتئنّ من حديدة أحماها انسانها للعبه ، و تجرّني الى نارٍ سجّرها جبّارها لغضبه ، أتئنّ من الأذىٰ ، و لا أئنّ من لظىٰ (نهج البلاغة عبده ج ٢ ص ٢١٩) .

٢ - لا يخفىٰ أنّ هذا الاختلاف من عقيل و ذهابه الى معاوية كان صورياً و كان الغرض الأصلي منه حضوره في بلاط معاوية ليكون ناظراً على أعماله كعين لأمير المؤمنين عليه السلام مضافاً الى أنّه أراد بذلك أن يتّخذ الى بثّ فضائل اميرالمؤمنين عليه السلام في ملأ الشام سبيلاً ، و الدليل على ذلك انّه كان يظهر للناس فضائله كلما يجد الفرصة لذلك . كما يظهر من هذه الواقعة و التي تأتي عن ابن عساكر .

قال : اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألحّ عليه . فقال لرجل : خُذ بيده و انطلق به الى حوانيت أهل السوق .

فقال له : دقّ هذه الأقفال و خُذ ما في هذه الحوانيت .

قال : تريد أن تتّخذني سارقاً ؟

قال : و أنت تريد أن تتخذني سارقاً ان آخذ أموال المسلمين فأُعطيكها دونهم .

قال : لآتينّ معاوية . قال : أنت و ذاك .

فأتى معاوية ، فسأله فأعطاه مائة ألف . ثم قال : اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به عليّ . و ما أوليتك .

فصعد ، فحمد الله و أثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ! انّي أُخبركم أنّي أردت علياً على دينه ، فاختار دينه ، و انّي اردت معاوية على دينه فاختارني على دينه .

و لمّا وصل اليه فخرٌ من معاوية قال لغلامه اكتب اليه ثم أملى عليه :

محمد النبي أخي و صهري   و حمزة سيد الشهداء عمي
و جعفر الذي يمسي و يضحي   يطير مع الملائكة ابن أُمي
و بنت محمد سكني و عرسي   منوط لحمها بدمي و لحمي
و سبطا أحمد ابناى منها   فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرّاً   غلاماً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي : انّ هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام[1] .

---

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٩ .

﴿ أقواله عليه السلام في الحكم و المواعظ ﴾

انّ علياً عليه السلام كما كان فريداً في العلم، وحيداً في الحلم، سابقاً في الشجاعة، فائقاً في السماحة، كذلك كان متفرّداً في الفصاحة و البلاغة أيضاً، و من أراد أن ينظر الى أُنموذج من ذلك فلينظر الى كتاب نهج البلاغة المؤلّف من كلامه الشريف الجزء الأول فى خطبه، و الثاني فى كتبه، و الثالث في الحكم و المواعظ، و نحن نكتفي في المقام بما نقله ابن حجر في صواعقه فقط كما وعدنا فننقل نبذةً منه :

١ ـ الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا .

٢ ـ لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

٣ ـ قيمة كل امرء مايحسنه .

٤ ـ ما هلك امرؤ عرف قدره .

٥ ـ من عرف نفسه فقد عرف قدره .

٦ ـ المرء مخبوءٌ تحت لسانه .

٧ ـ من عذب لسانه كثر اخوانه .

٨ ـ لاتنظرالىمن قال وانظرالى ما قال.

٩ ـ لا ظفر مع البغي .

١٠ ـ لا ثناء مع الكبر .

١١ ـ لا صحّة مع النهّم .

١٢ ـ لا شرف مع سوء الأدب .

١٣ ـ لا راحة مع الحسد .

١٤ ـ لا سؤدد مع الانتقام .

١٥ ـ لا صواب مع ترك المشورة .

١٦ ـ لا مروّة للكذوب .

١٧ ـ لا كرم أعزّ من التقى .

١٨ ـ لا شفيع أنجح من التوبة .

١٩ ـ لا لباس أجمل من العافية .

٢٠ ـ لا داء أعيى من الجهل .

٢١ ـ المرء عدوّ ما جهله .

٢٢ ـ رحم الله امرأ عرف قدره .

٢٣ ـ اعادة الاعتذار تذكّر بالذنب .

٢٤ ـ الحكمة ضالة المؤمن .

٢٥ ـ اذا حلّت المقادير ضلّت التدابير.

٢٦ ـ الاحسان يقطع اللسان .

٢٧ ـ عبد الشهوة أذلّ من عبد الرّق .



٢٨ ـ ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا .

٢٩ ـ أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .

٣٠ ـ اذا قدرت على عدّوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه .

٣١ ـ ما أضمر أحدٌ شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه و على صفحات وجهه .

٣٢ ـ البخيل يستعجل الفقر يعيش في الدنيا عيش الفقراء و يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

٣٣ ـ لسان العاقل وراء قلبه و قلب الأحمق وراء لسانه .

٣٤ ـ العلم يرفع الوضيع و الجهل يضع الرفيع .

٣٥ ـ العلم خير من المال لأنّ العلم يحرسك و أنت تحرس المال .

٣٦ ـ العلم حاكم و المال محكوم عليه .

٣٧ ـ قصم ظهري عالمٌ متهتّك و جاهلٌ متنسّك ، هذا يفتي و ينفر الناس بتهتّكه ، و هذا يضلّ الناس بتنسّكه .

٣٨ ـ الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

٣٩ ـ لا خير في عبادة لا علم فيها و لا خير في علم لا فهم معه .

٤٠ ـ سبعةٌ من الشيطان : شدّة الغضب ، شدّة العطاس ، شدّة التثاوب ، القي ، الرّعاف النجوى ، النوم عند الذكر .

٤١ ـ و قال لمّا سُئل عن القدر : طريقٌ مظلمٌ لا تسلكه و بحرٌ عميقٌ لا تلجه و سرّ الله قد خفي عليك فلا تفشه .

٤٢ ـ و قال : انّ للنكبات نهايات ، لا بد لأحد اذا نكب أن ينتهي اليها ، فينبغي للعاقل اذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدّتها ، فانّ في رفعها قبل انقضاء مدّتها زيادة في مكروهها .

٤٣ ـ و قال عليه السلام : جزاء المعصية الوهن في العبادة ، و الضّيق في المعيشة ، و النقص في اللّذة ، قيل : و ما النقص ؟ قال : لا ينال شهوة حلال الآجاءه ما ينغضّه إيّاها .

٤٤ ـ و لمّا ضربه ابن ملجم قال للحسن عليه السلام ، و قد دخل عليه باكياً : يابني ! احفظ عنّي أربعاً و أربعاً ، قال : و ما هنّ ياأبت ؟

قال : أغنى الغنى العقل ، و أكبر الفقر الحمق ، و أوحش الوحشة العُجب ، و أكرم الكرم حُسن الخُلق . قال : فالأربع الأُخر ؟ قال : إيّاك و مصاحبة الأحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرّك ، و إيّاك و مصادقة الكذّاب فانه يقرّب عليك البعيد و يبعّد عليك القريب ، و إيّاك و مصادقة البخيل فانه يخذلك في أحوج ما تكون اليه ، و إيّاك و مصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . و أضاف ابن حجر قائلاً : و كلامه رضي الله عنه في هذا الاسلوب البديع كثير تركته خوف الاطالة[1] .

و أُضيف الى ذلك ما نقله الشبلنجيُ عنه عليه السلام فمنه :

٤٥ ـ اذا أملقتم فبادروا بالصدقة .

٤٦ ـ من لان عوده كثرت أغصانه .

٤٧ ـ اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر .

٤٨ ـ الناس عالم أو متعلّم و سائرهم همجٌ رعاعٌ .

٤٩ ـ اكفف عن الناس ما تحبّ أن يكف عنك الناس .

٥٠ ـ قل عند كل شدّة : لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ، تكف ، و قل عند كل نعمة : الحمد لله ، تزد منها ، و اذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسّع عليك[2] .

---

١ - **الصواعق المحرقة** ص ٧٧ ـ ٧٨ .

٢ - **نور الأبصار** ص ٩٢ .

﴿ كلامه عليه السلام المنظوم ﴾

و من كلامه المنظوم على ما نقله الشبلنجي :

ألا لن تـنال العـلم الآ بسـتة ... سأُنبيك عن مجموعها[1] ببيان
ذكاءٌ و حرصٌ و اصطبارٌ[2] و بلغةٌ ... و ارشـاد أُستاذ و طول زمان

و من كلامه أيضاً :

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب و فرقة الأحباب

و من كلامه أيضاً :

اذا ما المرء لم يحفظ ثلاثاً ... فبعه و لو بكفٍّ من رماد
وفاء للصديق و بذل مالٍ ... و كتمان السرائر في الفؤاد

و من كلامه ايضاً :

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبـوهم آدم و الأُمّ حـوّاء
فان لم يكن في أصلهم شرفٌ ... يفاخرون به فالطين و الماء
ما الفضل الا لأهل العلم فإنّهم ... على الهدىٰ لمن استهدى أدلّاء
و قيمة المرء ما قد كان يحُسنه ... و الجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم و لا تبغ به بدلاً ... فالناس موتىٰ و أهل العلم أحياء[3]

---

١ - وفي ديوانه : عن تفصيلها .

٢ - و في ديوانه : و اجتهادٌ .

٣ - نور الأبصار ص ٩٤ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال ابن حجر : « سببها انه لمّا طال النزاع بينه و بين معاوية انتدب ثلاثة نفر من الخوارج : عبدالرحمان بن ملجم المرادي ، و البرك ، و عمرو التميميّين ، فاجتمعوا بمكة و تعاهدوا و تعاقدوا ليقتلنّ هؤلاء الثلاثة : علياً و معاوية و عمرو بن العاص ، و يريحوا العباد منهم .

فقال ابن ملجم : أنا لكم بعلي ، و قال البرك : أنا لكم بمعاوية ، و قال عمرو : أنا لكم بعمرو ، و تعاهدوا على أنّ ذلك يكون ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر رمضان .

ثم توجّه كل منهم الى مصر صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ، و وافقه منهم شبيب بن عجرة الأشجعي و غيره .

فلمّا كانت ليلة الجمعة سابع عشر[1] رمضان سنة أربعين استيقظ علي عليه السلام سحراً و قال لابنه الحسن عليه السلام رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقلت يارسول الله ما لقيت من اُمتك خيراً .

فقال لي : ادع الله عليهم ، فقال اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم و أبدلهم بي شراً لهم مني .

و أقبل عليه الأوز في وجهه فطردوهنّ ، فقال : دعوهن فانهن نوائح .

و دخل عليه المؤذّن فقال : الصلاة فخرج على الباب ينادي : أيها الناس

---

١ – الصحيح أنّه عليه السلام جرح من سيف ابن ملجم ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين و توفي في ليلة احدى و عشرين منه ، استظهره الشيخ الطوسي رحمه الله في غيبته (ص ١٩٥ط طهران) .



الصلاة الصلاة ، فشد عليه شبيب ، فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب ، و ضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته الى قرنه و وصل دماغه ، و هرب ، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أُمية فقتله .

و اما ابن ملجم فشدّ عليه الناس من كل جانب فلحقه رجلٌ من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه و أخذ السيف منه و جاء به الى علي عليه السلام فنظر اليه و قال : النفس بالنفس اذا ما متّ فاقتلوه كما قتلني و ان سلمت رأيت فيه رأيي .

و توفى ليلة الأحد و غسّله الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر و محمد بن الحنفية يصبّ الماء و كفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص و صلّى عليه الحسن عليه السلام و كبّر عليه سبعاً و دفن بدار الامارة بالكوفة ليلاً أو بالغري في موضع يزار الآن أو بين منزله و الجامع الأعظم أقوالٌ ثم قطعت أطراف ابن ملجم و جعل في قوصرة و أحرقوه بالنار .

و قيل بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أُم الهيثم بنت الأسود النخعية .

و كان علي في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلةً عند الحسن و ليلةً عند الحسين و ليلةً عند عبدالله بن جعفر و لا يزيد على ثلاث لقم ، و يقول أُحبّ أن ألقى الله و أنا خميص فلمّا كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها أكثر الخروج و النظر الى السماء ، و جعل يقول : و الله ما كَذبت و لا كُذبت و انها الليلة التي وُعدت .

فلمّا خرج وقت السّحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قـدّمنا ، و عُمي قبر علي لئلّا ينبشه الخوارج و قال شريك : نقله ابنه الحسن الى المدينة .

(و أخرج) ابن عساكر انه لمّا قُتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فبينما هم في مسيرهم ليلاً ارتدّ الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب و لم يقدر عليه فلذلك



يقول أهل العراق هو في السحاب .

و قال غيره انّ البعير وقع في بلاد طيّ فأخذوه و دفنوه[١] .

و كان لعلي عليه السلام حين قتل ثلاث و ستون سنة (كما كان للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أيضاً كذلك) .

و سئل و هو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بّدلوا تبديلاً** ﴾[٢] فقال الّلهم غفرانك هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة و فى ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأمّا عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، و أمّا حمزة فقضىٰ نحبه شهيداً يوم اُحد ، و أمّا أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه ، و أشار بيده الى

---

١ - هذه الأقوال كلّها ضعيفة و متضاربة لعدم ورودها عن أهل البيت عليهم السلام و الصحيح أنه عليه السلام دفن بالغري (النجف الأشرف) حيث يزار قبره الآن ، و يؤيّده روايات كثيرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام و أهل البيت أدرى بما فيه .

قال ابن أبي الحديد : قد قلنا فيما تقدّم أنّ أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب ، و هذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي عليه السلام يزورونه قديماً و حديثاً و يقولون : هذا قبر أبينا لا يشك أحدٌ في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم ، أعني بني علي من ظهر الحسن و الحسين عليهما السلام و غيرهما من سلالة المتقدمين منهم و المتأخرين مازاروا و لا وقفوا الا على هذا القبر بعينه .

و قد روى أبو الفرج عبدالرحمان بن علي الجوزي عن أبي الغنائم قال : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ، ليس قبر أحد منهم معروفاً الا قبر أمير المؤمنين عليه السلام و هو القبر الذي تزوره الناس الآن . جاء جعفر بن محمد عليهما السلام و أبوه محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام فزاراه و لم يكن اذ ذاك قبر ظاهر ، حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبر (انتهى كلامه) . راجع شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٢٢ .

٢ - الأحزاب ٣٣ : ٢٣ .



لحيته و رأسه ، و قال : عهد عهده الي حبيبي ابو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم »[١] .

﴿ وصيّته عليه السلام ﴾

قال ابن حجر : « و لمّا أُصيب دعا الحسن و الحسين رضى الله عنهما فقال لهما: «أُوصيكما بتقوى الله و لا تبغيا الدنيا و ان بغتكما ، و لا تبكيا على شيء زوي منها عنكما ، و قولا الحق و ارحما اليتيم ، و أعينا الضعيف ، و اصنعا للإخرة و كونا للظالم خصماً ، و للمظلوم أنصاراً ، و اعملا لله ، و لا تأخذكما في الله لومة لائم» .

ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال له : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، فقال : أُوصيك بمثله و أُوصيك بتوقير أخويك لعظم حقّهما عليك ، و لا تواثق أمراً دونهما ، ثم قال : أُوصيكما به فانه أخوكما و ابن أبيكما و قد علمتا أنّ أباكما كان يحبّه ، ثم لم ينطق الا بلا آله الا الله الى أن قبض كرم الله وجهه .

(و روي) أنّ علياً جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال رضي الله عنه :

أُريد حياته و يريد قتلي   عذيرى من خليلي من مرادي[٢]

ثم قال هذا و الله قاتلي ، فقيل له ألا تقتله ؟ فقال فمن يقتلني ؟

و في المستدرك عن السدّي قال : كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها نظام[٣] فنكحها و أصدقها ثلاثة آلاف درهم و قتل علي و في ذلك يقول

---

١ - الصواعق المحرقة ص ٨٠ .

٢ - الصحيح : عذيرك من خليلك من مرادي ، يعني : هات عذيرك منه .

٣ - الصحيح : قطام .



الفرزدق :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة	كمهر قطام بيّن غير معجم

و في رواية من فصيح و أعجم :

ثــلاثة آلاف و عــبد وقــينة	و ضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من عليّ و ان غلا	ولا فتك الّادون فتك ابن ملجم[1]

﴿ فرح اناس بقتل أمير المؤمنين عليه السلام ﴾

لمّا كانت ذات أميرالمؤمنين علي عليه السلام قرة عين المحبّين و الموالين له ، كانت شهادته فاجعة عظيمة لهم ، فملأت صدورهم غماً ، و أبكت عيونهم دماً ، و بالعكس من كان في قلبه حقد منه أوكان مبغضاً له فرح به فرحاً عظيماً كمعاوية و مروان بن الحكم و عائشة و أمثالهم ، صدق الله العلي العظيم : **﴿كل يعمل على شاكته﴾**[2] .

﴿ فرح عائشة بقتله عليه السلام ﴾

قال أبو الفرج الاصبهاني : حدّثني محمد بن الحسين الأشناني قال : حدّثنا موسى بن عبدالرحمان المسروقي قال : حدّثنا عثمان بن عبدالرحمان قال حدّثنا

١ - **الصواعق المحرقة** ص ٨٠ ، **نور الأبصار** ص ١١٦ .

٢ - الاسراء ١٧ : ٨٤ .



اسماعيل بن راشد باسناده قال : لمّا أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت :

فألقت عصاها و استقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجلٌ من مراد ، فقالت :

فان يك نائباً[1] فقد بغاه[2] غلامٌ ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أُمّ سلمة : أ لعلي تقولين هذا ؟ فقالت : اذا نسيت فذكّروني[3].

قصيدة عمران بن حطّان الخارجي في مدح ابن ملجم

كذلك فرح بقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام عدّة آخرون أيضاً لأنّهم كانوا يخالفونه في الهدف و السيرة أمثال معاوية بن أبي سفيان و مروان بن الحكم و عمران بن حطّان .

أما عمران بن حطّان الخارجي فقد أنشد قصيدةً في مدح قاتله عبدالرحمان بن ملجم المرادي نقله الشبلنجيُّ ننقل أولّها من باب ﴿ **قال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب** ﴾[4] :

لله درّ المرادي الذي فتكت كفّاه مهجة شرّ الخلق إنسانا

ياضربةً من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

---

١ – المصيبة ، الحادثة جمعه : النوائب .

٢ – كذا في المصدر، لكنّ الصواب : نعاه .

٣ – **مقاتل الطالبين** ص ٢٦ .

٤ – سورة ص ٣٨ : ٤ .



إنـي لأذكـره يـوماً فأحسبه | أو فـي البـرية عـند الله مـيزانـا

و لمّا سمعها القاضي أبو الطيّب طاهر بن عبدالله الشافعي أجابه بقوله :

إنــي لابــرأ مــما أنت قـائله | عــن ابـن مـلجم المـلعون بـهتانا

يـاضربةً مـن شـقيّ مـا أراد بـها | إلا ليــهدم للاســلام أركــانا

إنّــي لأذكــره يـوماً فألعـنه | ديـناً و ألعـن عـمراناً و حـطّانا

عـليه ثـم عـليه الدهـر مـتصلاً | لعـــائن الله إســراراً و إعـلانا

فأنتما مـن كـلاب النـار جـاء بـه | نـصّ الشـريعة بـرهانا و تـبيانا

عـليكما لعـنة الجـبّار مـا طـلعت | شمسٌ و ما أوقد في الكون نيرانا

و قال بكر بن حسّان الباهليّ :

قـل لابـن مـلجم و الأقـدار غـالبة | هــدمت للـدين و الإسـلام أركـانا

قتلت أفضل من يمشي عـلى قـدم | و أفـضل النـاس إسـلاما و إيـمانا

و أعــلم النــاس بالقرآن ثـم بـما | سـنّ الرسـول لنـا شـرعاً و تـبيانا

صـهر النـبي و مـولاه و نـاصره | أضـحت مـناقبه نـوراً و بـرهانا

و كان مـنه عـلى رغـم الحسـود له | مكان هرون من موسى بن عمرانا

ذكــرت قـاتله و الدمـع مـنحدر | فقلتُ سبحان ربّ العرش سبحانا

قد كان يخبرنا أن سوف يـخضبها | قـبل المـنيّة أشـقاها و قـد كـانا

إنّـي لأحسـبه مـاكـان مـن بشـر | يخشى المعاد و لكن كـان شـيطانا

أشـقى مـراداً إذا عـدّت قـبائلها | و أخســر النـاس عـند الله مـيزانـا

كـعاقر النـاقة الأولى التـي حـلبت | على ثمود بأرض الحجر خسـرانـا

فــلا عـفا الله عـنه مـا تـحمله | و لاسـقى قـبر عـمران بـن حـطّانا

لقــوله فـي شـقّي ظـلّ مجترماً | و نــال مــا نـاله ظـلماً و عـدوانـا

يـاضربةً مـن تـقيّ مـا أراد بـها إلا ليبلغ من ذي العرش رضـوانـا
بل ضربةً من غـويّ أورثـته لظـى مخلّداً قـد أتـى الرحـمان غـضبانا
كأنّــه لم يــرد قـصداً بـضربته إلا ليـصلى عـذاب الخـلد نـيرانـا[١]

من الذي قتل أميرالمؤمنين عليه السلام ؟

(قال الجزائريُّ) إنّ كون عبدالرحمٰن بن ملجم قاتلاً لعلي عليه السلام وجهة ظاهرة عند الناس ، لأنّ القاتل الأصلي الذي حرّض ابن ملجم و بعثه الى علي عليه السلام لقتله مخفيٌ عن الأنظار ، و مختبئ تحت الأستار .

فلابدّ للخبير الذي أراد أن ينقّب عن الحقائق ، و يتتبع الدقائق ، أن يستطلع من أعماق التأريخ دفائنه ، و يستخرج من مكامنه حقائقه ، ففي السطور الآتية نلمع الى ذلك ، لتعلم ما جرىٰ هنا لك .

لاحظ الى أنّ ثلاثة نفر (و هم : البرك بن عبدالله الصريمي و عمرو بن بكر التميمي و عبدالرحمان بن ملجم المرادي) صمّموا و حلفوا امام الكعبة على قـتل ثلاثة نفر و هم : معاوية و عمر و العاص و علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم واحد و وقت واحد ، و قرّروا جميع جزئيات اقدامهم ، لكن معاوية و عمرو العاص لم يرياً سوءاً اذ معاوية جرح بجراحة خفيفة على وركه ، و لم يحضر عمرو العاص المسجد في الوقت المعيّن و بعث مكانه خارجة بن حذافة السهمي فقتل بلا جرم و خطاء ، و قتل من بين هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب عليه السلام لكون السيف مسموماً فـهنا

---

١ - نور الأبصار ص ١٢٠ .

أسئلة :

(الأول) لأي شيء لم يكن السيف الذي وقع على معاوية مسموماً وكان سيف ابن ملجم فقط مسموماً ؟

(الثاني) لأي شيء نجا عمرو العاص أيضاً و من الذي نبّهه على أن لا يحضر الصلاة و يبعث لها نفراً آخر الذي صار فدية له ؟

(الثالث) من أين لابن ملجم هذا المال الكثير الذي شرى به السيف بألف ، و السمّ بألف ، و ثلاثة آلاف لمهر قطام مع عبد و قينة كما قال الفرزدق :

و لم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح و أعجم
ثلاثة آلاف و عبد و قنية و ضرب عليّ بالحسام المسمّم
و لا مهر أغلىٰ من علي و ان غلا و لا فتك الا دون فتك ابن ملجم[1]

مع أنّ ابن ملجم كان رجلاًفقيراً لا يملك دابة فاستحملها من أمير المؤمنين عليه السلام فحمّله ، فظهر من هذاكلّه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقتل الا بمؤامرة معاوية و عمرو العاص كما قتل ابنه الحسن عليه السلام أيضاً كذلك و سيأتي عند ذكره ، و الشاهد على ما قلنا ما قاله أبو الأسود الدُؤلي مخاطباً لمعاوية و حزبه كما يأتي :

ألا بلّغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصّيام فجعتمونا بخير الناس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا و رحلها و من ركب السفينا
و من لبس النعال و من حذاها و من قرأ المثاني و المئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع للناظرين

---

[1] - **نور الأبصار** ص ١١٦.



لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرها حسباً و دينا

و قل للشامتين بنا رويداً سيلقىٰ الشامتون كما لقينا[١]

قال الشبلنجيُّ : (و بالإسناد) عن الزهري قال : قال لي عبد الملك بن مروان : أي واحد أنت إن حدّثتني ماكان علامة يوم قتل علي عليه‌السلام ؟ قلت : ياأميرالمؤمنين ما رفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط[٢] .

عاقبة أمر ابن ملجم

نقل الشبلنجي عن كتاب المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال : قال أبو القاسم بن محمد : كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه‌السلام فقلت ما هذا ؟ فقالوا راهب قد أسلم و جاء إلى مكة و هو يحدّث الناس بحديث عجيب .

فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف و قلنسوة صوف عظيم الجثة و هو قاعد عند المقام يحدّث الناس و هم يستمعون له .

فقال : بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذ أشرفت منها اشرافة فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحر فتقيّأ فرمى من فيه ربع إنسان ، ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقيّأ ربعاً آخر ، ثم طار و عاد فتقيّأ هكذا إلى أن تقايأ أربعة أرباع إنسان ، ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها

---

١ - نور الأبصار ص ١٢٠ .

٢ - المصدر .

إنسانٌ كاملٌ و أنا أتعجّب مما رأيت ، فإذا بالطائر قد انقضّ عليه فاختطف ربعه ، ثم طار ثم عاد و اختطف ربعاً آخر ، ثم طار و هكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكّراً و أتحسّر أن لاكنت سألته و من هو و ما قصته ؟

فلمّاكان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل و فعل كفعله بالأمس ، فلمّا التأمت الأرباع و صارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه و سألته بالله من أنت ياهذا ؟

فسكت ، فقلت : بحقّ من خلقك إلا أخبرتني من أنت ؟

فقال : أنا ابن ملجم ، فقلت : ما قصّتك مع هذا الطّائر ؟

قال : قتلت علي بن ابي طالب فوكّل الله بي هذا الطائر يفعل بي ماترى .

فخرجت من صومعتي و سألت عن علي بن أبي طالب فقيل لي إنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأسلمت و أتيت إلى بيت الله الحرام قاصد الحج و زيارة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم [1] .

﴿ ٢ ﴾

﴿ الامام الثاني الحسن بن علي عليهما السلام ﴾

و هو الامام أبو محمد الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال الشبلنجيّ :

---

١ - المصدر .



﴿ فصل : في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ﴾ .

﴿ مولد الامام الحسن عليه السلام ﴾

(ولد) الحسن عليه السلام في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، و هو أول أولاد علي و فاطمة عليهما السلام .

روي مرفوعاً إلى علي أبيه عليهما السلام قال : « لمّا حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأسماء بنت عميس و أُم سلمة رضي الله عنهما احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها و استهلّ صارخاً فأذّنا في أُذنه اليمنىٰ و أقيما في أُذنه اليسرىٰ فإنه لا يفعل ذلك إلاعصم من الشيطان ، و لا تحدثا شيئاً حتى آتيكما .

فلمّا ولدت فعلنا ذلك و أتاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فسرّه و لبّأه بريقه و قال : اللّهم إني أُعيذه بك و ذريته من الشيطان الرجيم .

فلمّا كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سمّوه حسناً» .

(عن أسماء) بنت عميس قالت : قبلت فاطمة بالحسن ، فلم أر لها دماً ، فقلت يارسول الله إنّي لم أر لفاطمة دماً في حيض و لا نفاس ؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم لها : أما علمت أنّ ابنتي طاهرة مطهّرة لا يُرى لها دم في طمث و لا ولادة ، خرّجه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

و عقّ صلى الله عليه و آله و سلم عنه ، فعن علي عليه السلام عقّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن الحسن و قال يافاطمة احلقي رأسه و تصدّقي بزنة شعره فضة فوزنّاه فكان وزنه درهماً أو بعض درهم خرّجه الترمذي .

(و عن أسماء) بنت عميس قالت عقّ النبي ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين و أعطى القابلة الفخذ و حلق رأسه و تصدّق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق .

و أرضعته أُم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم ، فعن قابوس أنّ أُم الفضل قالت : يارسول الله رأيت كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي .

فقال خيراً رأيتيه تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم ، فولدت فاطمة الحسن، فأرضعته بلبن قثم ، خرّجه الدولابي و البغوي في معجمه .

و في الصفوة عن علي قال : الحسن أشبه الناس بالنبي ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس و الحسين أشبه الناس بالنبي ﷺ ماكان أسفل من ذلك .

(عن أبي هريرة) قال : لا أزال أُحبّ هذا الرجل ، يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع ، قال رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ و هو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ و النبي ﷺ يدخل لسانه في فيه ثم يقول: اللهم إنّي أُحبّه ،كذا في ذخائر العقبى[1] .

﴿ صفة الحسن عليه السلام ﴾

كان أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدين كثّ اللحية ، ذا وفرة كأنّ عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ، ليس بالطويل و لا بالقصير ، من أحسن الناس وجهاً وكان يخضب بالسواد ، وكان جعد

---

١ - نور الأبصار ص ١٣١ .



الشعر حسن البدن ، ذكره الدولابي و غيره .

(عن محمد بن علي) قال الحسن عليه السلام إنّي لأستحى من ربّي عز و جلّ أن ألقاه و لم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرةً من المدينة على رجليه .

(و عن علي بن زيد) قال : حجّ الحسن خمس عشرة حجة ماشياً و إن النجائب لتقاد معه .

(و في حياة الحيوان) انه قاسم الله عزّ و جلّ ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطي نعلا و يُمسك أُخرى (وكنيته) أبو محمد ؛ و أمّا ألقابه فكثيرة و هي التقي و الزكي و السيد و السبط و الولي و أكثرها شهرة التقي و أعلاها رتبة مالقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث الصحيح « إنّ ابني هذا سيد» .

(روى البخاري) في صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلّى أبو بكر العصر ، ثم خرج يمشي و معه علي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله أبو بكر على عاتقه و قال : بأبي شبيه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . ليس شبيهاً بعلي . قال و علي يبتسم[1] .

﴿ الأحاديث في فضله عليه السلام ﴾

قال الشبنلجيُّ :

و قد ورد في فضله أحاديث كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري و مسلم مرفوعاً إلى البراء قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الحسن بن علي على عاتقه و هو يقول اللهم إني أُحبّه فأحبه»

---

١ - نور الأبصار ص ١٣٢ .

(و روى الترمذي) مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حامل الحسن بن علي عليهما السلام فقال رجل : نعم المركب ركبت ياغلام !

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : و نعم الراكب هو .

(و روي عن الحافظ أبي نعيم) فيما أورده في حديثه عن أبي بكر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بنا فيجيء الحسن عليه السلام و هو ساجد و هو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره و مرة على رقبته فيرفعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعاً رفيقاً فلمّا فرغ من الصلاة قالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد ؟

فقال : إنّ هذا ريحانتي و إن ابني هذا سيد و عسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

(و روى الترمذي) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

[تنبيه] سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة » ما معناه ؟ فأجاب بجواب منه معنى الحديث أنّ الحسن و الحسين و إن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شاباً و دخل الجنة و كل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث و ثلاثين و لا يلزم كون السيد في سن من يسودهم كذا في تتمة المختصر[1] .

(أقول) و روى ابن حجر المكّي عن ابن عساكر و ابن ماجة و الحاكم و

---

١ - نور الأبصار ص ١٣٢ .



الطبراني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ابناي هذان الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة و أبوهما خيرٌ منهما[1].

و روىٰ الشبلنجيُّ :

(عن ابن عمر) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هما ريحانتاي من الجنة .

(و روي) أنه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بالحسن و الحسين و هما يلعبان فطأطأ لهما عنقه و حملهما و قال نعم المطية مطيّتهما و نعم الراكبان هما .

[فائدة] [حكايتان : الأولى] كان الحسن عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يجتمع الناس حوله فجاء رجل فوجد شخصاً يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال : أخبرني عن (شاهد و مشهود) فقال : نعم أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم عرفة .

فتجاوزه إلى آخر يحدّث في المسجد فسأله عن (شاهد و مشهود) كذلك ، فقال : أمّا الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر .

ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن (شاهد و مشهود) أيضاً فقال : الشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المشهود يوم القيامة أما سمعته عزّ و جلّ يقول : **﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً ﴾**[2] و قال تعالى **﴿ ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود ﴾**[3].

فسأل عن الأول ، فقالوا : ابن عباس رضي الله عنه و سأل عن الثاني فقالوا : ابن عمر ،

---

١ - **الصواعق المحرقة** ص ١١٤ .

٢ - **الأحزاب** ٣٣ : ٤٦ .

٣ - **هود** ١١ : ١٠٣ .

و سأل عن الثالث ، فقالوا : الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام رواها الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط .

[الثانية] اغتسل الحسن عليه السلام و خرج من داره في بعض الأيام و عليه حلّة فاخرة و وفرة ظاهرة ، و محاسن سافرة ، فعرض له في طريقه شخصٌ من محاويج اليهود و عليه حلّة مسح من جلود قد أنهكته العلة ، و ركبته القلة و الذلة ، و شمس الظهيرة قد شوت شواه ، و هو حامل جرة ماء على قفاه ، فاستوقف الحسن عليه السلام و قال : يا ابن رسول الله سؤال ، قال : ماهو ؟ قال جدّك يقول « الدنيا سجن للمؤمن و جنة للكافر » و أنت مؤمن و أنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنةً لك تتنعّم بها ، و ما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرّها و أجهدني فقرها .

فلمّا سمع الحسن كلامه قال له : يا هذا لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ، و لو نظرت إلى ما أعدّ الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة انتهى من الفصول المهمة .

[فائدة] روي عن علي عليه السلام : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوّذ الحسن و الحسين بهؤلاء الكلمات : أُعيذكما بكلمات الله التّامة من كل شيطان و هامّة و من كل عين لامّة[1] .

ثم قال الشبلنجيُّ :

---

١ - نور الأبصار ص ١٣٣ .



﴿ فصل : في ذكر طرف من أخباره و مصالحته معاوية و ما يتصل بذلك ﴾

قال أصحاب السير : لمّا استشهد علي عليه السلام عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية ، و سار معاوية بجيش الشام لقصده فلمّا تقارب الجيشان و ترآءا الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأُخرى فرأى أنّ المصلحة في جمع الكلمة و ترك القتال فكتب إلى معاوية يراسله و يخبره بأنه يصير الأمر إليه و ينزل عنه على أن يشترط عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة و الحجاز و العراق بشيء مما كان في أيام أبيه و أن يكون ولي العهد من بعده ، و أن يمكّنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه .

ففرح معاوية و أجاب إلى ذلك فاصطلحا على ذلك ، فكتب الحسن عليه السلام كل ما اشترط عليه من الأُمور المذكورة و اشترط أن يكون له الأمر بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ، فخلع الحسن عليه السلام نفسه[1] و سلّم الأمر إلى معاوية تورعاً و قطعاً للشر .

فلمّا اصطلحا دخل معاوية الكوفة و ارتحل الحسن إلى المدينة و أقام بها.

(و كان) نزوله عنها سنة إحدى و أربعين في ربيع الأول و قيل في جمادي الأولى و قيل غير ذلك و ذلك مصداق قوله صلى الله عليه و آله و سلم في حق الحسن : « إنّ ابني هذا سيد و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين[2] من المسلمين » رواه البخاري .

---

١ – لايخفىٰ على المتأمّل أنّ هذا الخلع كان بالنسبة الى الخلافة الظاهرية و الحكومة ، لا الخلافة الالٓهية الحقيقية و الامامة الواقعية ، و لتفصيلها مقامٌ آخر يظهر من مطاوي هذا الكتاب . فراجع.

٢ – الظاهر أنّ لفظ « عظيمتين» اضافة من الرّاوي لأنه ليس في رواية أبي نعيم عن أبي بكر السابقة و كيف تكون فئة معاوية عظيمة على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد ما لقّبها « الفئة الباغية» في حديثه



و لكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوّضه الله و أهل بيته عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت .

[موعظة] من مواعظ الحسن عليه السلام كان يقول : يا ابن آدمّ ! عفّ عن محارم الله تكن عابداً ، و ارض بما قسم الله لك تكن غنياً ؛ و أحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، و صاحب الناس بمثل ما تحبّ أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً و يبنون مشيداً ، و يأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً ، و عملهم غروراً و مساكنهم قبوراً .

يا ابن آدم ! إنك لم تزل في هدم عمرك ، مذ سقطت من بطن أُمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإنّ المؤمن يتزوّد ، و الكافر يتمتّع .

و كان يتلو هذه الآية بعدها ﴿ **و تزوّدوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾[1] كذا في الفصول المهمة[2] .

﴿ فصل : في ذكر نبذة من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ :

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنّ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سأل ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا بنيّ ما السّداد ؟

...ر : ياعمار تقتلك الفئة الباغية . (راجع **الاستيعاب** ج ٢ ص٤٣٦) .

١ – **سورة البقرة** ٢ : ١٩٧

٢ – **نور الأبصار** ص ١٣٤ .

فقال : يا أبت السّداد دفع المنكر بالمعروف .

قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة و الا حتمال للجريرة .

قال : فما السماح ؟ قال : البذل في العسر و اليسر .

قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء ماله و بذله عرضه .

قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة على الصديق و النكول عن العدوّ .

قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله لها و إن قلّ .

قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ و ملك النفس .

قال : فما المنعة ؟ قال : شدة البأس و منازعة أعزّ الناس .

قال : فما الذلّ ؟ قال : الفزع عند الصدمة .

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطي في الغرم و تعفو في الجرم .

قال : فما السؤدد ؟ قال : اتيان الجميل و ترك القبيح .

قال : فما السفه ؟ قال : اتّباع الدناءة و صحبة الغواة .

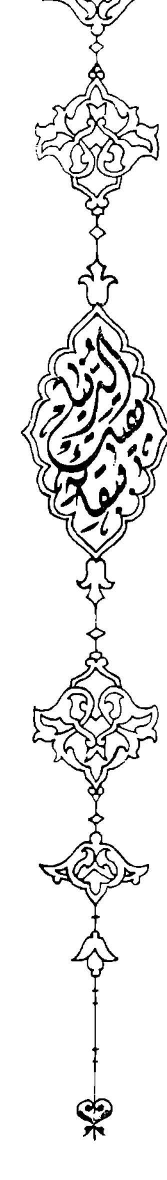
قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد و طاعة المفسد[1] .

و من كلامه عليه السلام : لا أدب لمن لا عقل له ، و لا مودّة لمن لا همّة له ، و لا حياء لمن لا دين له ، و رأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، و بالعقل تدرك الداران جميعاً ، و من حرم العقل حرمهما جميعاً .

و قال عليه السلام : هلاك الناس في ثلاث : في الكبر و الحرص و الحسد ، فالكبر

---

١ - المصدر .



هلاك الدين و به لُعن إبليس ، و الحرص عدوّ النفس و به أُخرج آدم من الجنة ، و الحسد رائد السوء و منه قتل قابيل هابيل .

و قال عليه السلام : دخلت على عليّ بن ابن أبي طالب عليه السلام و هو يجود بنفسه لمّا ضربه ابن ملجم ، فجزعت لذلك فقال لي أتجزع ؟ فقلت و كيف لا أجزع و أنا أراك على هذه الحالة !

فقال : يابني احفظ عنّي خصالاً أربعاً إن أنت حفظتهنّ نلت بهن النجاة ، يابني ! لا غنى أكثر من العقل ، و لا فقر مثل الجهل ، و لا وحشة أشدّ من العجب ، و لا عيش ألذّ من حسن الخلق ؛ و اعلم أن مروءة القناعة و الرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، و تمام الصنيعة خير من ابتدائها .

و قال عليه السلام : حسن السؤال نصف العلم .

و قال : من بدأ الكلام قبل السّلام فلا تجيبوه .

و سئل عن الصمت فقال : هو ستر العي و زين العرض و فاعله في راحة و جليسه في أمن .

(و قيل) له إنّ أبا ذر يقول : الفقر أحبّ إلي من الغنى ، و السقم أحبّ إلي من الصحة .

فقال : رحم الله أبا ذر أمّا أنا فأقول : من اتّكل على حسن اختيار الله لم يتمن غير الحالة التي اختارها الله له .

(و كان) يقول لبنيه و بني أخيه تعلّموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه و ضعوه في بيوتكم[١] .

---

١ – المصدر .



﴿ من كلامه عليه السلام المنظوم ﴾

ذكره العلامة عبدالقادر الطبري المالكي في شرح الدُرّية :

اغن عن المخلوق بالخالق	تغن عن الكاذب و الصادق
و استرزق الرحمان من فضله	ليس غير الله بالرازق
من ظنّ أنّ الناس يغنونه	فليس بالرحمان بالواثق
من ظنّ أنّ الرزق من كسبه	زلّت به النعلان من حالق [1]

﴿ كرمه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : فمن كرمه ما نقل عنه أنه سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله و بعث بها إليه .

و منه أنّ رجلاً سأله و شكا إليه حاله ، فدعا الحسن وكيله و جعل يحاسبه على نفقاته و مقبوضاته حتى استقصاها ، فقال له هات الفاضل ، فأحضر خمسين ألف درهم ، ثم قال ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك ؟ قال : عندي قال : فأحضرها ، فلمّا أحضرها دفع الدراهم و الدنانير إلى الرجل و اعتذر منه .

(و منه) ما رواه أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر رضي الله عنهم حجّاجاً فلمّا كانوا ببعض الطريق جاعوا و عطشوا و قد فاتتهم

---

١ - المصدر

أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب ؟ فقالت نعم ، فأناخوا بها و ليس عندها إلا شويهة ، فقالت احلبوها و اشربوا لبنها ، ففعلوا ذلك .

فقالوا : هل من طعام ؟ قالت : هذه الشويهة ما عندي غيرها فأنا أُقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أُهيىء لكم الحطب فاشووها و كلوا .

ففعلوا ذلك و أقاموا عندها حتى أبردوا فلمّا ارتحلوا من عندها قالوا لها ياهذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمّي بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا .

و أقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب و قال و يحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش .

ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة و زوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة و معها مكتلها تلتقط فيه البعر و الحسن عليه السلام جالس على باب داره فنظر إليها ، فعرفها فناداها ، و قال لها يا أمة الله هل تعرفيني ؟

فقالت : لا ، فقال : أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في المنزل الفلاني .

فقالت : بأبي أنت و أُمي لست أعرفك .

قال : فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة و أعطاها ألف دينار .

و بعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام فلمّا دخل بها الغلام على الحسين عليه السلام عرفها و قال بكم وصلها أخي الحسن ؟ فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك .

ثم بعث بها مع الغلام إلى عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما فلمّا دخلت عليه عرفها و أخبره الغلام بما فعل معها الحسن و الحسين عليهما السلام فقال و الله لو بدأت بي

لأتعبتهما و أمرلها بألفي شاة و ألفي دينار فرجعت و هي من أغنى الناس .

و عن الحسن بن سعد عن أبيه قال متّع الحسن عليه السلام امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً وزقّين من عسل فقالت إحداهما و أراها الحنفية : متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق ، انتهى من الفصول المهمة [١] .

[**تنبيهان : الأول**] قيل للحسن عليه السلام لأيّ شيء نراك لا تردّ سائلاً و إن كنت على فاقة ؟ فقال : إنّي لله سائل و فيه راغب و أنا أستحي أن أكون سائلاً و أردّ سائلاً ، و أن الله تعالى عوّدني عادة عوّدني أن يفيض نعمه عليّ ، و عوّدته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة و أنشاء يقول :

إذا مـاأتاني سـائلٌ قـلت مـرحـباً بـمن فـضله فـرض عـلىّ مـعجّل
و من فضله فضل على كل فاضل و أفضل أيام الفـتى حـين يُسأل

(الثاني) كان يوماً جالساً فأتاه رجلٌ و سأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة و لم يكن عنده ما يسدّ به رمقه ، فاستحيا أن يردّه فقال : ألا أدلّك على شيء يحصل لك منه البر ؟ فقال ماذا تدلّني عليه ؟

فقال : اذهب إلى الخليفة فإنّ ابنته توفّيت و انقطع عليها و ما سمع من أحد تعزية ، فعزّه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير .

فقال : حفّظني إياها ، قال : قل له : الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ، و لا هتكها بجلوسها على قبرك .

فذهب الى الخليفة و عزّاه بهذه التعزية ، فسمعها فذهب عنه الحزن ، فأمر له بجائزة و قال : بالله عليك أكلامك هذا ؟ قال : لا ، بل كلام فلان ، قال : صدقت فانه

---

١ - نور الأبصار ص ١٣٥ .

معدن الكلام الفصيح و أمر له بجائزة أُخرى كذا في الكنز المدفون .

﴿فائدة﴾ كان عطاؤه عليه السلام مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له ضيق شديد ، قال الحسن عليه السلام فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكّره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، فقال :كيف أنت ياحسن ؟ فقلت بخير يا أبت و شكوت اليه تأخر المال عنّي قال : أدعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره ؟ فقلت نعم يارسول الله فكيف أصنع ؟ قال قل :

اَللّٰهُمَّ اقْذِفْ فِي قَلْبِيْ رَجَاءَكَ وَ اقْطَعْ رَجَائِي عَمَّنْ سِوَاكَ حَتّٰى لاَ أَرْجُوْ أَحَداً غَيْرَكَ ، اَللّٰهُمَّ مَا ضَعُفَتْ عَنْهُ قُوَّتِيْ وَ قَصُرَ عَنْهُ عَمَلِيْ وَ لَم تَنْتَهِ اِلَيْهِ رَغْبَتِي وَ لَمْ تَبْلُغْهُ مَسْئَلَتِي وَ لَمْ يَجْرِ عَلىٰ لِسَانِي مِمّا أَعْطَيْتَ أَحَداً مِـن الْأَوّلِيْنَ وَالْآخِرِيْنَ مِنَ اليَقِيْنِ فَخُصَّني بِه يَا أرحَمَ الرّاحِمِينَ .

قال فو الله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث اليّ معاوية بألف ألف و خمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، و لا يخيب من دعاه ، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ياحسن كيف أنت ؟ فقلت بخير يارسول الله و حدثته بحديثي ، فقال يابني هكذا من رجا الخالق و لم يرج المخلوق ، أوردها الأجهوري في مشارق الأنوار[1] .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ :

١ - نور الأبصار ص ١٣٥ ـ ١٣٦



قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه اعلام الورى : بعد أن تمّ الصلح بين الحسن و معاوية و خرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين و سقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السمّ ، فبقي مريضاً أربعين يوماً ، و كان قد سألها يزيد في ذلك و بذل لها مائة ألف درهم و أن يتزوّجها بعد الحسن ففعلت .

و لمّا مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما و عدها ، فقال إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا .

قال الحافظ أبو نعيم في حليته : لما اشتدّ الأمر بالحسن قال أخرجوا فراشي إلى صحن الدار لعلّي أتفكر في ملكوت السموات يعني الآيات ، فلمّا خرجوا به قال : اللهم اني أحتسب نفسي عندك فانها أعز الأنفس عليّ .

و عن عمرو بن إسحق قال دخلت على الحسن أنا و رجل نعوده ، فقال : يا فلان سلني ، فقال له و الله لا أسالك حتى يعافيك الله و أسألك ، قال لقد ألقيت طائفة من كبدي و انّي سقيت السّم مراراً فلم أسقه مثل هذه المرّة .

ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين عليه‌السلام عند رأسه فقال له الحسين من تتهم ياأخي ؟

قال : لِمَ ، لأن تقتله ؟ قال : نعم ، قال : إن يكن الذي أظنه فالله أشدّ بأساً و أشدّ تنكيلاً و ان لم يكن هو فما أُحبّ أن يقتل بي بريء .

(و روي) أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين : يا أخي قد حضرت وفاتي و حان فراقي لك و اني لاحق بربّي ، و أجد كبدي تقطّع ، و أنّي لعارف من أين ذهبت و أنا أُخاصمه إلى الله تعالى .

ثم توفّي لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين ، و قيل تسع و

أربعين و قيل غير ذلك من الهجرة و صلّى عليه سعيد بن العاص[1] فانه كان والياً يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ، و دُفن بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد و كان عمره اذ ذاك سبعاً و أربعين سنة و كانت مدة خلافته منها ستة أشهر و خمسة أيام[2] .

﴿ أولاده عليه السلام ﴾

فقال ابن الخشّاب أحد عشر ابناً و بنت واحدة و هم : عبدالله ، و القاسم ، و الحسن، و زيد ، و عمر ، و عبدالله ، و عبد الرحمان ، و أحمد ، و اسماعيل و الحسين ، و عقيل ، و البنت اسمها فاطمة ، و كنيتها أُم الحسن ، و هي أُم محمد الباقر بن علي عليه السلام .

(و قال) الشيخ أبو عبدالله محمد بن النعمان في الإرشاد : أولاد الحسن بن علي رضي الله عنه خمسة عشر ولداً ما بين ذكر و أُنثى ، و هم : زيد ، و أُختاه أُم الحسن و أم الحسين أُمهم أُم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، و الحسن و أُمّه خولة بنت منصور الفزارية ، و عمر ، و أخوه القاسم ، و عبدالله أُمهم أُم ولد و استشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين بن علي بطف كربلاء ، و عبدالرحمان أُمه أُم ولد ،و الحسين الملقّب بالأشرم ، و أخوه طلحة ، و أُختهما فاطمة أُمهم أُم اسحاق بنت طلحة بن عبدالله ، و أُم عبدالله ، و فاطمة ، و أُم سلمة ، و رقية بنات الحسن لأُمهات أولاد شتى . قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من

---

١ - الصحيح انه صلّى عليه الامام الحسين عليه السلام لأنّ الامام لايصلّي عليه الا الامام .

٢ - نور الأبصار ص ١٣٦



أولاد الحسن عقب غير اثنين و هما الحسن و زيد[1] .

﴿ ٣ ﴾

﴿ الامام الثالث الحسين بن علي عليهما السلام ﴾

و هو الامام أبو عبدالله الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب سيد الشهداء عليهما السلام ، قال الشبلنجى :

﴿ فصل : في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ .

﴿ مولد الامام الحسين عليه السلام ﴾

(ولد) الحسين عليه السلام بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وكانت أُمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن عليه السلام بخمسين ليلة ، و هكذا صحّ النقل في ذلك .

(و حنّكه) صلى الله عليه وآله وسلم بريقه و أذّن في أُذنه و دعا له ، و سمّاه حسيناً يوم السابع و عقّ عنه بكبش ، و قال لأُمه احلقي رأسه و تصدّقي بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن .

---

١ - نور الأبصار ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(وكنيته) أبو عبدالله لاغير.

(و ألقابه) الرشيد، والطيّب، و الزكي، و الوفي، و السيد، و المبارك، و التابع لمرضاةالله، و السبط؛ و أشهرها الزكي؛ و أعلاها رتبة مالقّبه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عنه و عن أخيه: إنهما سيدا شباب أهل الجنة، وكذلك السبط فإنه صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «حسين سبط من الأسباط».

(وكان) الحسين عليه السلام أشبه الخلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من سرّته إلى كعبه.

(و معاصره) يزيد بن معاوية و عبيدالله بن زياد.

(و مروياته) من الأحاديث ثمانية.

[و هذه نبذةٌ من الأحاديث الواردة في حقّه].

(١) أخرج الحاكم و صحّحه عن يعلي العامري أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حسين مني و أنا من حسين اللّهم أحبّ من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

(٢) و روى ابن حبان و ابن سعد وأبو يعلي و ابن عساكر عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ـ و في لفظ ـ إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي».

(٣) و روى أبو الحسن بن الضحّاك عن أبي هريرة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمتصّ لعاب الحسين كما يمتصّ الرجل التمرة».

(٤) و روي عن جعفر الصادق بن محمد عليهما السلام قال: «اصطرع الحسن و حسين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [إيه] حسن، فقالت: فاطمة يارسول الله تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبريل يقول [إيه] حسين خذ الحسن».



(٥) و عن زيد بن أبي زيادة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي ، فقال ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني ».

(٦) و عن البراء بن عازب قال : « رأيت رسول الله حامل الحسين بن علي عليهما السلام على عاتقه و هو يقول : اللهم إني أُحبّه فأحبّه ».

(٧) و روى البخاري و الترمذي يرفعه إلى ابن عمر أنه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له : ممن أنت ؟ فقال : رجل من أهل العراق ، فقال : انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة و قد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول هما ريحانتاي من الدنيا.

(٨) و روت أُم الفضل بن العباس رضي الله عنهم قالت : « دخلت على رسول الله فقلت يارسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً قال و ما هو ؟ قلت رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري ، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً يكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين ، قالت فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فدخلت به عليه فوضعته في حجره ثم حانت به منّي التفاتة . فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تدمعان ، فقلت : بأبي و أُمي يارسول الله ما يبكيك ؟ قال : جاء جبريل عليه السلام فأخبرني أنّ أُمتي ستقتل ابني هذا و أتاني بتربة من تربة حمراء ».

(٩) و روى البغوي بسنده يرفعه إلى أُم سلمة أنها قالت : «كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الحسين معي فغفلت عنه فذهب الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فأخذه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و جعله على فخذه ، فقال له جبريل : أتحبّه يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : إن أُمتك ستقتله و إن شئت لأريتك تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى



الأرض و أراه أرضاً يقال لها كربلاء تربة حمراء بطفّ العراق ».

(١٠) و روى الحافظ عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى الأصبغ بن نباته عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : أتينا مع علي عليه السلام في سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال عليّ عليه السلام ههنا مناخ ركابهم و موضع رحالهم و مهراق دمائهم ، فئة من أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقتلون في هذه العرصة تبكي[١] عليهم السماء و الأرض »[٢].

﴿ فصل : في خروجه إلى العراق و استشهاده عليه السلام ﴾

قال أبو عمرو : لمّا مات معاوية في غرّة رجب سنة ستين و أفضت الخلافة إلى يزيد و وردت بيعته على وليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن علي و الى عبدالله بن الزبير ليلاً و أُتي بهما فقال : بايعا ، فقالا : مثلنا لا يبايع سراً فرجعا الى بيوتهما و خرجا من ليلتهما إلى مكة و ذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان و رمضان و شوّالاً و ذا القعدة و خرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عبدالبرّ[٣].

---

١ – قد ذكرنا سابقاً بكاء السماوات و الأرض عليه فراجع أحوال يزيد بن معاوية في هذا الكتاب .

٢ – **نور الأبصار** ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

٣ – **نور الأبصار** ص ١٤٠ .



﴿ شهادة مسلم بن عقيل ﴾

قال الشبلنجيُّ : (و في الفصول المهمة) لمّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية و امتناع الحسين و ابن عمر و ابن الزبير من البيعة و أنّ الحسين عليه السلام سار إلى مكة و نزل بها اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد بالكوفة و تذاكروا أمر الحسين عليه السلام و سيره إلى مكة ، و قالوا نكتب له كتاباً يأتينا الكوفة ، فكتبوا له كتاباً و أرسلوه مع القاصدين ، و صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ الى الحسين بن علي أميرالمؤمنين من شيعته و شيعة أبيه عليهما السلام [1] ، أما بعد فانّ الناس منتظروك لا رأى لهم في غيرك فالعجل العجل ياابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعل الله أن يجمعنا بك على الحق و يؤيّد الإسلام بك بعد أجزل السلام و أتمه عليك و رحمة الله و بركاته»

فكتب اليهم الحسين عليه السلام :

« أمّا بعد فقد وصلني كتابكم و فهمت ما اقتضته آراؤكم و قد بعثت إليكم أخي و ثقتي و ابن عمي مسلم بن عقيل و سأُقدم عليكم اثره إن شاء الله تعالى » .

و أرسل مسلم بن عقيل اليهم صحبة قاصديهم ، فلمّا وصل اليهم مسلم و دخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة و أخذ عليهم البيعة للحسين عليه السلام فبلغ ذلك والي الكوفة يومئذ و هو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية ، فجهّز يزيد على الفور

---

١ – و قد مضىٰ سابقاً معنى الشيعة فى مثل هذه الموارد من أنهم لم يكونوا من الشيعة المخلصين لعلي أمير المومنين عليه السلام و لا متبرّئين من مخالفيه كالشيعة في زماننا هذا ، بل انهم كانوا شيعة علي في قبال شيعة معاوية فكانوا منحرفين عن معاوية و أكثرهم موافقين للخلفاء الثلاثة .

عبيدالله بن زياد إلى الكوفة ، و لمّا قرب منها عبيدالله بن زياد تنكّر و دخلها ليلاً و أوهم أنه الحسين ، و دخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز ، فصار كلّما اجتاز بجماعة قاموا له و هم يظنون أنه الحسين ، و يقولون : مرحباً يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدمت خير مقدم و هو يكلّمهم و لمّا رأى تباشرهم بالحسين ساءه ذلك و انكشفت له أحوالهم .

ثم انه قصد قصر الامارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير و أصحابه أغلقوه عليهم ، و ذلك لظنّ النعمان بن بشير أنّ ابن زياد هو الحسين ، فصاح عليهم عبيدالله بن زياد افتحوا لابارك الله فيكم ، و لاكثرّ من أمثالكم ، فعرفوا صوته و قالوا ابن مرجانة ، فنزلوا و فتحوا له فدخل القصر و بات فيه .

و لمّا أصبح جمع الناس فصال و جال و قال و أطال و قتل جماعة من أهل الكوفة و تحيّل بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه و قتله و لم يقم الحسين عليه السلام بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة الا قليلاً حتى تجهّز للمسير في أثره فخرج و معه جميع أهله و ولده و خاصته و حاشيته ومن يليه[1] .

(و ساق الشبلنجي الكلام الى أن ذكر نزول الحسين عليه السلام بكربلاء فقال).

﴿ نزول الحسين عليه السلام بأرض كربلا ﴾

فنزل الحسين و حطّ بتلك الأرض التي أصبح بها و سأل عنها فقيل له هذه

١ – نور الأبصار ص ١٣٨ .



كربلاء و كان ذلك يوم الأربعاء الثامن[1] من المحرم سنة إحدى و ستين فقال عليه السلام : « هذه كربلاء موضع كرب و بلاء ، هذا مناخ ركابنا ، و محطّ رحالنا ، و مقتل رجالنا »

و كتب الحرّ إلى زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء ، فكتب عبيدالله بن زياد إلى الحسين كتاباً يقول فيه : « أمّا بعد فإنّ يزيد بن معاوية كتب إليّ أن لا تغمض جفنك من المنام ، و لا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله و السلام »

فلمّا ورد الكتاب على الحسين و قرأه ألقاه من يده و قال للرسول ماله عندي جواب .

فلمّا رجع الرسول إلى ابن زياد و أخبره بذلك اشتدّ غضبه و جمع الجموع ، و جهّز إليه العساكر ، و جعل على مقدمتها عمر بن سعد و كان والياً بالرّي[2] و أعمالها و استعفى من خروجه إلى قتال الحسين عليه السلام . و تقدّمه على العسكر ، فقال له ابن زياد : إمّا أن تخرج له أو تخرج من عملنا فخرج عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام .

و صار ابن زياد يمدّه بالجيوش شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل ما بين فارس و راجل و أول من خرج مع عمر بن سعد شمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة[3] .

---

١ - الصحيح أنه عليه السلام نزل كربلاء في ثاني المحرم و لعلّ الثامن تصحيف الثاني .

٢ - لم يكن والياً بالري بل أطمعه ابن زياد بذلك كما سيأتي عن قريب .

٣ - نور الأبصار ص ١٤٣ .



﴿ منع الحسين عليه السلام و أطفاله عن الماء ﴾

ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بشاطىء الفرات فحالوا بين الحسين و بين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين عليه السلام و على أصحابه و اشتد بهم العطش.

و كان مع الحسين رجل من أهل الزهد و الورع يقال له يزيد بن حصين الهمداني فقال للحسين ائذن لي يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأُكلّمه في الماء لعلّه أن يرتدع، فأذن فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد و كلّمه في الماء فامتنع و لم يجبه إلى ذلك، فقال له هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب و الدواب و تمنعه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أولاده و أهل بيته، و العترة الطاهرة يموتون عطشاً و قد حلت بينهم و بين الماء و تزعم أنك تعرف الله و رسوله؟

فأطرق عمر بن سعد ثم قال يا أخا همدان إني لأعلم ما تقول و أنشأ يقول:

دعاني عبيدالله من دون قومه	إلي خصلة فيها خرجت لحيني
فو الله ما أدرى و إني لواقف	على خطر لا أرتضيه و مين
أ آخذ ملك الري و الري بغيتي	و أرجع مطلوباً بدم الحسين
و في قتله النار التي ليس دونها	حجاب و ملك الري قرة عيني

ثم قال يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك ملك الري لغيري.

فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين و أخبره بمقالة ابن سعد.

فلمّا عرف الحسين ذلك منهم تيقّن أنّ القوم مقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق و جعلوا جهة واحدة يكون القتال منها.

﴿ هداية الحر بن يزيد و التحاقه بالحسين عليه السلام ﴾

ثم إنّ عسكر ابن زياد برزوا لمقاتلة الحسين عليه السلام و أصحابه [في يوم عاشوراء] و أحدقوا بهم من كل جانب و وضعوا السيوف في أصحاب الحسين و رموهم بالنبل و هم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين عليه السلام ما يزيد عن الخمسين ، فعند ذلك صاح الحسين عليه السلام أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إذا بالحرّ بن يزيد الرياحي المتقدم ذكره الذي كان عيناً على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكباً على فرسه ، و قال : « أنا يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كنت أوّل من خرج اليك عيناً و لم أظن أنّ الأمر يصل إلى هذا الحال و أنا الآن في حزبك و أنصارك أُقاتل بين يديك حتى أُقتل أرجو بذلك شفاعة جدك محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم »[1] .

فقاتل بين يديه حتى قُتل .

﴿ مقتل الحسين عليه السلام ﴾

فلمّا فنى أصحاب الحسين عليه السلام و قُتلوا جميعهم و بقي وحده حمل عليهم فقتل كثيراً من الرجال و الأبطال و رجع سالماً إلى موقفه عند الحريم .

ثم حمل عليهم حملةً أُخرى و أراد الكرّ راجعاً إلى موقفه فحال شمر بن ذي الجوشن بينه و بين الحريم في جماعة من أبطالهم و أحدقوا به ، ثم إنّ جماعة

---

١ - المصدر ، ص ١٤٤ .



آخرين تبادروا إلى الحريم و الأطفال يريدون سلبهم ، فصاح الحسين :

« ويحكم ياشيعة الشيطان كفّوا سفهاءكم عن الحريم و الأطفال فانهم لم يقاتلوكم » .

فقال شمر لأصحابه كفّوا عنهم و اقصدوا الرجل ، فلم يزل يقتتل هو و هم إلى أن أثخنوه جراحاً فسقط عن فرسه إلى الأرض و نزلوا و حزّوا رأسه .

(قيل) الذي قتله سنان بن أنس النخعي ، و قيل شمر بن ذي الجوشن و الصحيح المنقول عن السدي أنّ الذي قتله سنان و أرسل عمر بن سعد بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعي فلمّا وضع الرأس الشريف بين يدي عبيدالله ابن زياد قال :

املأ ركابي فضة و ذهبا	اني قتلت السيد المحجّبا
قتلت خير الناس أُمّاً و أبا	و خيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عبيدالله بن زياد و قال : إذا علمت ذلك فلم قتلته ؟ و الله لا نلت مني خيراً و لأُلحقنّك به ثم ضرب عنقه[1] .

(و قال ابن حجر) قُتل (مع الحسين بن علي عليهما السلام) من إخوته و بنيه و بني أخيه الحسن و من أولاد جعفر و عقيل تسعة عشر رجلاً ، و قيل أحد و عشرون .

قال الحسن البصري : ماكان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه[2] .

---

١ – المصدر .

٢ – **الصواعق المحرقة** ص ١١٨ .



﴿ رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد ﴾

و لمّا حمل رأسه لابن زياد جعله في طشت و جعل يضرب ثناياه بقضيب و يقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ان كان لحسن الثغر ، وكان عنده أنس فبكى و قال :كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه الترمذي و غيره .

و روى ابن أبي الدنيا : أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فو الله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبّل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي ، فقال ابن زياد : أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك ، فنهض و هو يقول :

« أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة و أمّرتم ابن مرجانة و الله ليقتلنّ خياركم و يستعبدنّ شراركم فبُعداً لمن رضي بالذلة و العار » .

ثم قال : يا ابن زياد لأُحدثنّك بما هو أغيظ عليك من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقعد حسناً على فخذه اليمنى و حسيناً على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال :

«اللهم إنّي استودعك إيّاهما و صالح المؤمنين » [1]

---

١ - و مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من « صالح المؤمنين » أميرالمؤمنين علي عليه السلام اشارةً الى ما ورد من لقبه في القرآن الكريم : ﴿ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فانّ الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين ﴾ (التحريم ٦٦ : ٤) ذكره كثير من علماء أهل السنة كالسيوطي في الدرّ المنثور (ج ٦ ص ٢٤٤) و المتّقي في كنز العمّال (ج ١ ص ٢٣٧) و ابن حجر في الصواعق (ص ١٤٤) و العسقلاني في فتح الباري (ج ١٣ ص ٢٧) و غيرهم.

فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندك يا ابن زياد !

و قد انتقم الله من ابن زياد هذا فقد صحّ عن الترمذي أنه لما جيء برأسه و نصب في المسجد مع رؤس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مّرتين أو ثلاثاً و كان نصبها في محل نصبه لرأس الحسين و فاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد[1] .

﴿ سبي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

و قال الشبلنجي : ثم إنّ القوم ساقوا الحريم و الأطفال كما تساق الأُسارى حتّى أتوا الكوفة فخرج الناس فجعلوا ينظرون اليهم و يبكون .

و كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول : « إنّ هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا ؟ »

فلمّا دخلوا بهم على عبيدالله بن زياد أرسل بهم و رأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن قيس ، و معه جماعة هو مقدمهم .

و أرسل بالنساء و الصبيان على أقتاب و معهم علي بن الحسين و قد جعل ابن زياد الغلّ في يده و عنقه ، و لم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة الى أن وصلوا الى الشام .

---

١ - الصواعق المحرقة ص ١١٨ .

﴿ رأس الحسين عليه السلام بين يدى يزيد ﴾

ثم انّهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد، وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال: ما أنا و هذا الاّ كما قال الحصين:

أبىٰ قومنا أن ينصفونا و أنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما

يفلقن هاماً من رؤس أعزّة علينا و هم كانوا أعق و أظلما

فقال أبو بردة الأسلمي، وكان حاضراً: أتنكت بقضيبك في ثغره، أما إنّي قد رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يرشفه، و رضيت يايزيد أن يجيء عبيدالله بن زياد شفيعك يوم القيامة، و يجيء هذا و محمد صلى الله عليه و آله و سلم شفيعه، ثم قام من المجلس، فقال يزيد: و الله لو انّي صاحبه ما قتلته[1].

(**أقول**) انّ قول يزيد « و الله لو انّي صاحبه ما قتلته » و أمثال ذلك من معاذيره التي كانت في نور الأبصار و حذفناها للاختصار، كل ذلك كذبٌ محض فهي إمّا اضافة من الرواة المحبّين ليزيد و الأعداء لأهل البيت عليهم السلام، أو انها صدرت (على فرض صحة نقلها) من يزيد مكراً و تبرءةً له من ملامة جماهير المسلمين الموجّهة اليه بعد قتل الحسين عليه السلام و أصحابه و أقاربه. و الدليل على كذب هذه المعاذير أُمورٌ:

الأول ـ كيف وقع قتل الحسين عليه السلام بلا رضا يزيد و انه نفسه أمر ابن زياد بذلك في رسالته القائلة: « لا تغمض جفنك من المنام، و لا تشبع بطنك من الطعام

---

١ - نور الأبصار ص ١٤٥.

إما أن يرجع الحسين الى حكمي أو تقتله و السلام »[1] .

الثاني ـ لمَ لم يقتصّ يزيد ابن زياد اذ أتى بهذه الجرائم الهائلة ، فانه قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و اسرته عطاشى .

الثالث ـ ما كان ذنب النساء و الأطفال حتى أُحضروا أمام يزيد مكبّلين حاسرين ؟ فهل عزّر يزيد ابن سميّة على هذا العمل الجنائي ؟

الرابع ـ كيف يتخلّص يزيد من هذا الإجرام و يحيله الى ابن سمية مع اعترافه بأنّ قواضبه التي تقطر دماً قتلت الحسين عليه السلام كما مضى في تمثّله بقول الحصين « قواضب في أيماننا تقطر الدما » و أقواله الأُخرى التي ذكرها المؤرّخون في غير هذا الكتاب (نور الأبصار) ، كتمثّله بقول ابن الزبعريّ :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جَزَع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا و استهلّوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تُشلّ

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... و عدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشمٌ بالملك فلا ... خبرٌ جاء و لا وحيٌ نزل

لست من خندفٍ ان لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[2]

الخامس ـ أنه اذا كان غير راض بقتل الحسين عليه السلام كيف تجاسر على رأسه الشريف ناكتاً ثناياه بقضيبه ، حتى لم يقدر بعض الصحابة على النظر الى هذا المنظر الفظيع .

(**و الخلاصة**) أنّ تبرءة يزيد عن قتل الحسين عليه السلام أو تبرير أفعاله كل ذلك

---

١ – قد مضىٰ ذكر هذه الرسالة قبيل صفحات فراجع .

٢ – مقتل الحسين عليه السلام **للخوارزمي** ج ٢ ص ٦٦ شرح **ابن أبي الحديد** ج ٣ ص ٣٨٣ .



طعام و بيل لا يقدر على هضمه أحد ، و حقيقة واضحة لا يسترها جحود من جحد ، و انّ يزيداً هو السبب الأصلي لهذه الجريمة ، بل المسئول عنها هو و أبوه معاوية حيث نصبه خليفته ، و المسئول عن معاوية : هما أبو بكر و عمر اللذان نصباه على حكومة الشام ، و عثمان بن عفان الذي قوّاه بالمال و العدّة و العدد ، و المسئول عن هؤلاء الثلاثة هي حادثة السقيفة ، و لهذا قيل : **قتل الحسين يوم السقيفة**[1] .

﴿ تأثير هذه الكارثة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

قال الشبلنجي : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت : يارسول الله ما هذا ؟ قال دم الحسين و صحبه أرفعه إلى الله عز و جل ، فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم و تلك الساعة رواه البيهقيّ[2] .

﴿ تأثير هذه الواقعة في أمير المؤمنين عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : حكى الشيخ نصرالله بن يحيى و كان من الثقات الخيّرين قال رأيت في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتمّ على ولدك الحسين بكربلاء منهم ما

---

١ - **كشف الغمّة** ج ١ ص ٥٠٥

٢ - **نور الأبصار** ص ١٤٦ .

يتمّ ؟

فقال لي كرّم الله وجهه : أتعرف أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنى ؟

فقلت : لا ، فقال : اذهب إليه و اسمعها منه .

فاستيقظت من نومي مفكّراً ثم إني ذهبت إلى دار ابن الصيفي و هو الحيص بيص الشاعر الملقّب بشهاب الدين ، فطرقت عليه الباب ، فخرج إليّ فقصصت عليه الرؤيا فشهق و أجهش بالبكاء و حلف بالله ان سمعها مني أحد و ان أكون نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشد لي :

ملكنا فكان العفو منّا سجيةً فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح

و حلّلتم قتل الأُسارى و طالما غدونا على الأسرى فنعفو و نصفح

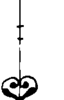
و حسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

أورد ذلك الشيخ نورالدين بن علي بن محمّد الصبّاغ المالكي المكيّ المتوفّى سنة خمس و خمسين و ثمانمأة في كتابه (الفصول المهمّة)[١] .

﴿ تأثير هذه المصيبة في العالم ﴾

قال الشبلنجي : و سُمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم و غيره ؛ و ذكر غير واحد أنهم لمّا ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا في الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه :

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب



---

١ – المصدر .



و في الخطط للمقريزي ما نصّه : لمّا قتل الحسين بكت السّماء و بكاؤها حمرتها ؛ و عن عطاء في قوله تعالى **﴿فما بكت عليهم السّماء و الأرض﴾**[1] قال : بكاؤها حمرة أطرافها ؛ و عن الزُّهري : بلغني أنه لم يقلب حجرٌ من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط ، و يقال انّ الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثاً و أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها و طبخوها فصارت مثل العلقم و ما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً . و روي أنّ السماء أمطرت دماً فأصبح كل شيء لهم مملوءاً دماً انتهى[2] .

(أقول) و قد مضى شطرٌ منه في أحوال يزيد بن معاوية فراجع .

﴿ عذاب قتلة الحسين عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : عن الزُّهريّ أنه لم يبق أحدٌ ممن قتل الحسين إلا عوقب في الدنيا قبل الآخرة ، إمّا بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة .

و روى سبط ابن الجوزي : أنّ شيخاً حضر قتله فقط ، فعمي فسُئل عن سببه ، فقال رأيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم حاسراً عن ذراعيه ، و بيده سيف و بين يديه نطع و عليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ، ثم لعنني و سبّني ثم أكحلني بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى .

---

١ - **الدخان** ٤٤ : ٢٩ .

٢ - نور الأبصار ص ١٤٧ .

و أخرج أيضاً أنّ شخصاً علق رأس الحسين في لبب فرسه فرؤي بعد أيام و وجهه أشدّ سواداً من القار، و مات على أقبح حالة.

و يقال إنّ رجلاً أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته[1].

و عن ابن عباس قال: « أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إني قتلت بيحيىٰ بن زكريّا سبعين ألفاً و إنّي قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً و سبعين ألفاً » قال الحافظ ابن حجر ورد عن علي عليه السلام عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا.

قال الجلال السيوطي في المحاضرات و المحاورات: حصل بالكوفة جدريٌّ في بعض السنين عمي فيه ألف و خمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين عليه السلام[2].

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

١ ـ حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا النعم فتعود نقماً.

٢ ـ صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن ردّه.

٣ ـ من جاد ساد و من بخل ذلّ.

٤ ـ انّ أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، و أعفىٰ الناس من عفا عن قدرة، و انّ أوصل الناس من وصل من قطعه.

---

١ – المصدر.

٢ – نور الأبصار ص ١٥٢.

٥ ـ من أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته و صرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، و من نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة، و من أحسن أحسن الله اليه و الله يحب المحسنين [1].

﴿ من كلامه عليه السلام المنظوم ﴾

و هو ما نقله الشبلنجيُّ عن ابن غنم صاب كتاب الفتوح، و هو أنه عليه السلام لمّا أحاطت به جموع ابن زياد و قتلوا من قتلوا من أصحابه و منعوهم الماء و أصاب ولده الصغير سهم فقتله فزمّله و حفر له بسيفه و صلّى عليه و دفنه قال عليه السلام:

غدر القوم و قد مارغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين

قتلوا قدماً علياً و ابنه ... حسن الخير كريم الأبوين

حسداً منهم و قالوا أقبلوا ... نقتل الآن جميعاً الحسين

خيرة الله من الخلق أبي ... ثم أُمي فأنا ابن الخيرتين

فضةٌ قد صفيت من ذهب ... فأنا الفضة و ابن الذهبين

من له جدّ كجدّي في الورى ... و كشيخي فأنا ابن القمرين

فاطم الزهراء أُمي و أبي ... قاصم الكفر ببدر و حنين

و من كلامه عليه السلام:

فان تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فإنّ ثواب الله أعلى و أنبل

---

١ ـ المصدر.

و ان يك لابد من الموت للفتى ... فقتل امرىء في الله بالسيف أجمل

و ان تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الكسب يجمل

و إن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

و قال عليه السلام :

إذا ما عضّك الدهر ... فلا تجنح إلى الخلق

و لا تسأل سوى الله ... المغيث العالم الحقّ

فلو عشت و قد طفـ ... ـت من الغرب إلى الشرق

لما صادفت من يقـ ... ـدر أن يسعد أو يشقى[١]

﴿ ذكر أولاده عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : قال صاحب الإرشاد : أولاد الحسين بن علي ستة علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد و لقبه زين العابدبن و أمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس ، و علي بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف ، و أُمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، و جعفر بن الحسين ، و أُمه قضاعة مات في حياة أبيه و لا نسل له ، و عبدالله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم و هو

---

١ - نور الأبصار ص ١٥٣ .

بكربلاء فقتله ، و سكينة بنت الحسين أُمها الرباب بنت امرىء القيس بن عدن الكلبيّة و هي أيضاً أُم عبدالله بن الحسين ، و فاطمة أُمها أُم إسحق بنت طلحة بن عبدالله تيمية انتهى و الذي أعقب منهم علي زين العابدين .

(و في بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب) للشيخ جمال الدين الطاهر حسين بن عبدالرحمان الأهدل ما نصّه :

وكان له يعني للحسين عليه السلام من الولد ست بنين و ثلاث بنات و هم علي الأكبر و أمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، و علي الأوسط ، و عبدالله ، و علي الأصغر زين العابدين ، و منهم من يزعم أنه الأكبر ، و محمد ، و جعفر ، و زينب ، و سكينة ، و فاطمة ؛ فأمّا محمد و جعفر فماتا في حياة أبيهما ، و أما علي الأكبر و عبدالله فاستشهدا مع أبيهما بالطف ، و علي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى .

و المعقّب من ولد الحسين زين العابدين عليه السلام باتفاق فلم يكن على وجه الأرض حسيني إلا من نسله[1] .

﴿ تاريخ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : (وكان) اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى و ستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمساً و خمسين سنة وقيل غير ذلك .

---

١ - نور الأبصار ص ١٥٢ .

و وجد به ثلاث و ثلاثون ضربة .

قال ابن الصبّاغ : و دفن بأرض كربلاء بالعراق و مشهده عليه السلام بها معروف يزار من جميع الآفاق .

و كانت عدة القتلى التي حملت رؤسها إلى عبيدالله بن زياد صحبة رأس الحسين عليه السلام سبعين انتهى[1] .

﴿ ٤ ﴾

﴿ الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ﴾

و هو الامام أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام .

قال الشبلنجي : قال الإمام مالك : سمّي زين العابدين لكثرة عبادته و هو الإمام الرابع على مذهب الإمامية .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) زين العابدين عليه السلام بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان و ثلاثين في أيام جدّه علي بن أبي طالب قبل وفاته بسنتين .

(وكنيته) المشهورة أبو الحسن و قيل أبو محمد .

---

١ – نور الأبصار ص ١٤٧ .



(و ألقابه) كثيرة أشهرها زين العابدين ، و سيد العابدين ، و الزكي ، و الأمين ، و ذو الثفنات .

(و صفته) أصفر قصير نحيف .

(شاعره) الفرزدق و كثيرعزّة .

(بوّابه) أبو جبلة .

(نقش خاتمه) و ما توفيقي إلا بالله .

(و معاصره) مروان و عبدالملك و الوليد ابنه .

(و أُمه) سلافة و لقبها شاه زنان كلمة فارسية ، معناها ملكة النساء ، و هي بنت يزدجرد ولد أنو شروان العادل ملك الفرس .

ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لمّا أُتي بسبي فارس في خلافة عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا و أمر عمر ببيع بنات يزدجرد فقال له علي عليه‌السلام إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ ، قال كيف الطريق إلى العمل معهن ؟

قال تقوّمهن و مهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهنّ فقومهنّ فأخذهنّ علي بن أبي طالب عليه‌السلام فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له علياً زين العابدين ، و واحدة لعبدالله بن عمر فولدت له سالماً و واحدة لمحمد ابن أبي بكر فولدت له القاسم ، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى .

و كان علي زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يقتل قاله ابن عمر هذا هو الصحيح ، و ليس قول من قال إنه كان صغيراً حينئذ فلم يقتل ، بشيء.

روى الحديث عن أبيه و عمه الحسن و جابر و ابن عباس و المسور بن مخرمة و أبي هريرة و صفية و عائشة و أُم سلمة أُمهات المؤمنين قال الزهري و ابن

عيينة ما رأينا قرشياً أفضل منه ، و قال الزهري ما رأيت أفقه منه ، و قال ابن المسيب ما رأيت أورع منه .

﴿ **و مناقبه** عليه السلام ﴾ كثيرة . فعن سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له : إنّ فلانا قد وقع فيك بحضوري ، فقال له : انطلق بنا إليه ، فانطلق معه و هو يرىٰ أنه سينتصر لنفسه منه ، فلمّا أتاه قال له ياهذا إن كان ما قلته فيّ حقاً فأنا أسأل الله أن يغفر لي ، و إن كان ما قلت فيّ باطلاً فالله تعالى يغفره لك ثم ولي عنه .

و عن أبي حمزة قال كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم و الليلة ألف ركعة .

و كان عليه السلام إذا توضّأ للصلاة يصفرّ لونه فقيل له ماهذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أما تدرون من أُريد أن أقف بين يديه ! .

و عن طاؤوس قال : دخلت الحجر في الليل ، فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ، ثم سجد سجدة فأطالها ، فقلت : رجلٌ صالحٌ من بيت النبوة لأُصغينّ إليه ، فسمعته يقول :

عُبَيدُكَ بِفِنَائِكَ ، مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ ، سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ .

قال طاؤوس فو الله ما طلبت و دعوت بهنّ في كرب إلا فرّج الله عنيّ .

﴿ **فائدة استطرادية** ﴾ عن علي بن أبي طالب عليه السلام كان إذا أهمّه أمرٌ يرفع يديه إلى السّماء ثم يقول :

ياكٓهيٰعٓصٓ أعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الّتِي تُزيْلُ بِهَا النِّعَم ، وَ أعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بِهَا تُحِلُّ النِّقَمَ ، و أعوُذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الّتِي بِهَا تُثِيرُ الأَعْدَاءَ ، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الّتِيْ بِهَا تَحْبِسُ غَيْثَ السَّمَاءِ .

و هو دعاء مجرّب عند الكرب (انتهى من كتاب قرة العين في مقتل الحسين) .

(قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السّر إلا بعد موت علي بن الحسين .

(و قال) محمد بن إسحاق كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم و مآكلهم فلمّا مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ماكانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم .

(و كان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدّق به فلمّا غسّلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره ، فقيل ما هذا ؟ فقالوا :كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . و لمّا مات عليه السلام وجدوه كان يقوّت أهل مائة بيت .

قال سفيان : أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أُخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرّة فلمّا نزل فرّقها على المساكين .

و كان عليه السلام إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه .

قال المناوي دخل على علي زين العابدين عليه السلام في مرض موته محمد بن أُسامة بن زيد يبكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال له : علي دين خمسة عشر ألف دينار ، فقال : هي عليّ و وفاها عليه السلام .

(ويروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعودونه فقالوا :كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدتك أنفسنا ، قال : في عافية و الله المحمود على ذلك ، فكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ قالوا : أصبحنا و الله لك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبّين وادّين فقال لهم : من أحبّنا لله أسكنه الله في ظلّ ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلّه ، و من أحبّنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنّا الجنة ، و



من أحبّنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب[١].

[نادرة]

قال في درر الأصداف إنه أي علياً زين العابدين عليه السلام خرج يوماً من المسجد فلقيه رجلٌ فسبّه و بالغ في سبّه و أفرط ، فعاد إليه العبيد و الموالى فكفّهم عنه ، و أقبل عليه ، و قال له : ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى إليه خميصة[٢] و ألقى إليه خمسة آلاف درهم ، فقال : أشهد أنّك من أولاد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

و لقيه رجلٌ فسبّه فقال له : يا هذا بيني و بين جهنم عَقَبةٌ إن أناجزتها فما أُبالي بما قلت ، و إن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول[٣].

﴿ الامام زين العابدين عليه السلام و قصيدة الفرزدق ﴾

(و نقل غير واحد) أنّ هشام بن عبدالملك حجّ في حياة أبيه فطاف بالبيت و جهد ان يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزّحام ، فنُصب له منبر إلى جانب زمزم فى الحطيم و جلس عليه ينظر إليه الناس ، و حوله جماعة من أهل الشام .

---

١ – نور الأبصار ص ١٥٤ .

٢ – الخميصة : الثوب .

٣ – المصدر .



فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يريد الطواف ، فلمّا انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى الناس له حتى استلم الحجر الأسود .

فقال رجلٌ من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً و شمالاً ؟

فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً فقال للشّامي أنا أعرفه ، فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء و طأته ... و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام و العجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يُغضي حياء و يغضىٰ من مهابته ... فلا يُكلّم إلا حين يبتسم

من جدّه دان فضل الأنبياء له ... و فضل أُمّته دانت له الأُمم

ينشقّ نور الهدى من نور غرّته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم

مشتقّة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره و الخيم و الشيم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا

الله فضّله قدماً و شرّفه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

و ليس قولك من هذا بضائره ... العُرب تعرف من أنكرت و العجم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... يستوكفان و لا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق و الكرم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

مـــا قـــال لا قـطّ الا فـــي تشــهده ... لولا التشــــهد كـــانت لاؤه نـــعم
لا يـــخلف الوعــد مــيمون نــقيبته ... رحب الفــــناء أريب حــين يــعترم
عـــمّ البـرية بـالاحسان فـانفصلت ... عـــنه القـتارة و الامـلاق و العـدم
مـــن مـــعشر حـبّهم ديـنٌ و بـغضهم ... كـــفرٌ و قـــربهم مـنجٍ و مـعتصم
إن عُـدّ أهــل التـقى كـانوا أئـمتهم ... أو قيل مَن خير أهل الأرض قيل هـمو
لا يســـتطيع جــواد بـعد غـايتهم ... و لا يـــدانـــيهمو قـــوم و ان كـــرموا
هـــم الغـيوث إذا مـا أزمـة أزمت ... و الأسد أُسد الشرى و البأس مـحتدم
لا يـنقص العسر بسطاً من أكـفّهم ... سـيّان ذلك إن أثـروا و إن عــدموا
يسـتدفع السـوء و البـلوى بـحبّهم ... و يســـتزاد بــه الإحســان و النــعم
مـــقدّم بـــعد ذكـــر الله ذكـرهم ... فـــي كـل بـدء و مـختوم بـه الكـلم
يأبـى لهـم أن يـحلّ الذم ساحتهم ... خـيم كـريم و أيـد بـالندى عـصم
أي الخـــلائق ليست فـــي رقـابهم ... لأوليـــــة هـــــذا أوله نــــعم
مـــن يـعرف الله يـعرف أوليـة ذا ... و الديـن من بيت هـذا نـاله الأُمم

فلمّا سمع هشام هذه القصيدة غضب، ثم أخذ الفرزدق و سجنه بعسفان، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردّها و كتب إليه إنمّا مدحتك بما أنت أهله، فردّها عليه عليه السلام و كتب اليه أن خذها و تعاون بـها عـلى دهرك فإنّا أهل بيت إذا و هبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها منه.

و في روايـة فبعث إليـه بـاثني عشـر ألف درهـم، و فـي روايـة بـعشرة آلاف درهـم، و قـال اعـذرنا يـا أبـافراس فـلو كـان عـندنا أكـثر مـن هـذا لوصلناك به.

و جعل الفرزدق يهجو هشاماً و هو في السجن فبعث و أخرجه. و من هجوه



كما ذكره الخطيب البغدادي و غيره من قصيدة طويلة :

أيحبسني بين المدينة و التي اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد و عين له حولاء باد عيوبها

قال الشيخ عبدالجواد الشربيني في كتاب درر الأصداف في مناقب الأشراف كان علي بن الحسين عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار إلى ذلك في قوله عليه السلام :

يارُبّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
و لا ستحلّ رجالٌ صالحون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

﴿ **شهادته عليه السلام** ﴾

(توفي) علي زين العابدين عليه السلام في ثاني عشر المحرم سنة أربع و تسعين من الهجرة و كان عمره اذ ذاك سبعاً و خمسين سنة .

قال ابن الصباغ المالكي المكي : يقال إنه مات مسموماً و أنّ الذي سمه الوليد بن عبدالملك .

و دُفن بالبقيع عند القبر الذي دفن فيه عمّه الحسن بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها العباس بن عبدالمطلب[1] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٥٦ .

﴿ و أولاده عليه السلام ﴾

خمسة عشر ولداً ما بين ذكر و أُنثى ، أحد عشر ذكراً و أربع إناث ، و هم : محمد المكنىٰ بأبي جعفر الملقّب بالباقر أُمّه أُم عبدالله بنت الحسن بن علي عم زين العابدين ، و زيد ، و عمر ، أُمهما أُم ولد ، و عبدالله ، و الحسن ، و الحسين ، أُمهم أُم ولد ، و الحسين الأصغر ، و عبدالرحمان ، و سليمان أُمهم أُم ولد ، و علي ، و كان أصغر ولد علي بن الحسين ، و خديجة أُمهما أُم ولد ، و فاطمة و علية ، و أُم كلثوم ، أُمهنّ أُم ولد فهؤلاء أولاده رضي الله عنهم أجمعين (انتهى من الفصول المهمة) لكن سقط منهم واحدٌ لأنّ المعدود في عبارته عشرةٌ و قد قال من الذكور أحد عشر ذكرا . هذا و في بغية الطالب أنّ أولاد علي زين العابدين الذكور عشرة فقط و الله أعلم .

[**و من كلامه**] عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرّته و لا يحتمي من الذنب لمعرّته .

و قال : من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس و كان يتصدّق سرّاً و يقول : صدقة السر تطفيء غضب الرّب .

[**موعظة**] قال أبو حمزة الثمالي : أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أُنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلّمت عليه و دعوت له ، فردّ علي ثم انتهى بي إلى حائط فقال : يا أبا حمزة ألا تنظر إلى هذا الحائط ؟

قلت : بلى ياسيدي ، قال : فاني متكيء عليه و أنا حزين مفكر إذ دخل عليّ رجل حسن الثياب ، طيّب الرائحة ثم نظر في وجهي و قال ياعلي بن الحسين أراك كئيباً حزيناً على الدنيا فهو رزقٌ حاضرٌ يأكل منه البارّ و الفاجر .

فقلت : ما عليها أحزن و انه كما تقول ، قال : فعلام حزنك ؟



قلت : أتخوّف من فتنة ابن الزبير .

قال : فضحك ثم قال ياعلي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه ؟

قلت : لا ، قال : يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟

قلت : لا ، ثم نظرت فاذا ليس قدامي أحدٌ فعجبت من ذلك و إذا بقائل أسمع صوته و لا أرى شخصه يقول ياعلي بن الحسين هذا الخضر ناجاك كذا في الفصول المهمة[1] .

(أقول) هذا على مذاق العامّة ، و الّا فانّ اعتقاد الشيعة أنّ الامام أكثر علماً من الأنبياء ما سوى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ ٥ ﴾

﴿ الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليهما السلام ﴾

هو الامام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام ، قال المناوي في طبقاته سمّي باقراً لأنه بقر العلم أي شقّه فعرف أصله .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع و خمسين من الهجرة

---

١ - نور الأبصار ص ١٥٧ .

قبل قتل جدّه الحسين بثلاثة سنين .

(وكنيته) أبو جعفر لا غير .

(وألقابه) ثلاثة : الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر .

(روي) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال : «كنّا عند جابر بن عبدالله رضي الله عنهما فأتاه علي بن الحسين عليه السلام ومعه ابنه محمد وهو صبيّ ، فقال علي لابنه محمد : قبّل رأس عمّك ، فدنا محمد من جابر فقبّل رأسه ، فقال جابر من هذا ؟ وكان قد كُفّ بصره فقال له علي بن الحسين : هذا ابني محمد ، فضمّه جابر اليه ، وقال يامحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقرئك السلام .

فقالوا : كيف ذلك يا أبا عبدالله ؟

قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال : ياجابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي فاذاكان يوم القيامة ينادي مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ، ويولد لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد ، ياجابر ! إن أدركته فأقرئه منّي السلام ، وإن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك بعده قليل » فلم يعش جابر رضي الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام .

(وروي) أنّ محمدا الباقر بن علي سأل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما لمّا دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي عليه السلام .

فقال له جابر : دخلت عليها يوماً وقلت لها ما تقولين في علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فأطرقت رأسها ثم رفعته وقالت :

إذا ما التبر حكّ على محكّ ... تبين غشّه من غير شكّ

وفينا الغشّ ، والذهب المصفى ... عليّ بيننا شبه المحكّ

(وأُم محمد الباقر) أُم عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فهو

هاشمي من هاشميين، وعلوي من علويين.

(نقش خاتمه) ربّ لا تذرني فرداً.

(و نقل الثعلبي) في تفسيره أنّ الباقر نقش في خاتمه هذه الكلمات:

ظنّي بالله حسن و بالنبي المؤتمن

و بالوصيّ ذي المنن و بالحسين و الحسن

(و معاصره) الوليد و أولاده يزيد و إبراهيم.

(صفته) أسمر معتدل.

(و شاعره) الكميت و السيد الحميري.

(وبوّابه) جابر الجعفي.

(قال صاحب الإرشاد) لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام من علم الدين و السنن و علم القرآن و السير و فنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر، روىٰ معالم الدين عن بقايا الصحابة و وجوه التابعين.

و سارت بذكر علومه الأخبار و أنشدت في مدائحه الأشعار فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها:

إذا طلب الناس علم القرآ ن كانت قريش عليه عيالا

و إن فاه ابن بنية النبي تلقف يداك فروعاً طوالا

و فيه يقول الرضي:

ياباقر العلم لأهل التقى و خير من لبّى على الأجبل

[و مناقبه عليه السلام كثيرة مشهورة] حكى مولاه أفلح قال: حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلمّا دخل المسجد و نظر البيت بكى.

فقلت: بأبي أنت و أمي إنّ الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلاً.

فقال : و يحك يا أفلح ! و لم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها غداً .

ثم طاف بالبيت و جاء حتى ركع خلف المقام فلمّا فرغ إذا موضع سجوده مبتلّ من دموع عينيه .

(و روى) عنه ابنه جعفر عليه السلام ، قال :كان أبي يقول في جوف الليل في تضرّعه :

« أَمَرْتَنِي فَلَمْ أئْتَمِرْ ، وَ نَهَيْتَنِي فَلَمْ أ نْزَجِرْ ، فَهَا أَنَا عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، مُقِرٌّ لَا أعْتَذِرْ » .

قال خالد بن الهيثم : قال أبو جعفر محمد الباقر :

« ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار ، فإن سالت على الخدّين دموعه لم يرهق وجهه قترٌ و لا ذلةٌ ، و ما من شيء إلا و له جزاءٌ إلا الدمعة فإنّ الله تعالى يكفّر بها بحوراً من الخطايا ، و لو أنّ باكياً يبكي في أُمّةٍ لحرّم الله تلك الأُمّة على النار » .

﴿فائدتان : الأولى ﴾ روى الزهريُّ قال حجّ هشام بن عبدالملك فدخل المسجد الحرام متوكئاً على سالم مولاه ، و محمد بن علي في المسجد .

فقال له سالم : يا أميرالمؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق ، فقال اذهب إليه و قل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكله الناس و يشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فقال له قل : يحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون و يشربون منها حتى يفرغوا من الحساب .

قال : فلمّا سمع هشام ذلك رأى أ نّه قد ظفر به فقال : الله أكبر ارجع إليه فقل له



ما أشغلهم عن الأكل و الشرب يومئذ ؟

فقال محمد : قل له هم في النار و لم يشغلوا أن قالوا : ﴿ **أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله** ﴾[١] فسكت هشام و لم يرجع كلاماً .

[**الثانية**] و روى أنّ العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام يمتحنه ، فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾[٢] ما هذا الرتق و الفتق ؟

فقال له أبو جعفر محمد عليه السلام :كانت السّماء رتقاً لا تنزل مطراً وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتقهما بنزول المطر و خروج النبات .

فسكت أبو عمرو و لم يجد اعتراضاً ثم سأله عن قوله تعالى ﴿ **و من يحلل عليه غضبي فقد هوى** ﴾[٣] ما غضب الله تعالى ؟

فقال : طرده و عقابه يا أبا عمرو و من ظنّ أنّ الله يغيّره شيء فقد كفر .

(و سئل) عن قوله تعالى ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾[٤] فقال : بصبرهم على الفقر و مصائب الدينا .

حكت سلمى مولاة أبى جعفر عليه السلام : أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب ، و يكسوهم في بعض الأحيان ، و يعطيهم الدراهم ، قالت : فكنت أُكلّمه فى ذلك لكثرة عياله و توسط حاله ، فيقول : ياسلمى ! ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان و المعارف ، فكان يصل بخمس مائة درهم

---

١ - **الأعراف** ٧ : ٥٠ .

٢ - **الأنبياء** ٢١ : ٣٠ .

٣ - **طه** ٢٠ : ٨١ .

٤ - **الفرقان** ٢٥ : ٧٥ .

و بست مائة إلى ألف درهم .

﴿كرامة﴾ قال أبو بصير : قلت يوماً للباقر عليه السلام أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارث الأنبياء جميعهم ؟ قال : وارث جميع علومهم ، قلت : و أنتم ورثتم جميع علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : فأنتم تقدرون أن تُحيوا الموتى و تبرئوا الأكمه و الأبرص و تخبروا الناس بما يأكلون و ما يدّخرون في بيوتهم ؟ قال نعم ، نفعل ذلك بأذن الله تعالى .

ثم قال ادن مني يا أبابصير ! وكان أبو بصير مكفوف النظر ، قال : فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السّماء و الجبل و الأرض ، فقال : أتحبّ أن تكون هكذا تبصر و حسابك على الله ، أو تكون كما كنت و لك الجنة ؟

قلت : الجنة ، فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت .

﴿كرامتان : الأولى ﴾ عن جعفر الصادق عليه السلام قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه الى الأرض ثم رفعه فقال : ياقوم كيف أنتم اذا جاءكم رجلٌ يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية ، فيقتل مقاتلكم ، و تلقون منه بلاء لا تقدرون عليه و لا على دفعه و ذلك من قابل ، فخذوا حذركم و اعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد منه .

فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه و قالوا لا يكون هذا أبداً ، فلمّا كان من قابل تحمّل أبو جعفر من المدينة بعياله هو و جماعة من بني هاشم و خرجوا منها ، فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف و استباحها ثلاثة أيام ، و قتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون و كان الأمر على ما قال .

[الثانية] من كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام فمرّ بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر أما رأيت



هذا ليخرجنّ بالكوفة و ليقتلن و ليطافن برأسه فكان كما قال[1] .

[**و من كلامه** عليه السلام] :

ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قلّ أو كثر .

و قال عليه السلام : سلاح اللئام قبيح الكلام .

و كان يقول : و الله لموت عالم أحبّ إلى الشيطان من موت سبعين عابداً .

و قال عليه السلام شيعتنا من أطاع الله .

[**موعظة**] قال جابر الجعفي قال لي محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام ياجابر ! إني لمشتغل القلب ، قلت : و ما يشغل قلبك ؟

قال : ياجابر ! إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عمّا سواه .

يا جابر ! ما الدنيا و ما عسى أن تكون هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها .

ياجابر ! إنّ المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدينا لزوالها ، و لم يأمنوا الآخرة لأهوالها ، و إنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنةً ، و أكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكّروك ، و إن ذكرت أعانوك ، أليسوا قوّالين لحق الله قائمين بأمر الله ، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به و ارتحلت منه ، و كمال أصبته في منامك ثم استيقظت و ليس معك منه شيء .

و احفظ الله فيما استرعاك من دينه و حكمته .

(و قال عليه السلام) الغنى و الفقر يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطناه .

---

١ - نور الأبصار ض ١٥٩ .

[و من كلامه عليه السلام] الصواعق تصيب المؤمن و غيره و لا تصيب ذاكر الله عز و جل .

(و قال عليه السلام) ما من عبادة أفضل من عفة بطن و فرج .

(و قال عليه السلام) بئس الأخ يرعاك غنياً و يقطعك فقيراً .

(و قال لابنه) يابني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، و إذا أحزنك أمر فقل : لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و إذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله .

(و قال عليه السلام) اعرف المودّة في قلب أخيك بما له في قلبك .

و في كتاب نثر الدرر لأبي سعيد منصور بن الحسين إنّ محمد بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق عليهما السلام : يابني إنّ الله خبأ ثلاثة أشياء فى ثلاثة أشياء : خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرنّ من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه ، و خبأ سخطه في معصيته ، فلا تحقرنّ من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه ، و خبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرنّ أحداً فلعله ذلك الولي[1] .

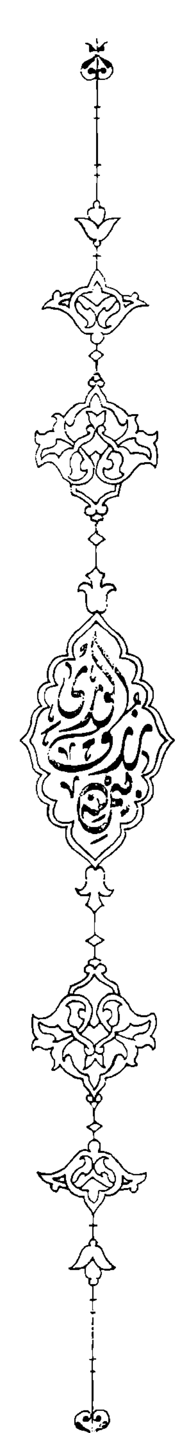
﴿ تتمة ﴾ في الكلام على وفاته و أولاده عليه السلام (مات) أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام سنة سبع عشرة و مائة و له من العمر ثلاث و ستون سنة ، و قيل ثمان و خمسون ، و قيل غير ذلك ، و أوصى أن يكفّن في قميصه الذي كان يصلي فيه .

و في درر الأصداف مات مسموماً كأبيه و دفن بقبة العباس بالبقيع . و مثله في الفصول المهمة .

عن ابنه جعفر الصادق عليه السلام قال : كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله و تكفينه و دفنه و دخول القبر ، قال فقلت : يا أبت و الله

---

١ – نور الأبصار ص ١٦٠ .



ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم و لا أرى عليك أثر الموت .

فقال يابني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد عجّل .

[**و أولاده** عليه السلام] ستة و قيل سبعة و هم أبو عبدالله جعفر الصادق ـ و كان يكنّى به ـ و عبدالله أُمهما أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، و إبراهيم ، و عبدالله و اُمهما اُم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفيّة ، و علي ، و زينب ، لاُم ولد نقله صاحب الإرشاد[1] .

﴿ ٦ ﴾

﴿ الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ﴾

هو الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، قال الشبلنجي في وصفه : ﴿ ذكر مناقب سيدنا جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن علي بن طالب عليهم السلام ﴾ .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(**ولد**) جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة ، و قيل سنة ثلاث و

---

١ - نور الأبصار ص ١٥٩ .

ثمانين قال بعضهم و الأول أصحّ .

و أُمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر و أُم القاسم أسماء بنت عبدالرحمان بن أبي بكر .

(**كنيته**) أبو عبدالله ، و قيل أبو إسماعيل .

(**و ألقابه**) ثلاثة الصادق و الفاضل و الطاهر ، و أشهرها الصادق .

(**صفته**) معتدل آدم اللون .

(**و شاعره**) السيد الحميري .

(**و بوّابه**) المفضّل ابن عمرو .

(**نقش خاتمة**) ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله .

(**و معاصره**) أبو جعفر المنصور .

(**و مناقبه عليه‌السلام كثيرة**) تكاد تفوت عدّ الحاسب ، و يحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب .

قال أبو حاتم : جعفر الصادق عليه‌السلام ثقة لا يسئل عن مثله .

(قال) ابن أبي حازم : كنت عند جعفر الصادق عليه‌السلام يوماً إذا سفيان الثوري بالباب ، فقال ائذن له ، فدخل فقال له جعفر : يا سفيان ! إنّك رجلٌ يطلبك السلطان في بعض الأحيان و تحضر عنده و أنا أتّقي السلطان فاخرج عنّي غير مطرود .

فقال سفيان : حدّثني حديثاً أسمعه منك و أقوم .

فقال : حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال : « من أنعم الله عليه فليحمد الله ، و من استبطأ الرزق فليستغفر الله ، و من حزنه أمرٌ فليقل : لا حول و لا قوة إلا بالله » فلمّا قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاثاً و أي ثلاث .



و في (حياة الحيوان الكبرى) قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب : و كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة ، و إلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّيّ بقوله :

لقد عجبوا لآل البيت لمّا ... أتاهم علمهم في جلد جفر

و مرآة المنجم و هي صغرى ... تريه كل عامرة و قفر

و الجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر و انفصل عن اُمه .

و في (الفصول المهمة) نقل بعض أهل العلم أنّ كتاب الجفر الذي بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي من كلام جعفر الصادق عليه السلام و له فيه المنقبة السنية ، و الدرجة التي في مقام الفضل علية .

(و كان) جعفرالصادق عليه السلام مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئاً لا يتمّ قوله إلا و هو بين يديه[1] .

﴿ الامام الصادق عليه السلام و جابر بن حيّان ﴾

قال ابن خلكان : أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمدالباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : أحد الإئمة الاثنا عشر على مذهب الامامية ، و كان من سادات أهل البيت عليهم السلام ، و لُقّب بالصادق لصدق مقالته[2] و فضله أشهر من أن يذكر ، و له كلامٌ في صنعة الكيمياء و الزجر و الفأل .

١ - نور الأبصار ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

٢ - أليس من العجب العجاب أنّ الامام الصادق عليه السلام الذي يسمّيه العامّة و الخاصّة جميعاً، صادقً



وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصّوفي الطرطوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، و هي خمسمائة رسالة[١] .

و قال ابن حجر : نقل الناس عنه (أي جعفر الصادق عليه السلام) من العلوم ما سارت به الركبان ، و انتشر صيته في جميع البلدان ، و روى عنه الائمة الأكابر كيحيى بن سعيد ، و ابن جريح ، و مالك ، و السفيانين ، و شعبة ، و أيوب السختياني ، و أُمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[٢] .

﴿ الامام الصادق عليه السلام و أبو حنيفة ﴾

قال الشبلنجي : (عن درر الأصداف) قال جعفر الصادق لأبي حنيفة بلغني أنك تقيس في الدين و أول من قاس ابليس ، فقال أبو حنيفة انما أقيس فيما لا أجد فيه نصّاً[٣] .

(أقول) لقد فات الشبلنجي تكملة هذه الواقعة ، لكنّ ابن خلّكان المتوفى (٦٨١) ذكرها في وفيات الأعيان على ما يلي :

ليست في صحيح البخاري روايةٌ عنه مع رواية سائر العلماء الأعلام عنه كما سيأتي ، و منشأ العجب أنّ البخاري يمتنع عن الرواية عن الامام الصادق عليه السلام و لا يمتنع عن الرواية عن عمران بن حطّان الناصبي الذي انشد قصيدة في مدح عبدالرحمان بن ملجم المرادي التي مضت في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام (فاعتبروا يا أُولي الأبصار) .

١ - **وفيات الأعيان** ج ١ ص ٣٢٧ .

٢ - **الصواعق المحرقة** ص ١٢٠ .

٣ - **نور الأبصار** ص ١٦٠ .



قال ابن شبرمة : دخلت أنا و أبو حنيفة على جعفر بن محمدالصادق ، قلت له : هذا رجلٌ من أهل العراق له فقهٌ و علمٌ ، فقال جعفر : لعلّه الذي يقيس الدين برأيه هو النعمان بن ثابت . قال : و لم أعلم باسمه الا ذلك اليوم ، فقال له أبو حنيفة : نعم ! أنا ذلك أصلحك الله .

فقال له جعفر : اتق الله و لا تقس الدين برأيك فانّ أوّل من قاس ابليس ، اذ قال : ﴿ **أنا خيرٌ منه خلقتني من نار و خلقته من طين** ﴾[1] فأخطأ بقياسه فضلّ .

ثم قال له : أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟

قال : لا . قال جعفر : فأخبرنيلم جعل الله الملوحة في العينين و المرارة في الأُذنين و الماء في المنخرين و العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل الله ذلك ؟

قال : لا أدري . قال جعفر : إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين و خلق الملوحة فيهما منّاً منه على ابن آدم و لولا ذلك لذابتا فذهبتا .

و جعل المرارة في الأُذنين منّاً منه عليه و لولا ذلك لهجمت الدّواب فأكلت دماغه .

و جعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس و ينزل و يجد منه الريح الطيّبة من الريح الرديئة .

و جعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم و المشرب .

ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك و آخرها إيمان ؟

قال : لا أدري . قال جعفر : هي كلمة (لا إلّه إلا الله) فلو قال لا إلّه ثم سكت كان شركاً .

---

١ - **الأعراف** ٧ : ١٢ .



ثم قال : و يحك أيمّا أعظم عند الله إثماً : قتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ أو الزنا ؟

قال : بل قتل النفس . قال جعفر : إنّ الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين و لم يقبل في الزنا إلا شهادة أربعة ، فأنّى يقوم لك القياس ؟

ثم قال : أيمّا أعظم عند الله الصّوم أو الصّلاة ؟

قال : الصّلاة ، قال : فما بال الحائض تقضي الصّوم و لا تقضي الصّلاة ؟

(ثم قال الصادق عليه السلام) اتق الله يا عبدالله! و لا تقس الدين برأيك فإنا نقف غداً و من خالفنا بين يدي الله فنقول : قال الله و قال رسول الله ، و تقول أنت و أصحابك : سمعنا و رأينا فيفعل الله بنا و بكم ما يشاء .

و الجواب : أنّ الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلباً للستر ، و أنّ الحائض لا تقضي الصّلاة دفعاً للمشقة لأنّ الصّلاة متكرّرة في اليوم و الليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه في السنة مرة .

و حكى كشاجم في كتاب « المصايد و المطارد » أنّ جعفراً المذكور سأل أبا حنيفة ، فقال : ما تقول في محرمٍ كسر رباعية ظبي ؟

فقال : يا ابن رسول الله ، ما أعلم ما فيه .

فقال له : أنت تتداهى و لا تعلم أنّ الظبي لا يكون له رباعية و هو ثنيٌّ أبداً[1] .

﴿ و من مكاشفاته عليه السلام ﴾

ما نقله ابن حجر في صواعقه : أنّ ابن عمه عبدالله المحض كان شيخ بني

---

١ - **وفيات الأعيان** ج ١ ص ٣٢٨ و ٤٧١ ، حياة الحيوان ج ٢ ص ٤ لفظ الظبي .



هاشم و هو والد محمد الملقّب بالنفس الزكية ففي آخر دولة بني أُمية و ضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد و أخيه ، و أرسل إلي جعفر ليبايعهما فامتنع فاتّهم أنه يحسدهما فقال : و الله ليست لي و لا لهما انها لصاحب القباء الأصفر ليلعبنّ بها صبيانهم و غلمانهم و كان المنصور العباسي يومئذ حاضراً و عليه قباء أصفر فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا ، و سبق جعفر الى ذلك و الده الباقر عليه السلام فانه أخبر المنصور يملك الأرض شرقها و غربها و طول مدته .

فقال له : و ملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، و يملك أحد من ولدي ؟ قال : نعم ، قال : فمدة بني أُمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم ، و ليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة ، هذا ما عهد اليّ أبي .

فلمّا أفضت الخلافة للمنصور و ملك الأرض تعجّب من قول الباقر[1] .

﴿ و من معاجزه عليه السلام ﴾

ما نقله أيضاً : (و أخرج) أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول : حججت سنة ثلاث عشرة و مائة ، فلمّا صلّيت العصر في المسجد رقيت أبا قيس فاذا رجلٌ جالسٌ يدعو فقال يا ربّ يا ربّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا حيّ يا حيّ يا حيّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال الٓهي أني أشتهي العنب فأطعمنيه اللهم و انّ بردای قد خلقا فاكسني .

قال الليث : فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلّة مملوءة عنباً و ليس على الأرض يومئذ عنب ، و اذا بردان موضوعتان لم أر مثلهما في الدنيا فأراد أن

---

١ - الصواعق المحرقة ص ١٢١.

يأكل فقلت : أناشريكك ، فقال : و لمَ ؟ فقلت : لأنّك دعوت وكنت أُؤمّن ، فقال : تقدّم وكل ، فتقدّمت و أكلت عنباً لم آكل مثله قطّ ماكان له عجم ، فأكلنا حتى شبعنا ، و لم تتغيّر السلّة فقال : لا تدّخر و لا تخبأ منه شيئاً .

ثم أخذ أحد البردين و دفع اليّ الآخر ، فقلت : أنا بي غنى عنه فأئتزر باحدهما و ارتد بالآخر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل و هما بيده فلقيه رجل بالمسعى فقال اكسني يا ابن رسول الله مماكساك الله فانني عريان ، فدفعهما اليه ، فقلت : من هذا ؟ قال : جعفر الصادق ، فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه انتهى[١] .

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : و من كلامه عليه السلام : لا يتمّ المعروف الا بثلاث : تعجيله ، و تصغيره ، و ستره .

و قال : تأخير التوبة اغترار ، و طول التسويف حيرة ، و الاعتلال على الله هلكة ، و الإصرار على الذنب أمنٌ من مكر الله و لا يأمن مكر الله إلاالقوم الخاسرون .

و قال : أربعة أشياء القليل منهاكثير : النار ، و العداوة ، و الفقر ، و المرض .

و سئل لم سمّي البيت العتيق ؟ قال : لأنّ الله تعالى عتقه من الطوفان .

و قال : صحبة عشرين يوماً قرابة .

و قال : كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان .

---

١ - المصدر .



و قال : إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس في الصدر .

و قال : البنات حسنات و البنون نعم و الحسنات يثاب عليها و النعم مسئول عنها .

و قال : من لم يستح عند العيب ، و يرع عند الشيب ، و يخش الله بظهر الغيب ، فلا خير فيه .

و قال : من أكرمك فأكرمه و من استخفّ بك فأكرم نفسك عنه .

و قال : منع الجود سوء ظن بالمعبود .

و قال : دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا و دعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال ياأيها الذين آمنوا و يا أيها الذين كفروا .

و قال : إنّ عيال المرء أُسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسّع على أُسرائه ، فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه .

و قال : ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزّاً : الصفح عمّن ظلمه ، و الإعطاء لمن حرمه ، و الصلة لمن قطعه .

و قال : المؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه عن حق و إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل .

(قال) بعض شيعة جعفر الصادق عليه السلام دخلت عليه و موسى ولده بين يديه و هو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال : يابنيّ اقبل وصيتي و احفظ مقالتي فإنّك إن حفظتها تعش سعيداً و تمت حميداً .

يابنيّ ! إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، و من مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، و من لم يرض بما قسم الله له اتّهم ربّه في قضائه ، و من استصغر زلّة نفسه استصغر زلة غيره .

يابني ! من كشف حجاب غيره إنكشفت عورته ، و من سلّ سيف البغي قتل به ، و من احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، و من داخل السفهاء حُقّر ، و من خالط العلماء وُقّر ، و من دخل مداخل السوء اتّهم .

يابنيّ ! قل الحق لك أو عليك ، و إيّاك و النميمة فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال .

يابنيّ ! إذا زرت فزر الأخيار و لا تزر الأشرار ، فإنّهم صخرةٌ لا يتفجّر ماؤها ، و شجرةٌ لا يخضرّ ورقها ، و أرضٌ لا يظهر عشبها .

(قال) أحمد بن عمر بن مقدام الرازي : وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره و كان عنده جعفر بن محمد عليه السلام في ذلك الوقت فقال له المنصور : يا أبا عبدالله لمَ خلق الله الذباب ؟

قال : ليذلّ به الجبابرة ، فسكت المنصور .

روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام و رفعه قال : ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله و يحمده و يمجدّه فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكاً فيقول أنا اليوم أُونس و حشتك و أُلقّنك و أُثبّتك بالقول الثابت و أشهد بك مشاهد القيامة و أشفع لك إلى ربّك و أُريك منزلتك في الجنة . كذا في الفصول المهمة[1] .

و قال الصادق عليه السلام لأبي جعفر المنصور : حدّثني محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنّ الرجل

---

١ – نور الأبصار ص ١٦٣ .

ليصل رحمه و قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث و ثلاثين سنة ، و إنّ الرجل ليقطع رحمه و قد بقي من عمره ثلاث و ثلاثون سنة فينزلها إلى ثلاث سنين » .

فقال المنصور : آلله سمعت هذا من أبيك ؟ فقلت : و الله لقد سمعتها منه فردّدها عليّ ثلاثاً .

روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لغلامه ناقد : يا ناقد ! إذاكتبت كتاباً في حاجة و أردت أن تنجح حاجتك التي تريد فاكتب في رأس الورقة:

بسم الله الرحمن الرحيم و عد الله الصابرين المخرج مما يكرهون و الرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا و إياكم من الذين لا خوف عليهم و لاهم يحزنون .

قال ناقد : فكنت أفعل فتنجح حوائجي .

قال جعفر الصادق عليه السلام : للصداقة خمس شروط ، فمن كانت فيه فانسبوه إليها و من لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها ، و هي : أن يكون زين صديقه زينه ، و سريرته له كعلانيته ، و أن لا يغيره عليه مالٌ و أن يراه أهلاً لجميع مودته ، و لا يسلمه عند النكبات .

﴿ **تتمة** ﴾ في الكلام على وفاته و أولاده عليه السلام (قال ابن الصبّاغ) مات جعفر الصادق بن محمد عليه السلام سنة ثمان و أربعين و مائة في شوال و له من العمر ثمان و ستون يقال إنه مات بالسّم في أيام المنصور[1] و دفن بالبقيع عند القبر الذي دفن فيه أبوه و جده و عم جده فللّه درّه من قبر ما أكرمه و أشرفه انتهى .

﴿ **و أولاده** عليه السلام ﴾ كانوا سبعة و قيل أكثر ستة ذكور و بنت واحدة و هم :

---

١ - قاله ابن حجر أيضاً في **الصواعق** ص ١٢١.

اسماعيل و محمد و علي و عبدالله و إسحاق و موسى الكاظم و البنت اسمها فروة كذا في الفصول المهمة .

(و في الملل و النحل) للشهرستاني كان لجعفر الصادق خمسة أولاد محمد و إسماعيل و عبدالله و موسى و علي ، و أسقط إسحاق و البنت .

(و في بغية الطالب) أنّ أولاد جعفر تسعة ، الا أنه لم يسردهم جميعهم انما عدّ ما في الفصول المهمة و اقتصر و لم يذكر البنت[1] .

﴿ ٧ ﴾

﴿ الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر عليهما السلام ﴾

هو أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، و صفه ابن حجر هكذا :

هو وارثه (أي جعفر الصادق عليه السلام) علماً و معرفةً و كمالاً و فضلاً سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه و حلمه و كان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله . و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم[2] .

و قال الشبلنجيُّ : كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم كفاً و أكرمهم نفساً و كان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم و الدنانير إلى بيوتهم ليلاً و كذلك النفقات و لا يعلمون من أي جهة و صلهم ذلك و لم

١ - **نور الأبصار** ص ١٦٢ .

٢ - **الصواعق** ص ١٢١ .



يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيراً ما يدعو: اللّهمّ إنّي أسأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوتِ وَ الْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابَ .

أُمه أُم ولد يقال لها حميدة البربرية .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) موسى الكاظم بالأبواء[1] سنة ثمان و عشرين و مائة من الهجرة .

(وكنيته) أبو الحسن .

(و ألقابه كثيرة) أشهرها الكاظم ثم الصابر و الصالح و الأمين .

(صفته) أسمر عتيق[2] .

(شاعره) السيد الحميري .

(بوّابه) محمد بن الفضل .

(نقش خاتمه) الملك لله وحده .

(معاصره) موسى الهادي و هارون الرشيد .

قال بعض أهل العلم : الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة ، الحبر الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائماً ، المسمّى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين كاظماً ، و هو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله و ذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به .

---

١ - قريةٌ من أعمال الفُرع من المدينة، بينها و بين الجُحفة ثلاثة و عشرون ميلاً (مراصد الاطلاع) .

٢ - العتيق : الخيار من كل شيء .

﴿ مناقبه عليه السلام كثيرة و شهيرة ﴾

يحكى أنّ الرشيد سأله يوماً فقال: كيف قلتم نحن ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنتم بنو علي و إنّما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأُمه ؟

فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجزي المحسنين و زكريا و يحيى و عيسى** ﴾ [1] و ليس لعيسى أب و إنما أُلحق بذرية الأنبياء من قبل أُمه، و كذلك أُلحقنا بذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أُمنا فاطمة ، و زيادة أُخرى قال الله عزوجل ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم وأنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل** ﴾ [2] و لم يدع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند مباهلة النصارى غير علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و هم الأبناء [3].

﴿ معاجزه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ: كراماته: [**الأُولى**] قال حسام بن حاتم الأصم: قال لي شقيق البلخي خرجت حاجّاً سنة ست و أربعين و مائة فنزلت بالقادسية فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحجّ و زينتهم و كثرتهم إذ نظرت إلى شابّ حسن الوجه

---

١ - **الأنعام** ٦ : ٨٤ .

٢ - **آل عمران** ٣ : ٦١ .

٣ - **نور الأبصار** ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .



شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة و في رجليه نعلان و قد جلس منفرداً فقلت في نفسى هذا الفتى من الصوفية و يريد أن يخرج مع الناس فيكون كلّاً عليهم في طريقهم و الله لأمضينّ إليه و لأوبّخنّه، فدنوت منه فلمّا رآني مقبلاً نحوه قال يا شقيق ﴿ **اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[1] .

ثم تركني و ولّى فقلت في نفسى إنّ هذا لأمر عجيب تكلّم بما في خاطري ، و نطق باسمى هذا عبدٌ صالحٌ لألحقنّه و أسألنّه الدعاء و أتحلّله بما ظننت فيه ، فغاب عنّي و لم أره .

فلمّا نزلنا وادي فضّة فإذا هو قائمٌ يصلّي، فقلت هذا صاحبي أمضي إليه و أستحلّه، فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إليّ و قال: يا شقيق! اتل : ﴿ **و إنّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[2] ثم قام و مضى و تركني فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين .

فلمّا نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتىٰ قائم على البئر و أنا أنظر إليه و بيده ركوة[3] فيها ماء فسقطت من يده في البئر فرمق إلى السّماء بطرفه و سمعته يقول :

أنت شربي أذا ظمئت من الما ء و قـوتي إذا أردت طـعاما

ثم قال إلٰهي و سيدي مالي سواك فلا تعدمنيها ، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر و الركوة طافية عليه فمدّ يده فأخذها فتوضأ منها و صلّى أربع ركعات ، ثم مال الى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه و يجعل في الركوة و يحرّكها و

---

١ - **الحجرات** ٤٩ : ١٢ .

٢ - طه ٢٠ : ٨٢ .

٣ - الرّكوة : اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

يشرب فأقبلت نحوه و سلّمت عليه فردّ عليّ السّلام ، فقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك .

فقال يا شقيق ! لم تزل نعم الله عليّ ظاهرة و باطنة فأحسن ظنّك بربّك .

ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا فيها سويق بسكّر فوالله ماشربت قطّ ألذّ منه و لا أطيب فشربت و رويت حتى شبعت ، فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً و لا شراباً .

ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلةً إلى جنب قبّة الشراب نصف الليل و هو قائمٌ يصلّي بخشوع و أنين و بكاء ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتي الفجر هناك ثم صلّى الصبح مع الناس ، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ، ثمّ صلّى خلف المقام ، ثم خرج يريد الذهاب ، فخرجت خلفه أُريد السلام عليه ، و إذا بجماعة أحاطوا به يميناً و شمالاً و من خلفه ، و من أمامه ، و خدمٌ و حشمٌ و أتباعٌ خرجوا معه .

فقلت لأحدهم : من هذا الفتى ياسيدي ؟ فقال هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

و هذه الكرامة رواها جماعة من أهل التآليف ، و رواها ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) و رواها الجنابذي في (معالم العترة النبوية) و الرامهرمزي في كتابه (كرامات الأولياء) و هي كرامة اشتملت على كرامات .

[الثانية] من كتاب الدلائل للحميري روى أحمد بن محمد عن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زبالة و معه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم في إحضاره لديه إلى العراق من المدينة ، و ذلك في مسكته



الأولى .

فأتيته فسلّمت عليه فسرّ برؤيتي و أوصاني بشراء حوائج و بتبقيتها عندي له ، فرآني غير منبسط فقال ما لي أراك منقبضاً ؟ فقلت : كيف لا أنقبض و أنت سائر الى هذه الفئة الطاغية و لا آمن عليك .

فقال : يا أبا خالد ! ليس عليّ بأس ، فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرني آخر النهار مع دخول الليل فإني أُوافيك إن شاء الله تعالى .

قال أبو خالد فما كان لي همٌّ إلا إحصاء تلك الشهور و الأيام إلى ذلك اليوم الذي وعدني المجيء فيه ، فخرجت غروب الشمس فلم أر أحداً فلمّا كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار ، فسلّمت عليه ، و سررت بمقدمه و تخلّصه .

فقال لي : أ داخلَك الشكّ يا أبا خالد !

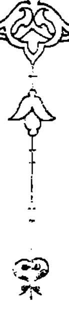
فقلت : الحمد لله الذي خلّصك من هذا الطاغية .

فقال : يا أبا خالد ! إنّ لهم إليّ عودة لا أتخلّص منها .

(أقول) ذكرها ابن حجر أيضاً في الصواعق ص ١٢١ .

[الثالثة] عن عيسى المدائني قال خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها مجاوراً ثم قلت أذهب إلى المدينة فأُقيم بها سنةً مثل ما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي ، فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبي ذر رضي الله عنه و جعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم عليه السلام فبينا أنا عنده في ليلة ممطرة إذ قال لي : يا عيسى ! قم فقد انهدم البيت على متاعك فقمت فإذا البيت قد انهدم على المتاع ، فاكتريت قوماً كشفوا عن متاعي و استخرجت جيمعه و لم يذهب لي غير سطل للوضوء .

فلما أتيته من الغد قال : هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف ؟



فقلت : ما فقدت غير سطل كان لي أتوضّأ منه .

فأطرق رأسه ملياً ثم رفعه فقال قد ظننت أنك أُنسيته قبل ذلك ، فأت جارية ربّ الدار فاسألها عنه ، و قل لها أنسيت السطل في بيت الخلاء فردّيه ، قال فسألها عنه فردته .

[**الرابعة**] عن عبدالله بن إدريس عن ابن سنان قال حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها ، و من جملتها دُرّاعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء .

فأنفذها علي بن يقطين لموسى الكاظم فردّها و كتب إليه احتفظ عليها و لا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه اليها .

فارتاب علي بن يقطين لردّها عليه و لم يدر ما سبب كلامه ذلك ، ثم إنه احتفظ بالدُرّاعة و جعلها في سَفَط[١] و ختم عليها فلمّا كان بعد مدة يسيرة تغيّر علي بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختصّ بأُموره و يطّلع عليها فصرفه عن خدمته و طرده لأمر أوجب ذلك منه .

فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد ، و قال له إنّ علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم عليه السلام و أنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله و الهدايا و التحف و قد حمل إليه في هذه السنة ذلك و صحبته الدُرّاعة السوداء التي أكرمته بها يا أميرالمؤمنين في وقت كذا .

فاستشاط الرشيد لذلك غيظاً و قال لأكشفنّ عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه ، و ذلك من بعض جزائه .

---

١ – **سَفَط محرّكة :** وعاء يحفظ فيه الطيب و ادوات النساء .



فأنفذ في الوقت و الحين من أحضر علي بن يقطين ، فلمّا مثّل بين يديه ، قال : ما فعلت بالدُرّاعة السوداء التي كسوتكها و اختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصي ؟

قال : هي عندي يا أميرالمؤمنين في سَفَط فيه طيب مختوم عليها .

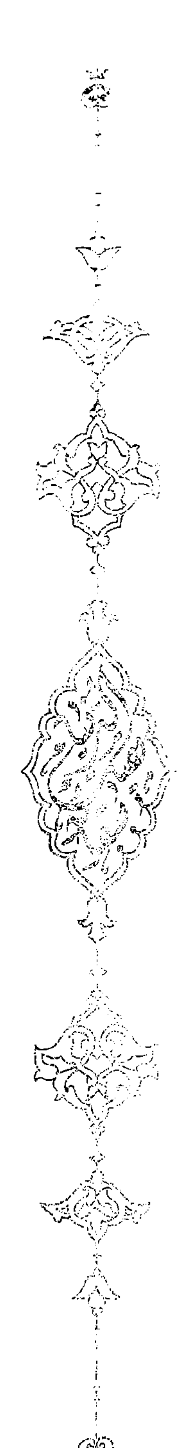
فقال : أحضرها السّاعة ، قال نعم يا أميرالمؤمنين السّمع و الطاعة ، و استدعى بعض خدمه فقال امض و خذ مفتاح البيت الفلاني من داري و افتح الصندوق الفلاني و آتني بالسَّفط الذي فيه على حالته بختمه فلم يلبث الخادم إلا قليلاً حتى عاد و في صحبته السَّفط مختوماً فوضع بين يدى الرشيد .

فأمر بفكّ ختمه ففكّ و فتح السَّفَط و إذا بالدُرّاعة فيه مطوية على حالها لم تُلبس و لم تدنس و لم يُصبها شيء من الأشياء .

فقال لعلي بن يقطين ردّها إلى مكانها و خذها و انصرف راشداً فلن نصدّق بعدها عليك ساعياً و أمر أن يتبع بجائزة سنية و بأن يضرب السّاعي ألف سوط فضرب فلما بلغوا خمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف .

[**الخامسة**] روى إسحاق بن عمّار قال : لمّا حبس هارون الرشيد موسى الكاظم عليه السلام دخل الحبس ليلاً أبو يوسف و محمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ، فسلّما عليه ، و جلسا عنده و أرادا أن يختبراه بالسوأل لينظرا مكانه من العلم ، فجاء بعض الموكّلين به ، فقال له إنّ نوبتي قد فرغت و أُريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى ، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها غداً إذا جئت .

فقال : مالي حاجة انصرف ، ثم قال لأبي يوسف و محمد بن الحسن : إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أُكلّفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء و هو ميّت في هذه الليلة .



فأمسكا عن سؤاله و قاما و لم يسألاه عن شيء و قالا : أردنا أن نسأله عن الفرض و السنة فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب ، و الله لنرسلنّ خلف الرجل من يبيت على باب داره و ينظر ماذا يكون من أمره .

فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلمّا كان أثناء الليل و إذا بالصراخ و الناعية فقيل لهم ما الخبر ؟ فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد إليهما الرسول و أخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب ، من الفصول المهمة[1] .

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُ :

عن اسحاق بن جعفر قال سألت أخي موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام قلت : أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم ، قال فقلت : أيكون خائناً قال لا و لا يكون كذّاباً ثم قال حدّثني أبي جعفر عن آبائه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب و الخيانة » .

و روى عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : نظر الولد الى والديه عبادة[2] .

---

١ – نور الأبصار ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

٢ – نور الأبصار ص ٦٤ .



﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال ابن حجر في سبب شهادته : قال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة : أنت الذي يبايعك الناس سراً ؟ فقال : أنا امام القلوب و أنت امام الجسوم .

و لمّا اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة و السلام قال الرشيد : السلام عليك يا ابن عم ! سمعها من كان حوله .

فقال الكاظم : السّلام عليك يا أبتِ ، فلم يحتملها و كانت سبباً لامساكه و حمله معه الى بغداد و حبسه فلم يخرج من حبسه الا ميّتاً مقيّداً و دفن جانب بغداد الغربي[١] .

و قال الشبلنجيُ : روى أحمد بن عبدالله بن عمّار عن محمد بن علي النوفلي قال كان السبب في أخذ الرشيد لموسى بن جعفر عليه السلام و حبسه إياه أنه سعى به جماعة و قالوا إنّ الأموال تحمل إليه من جميع الجهات و الزكاة و الأخماس ، فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج و بدأ بدخوله المدينة فلمّا أتاها استقبله موسى الكاظم عليه السلام في جماعة من الأشراف فلمّا دخلها و استقرّ و مضى كل واحد الى سبيله ذهب موسى على جارى عادته إلى المسجد ، و أقام الرشيد إلى الليل و سار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر أُريد فعله و هو أن أمسك موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أُمتك و سفك دمائهم و إنّي أُريد حقنها .

ثم خرج فأمر به فأُخذ من المسجد فدخل به إليه فقيّده في تلك الساعة و

---

١ - الصواعق المحرقة ص ١٢٢.



استدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل و سترهما بالسقلاط و جعله في إحدى القبتين و جعل مع كل واحدة منهما خيلاً و أرسل بواحدة منهما على طريق البصرة و بواحدة على طريق الكوفة و إنما فعل ذلك الرشيد ليعمى على الناس أمره وكان موسى الكاظم بالقبة التي أرسلها بطريق البصرة .

و أوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلّموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة يومئذٍ والياً فسلّموه له و حبسه عنده سنة .

فبعد السنة كتب أليه الرشيد في سفك دمه و إراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصّه و ثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ماكتبه له الرشيد ، فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك ، و أن لاتقع فيه .

فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول :

يا أميرالمؤمنين !كتبت الىّ في هذا الرجل و قد اختبرته طول مقامه في حبسي فلم يكن منه سوء قطّ و لم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ، و لم يكن عنده تطلّع للولاية ، و لا خروج و لا شيء من أمر الدنيا ، و لا دعا قط على أميرالمؤمنين ، و لا على أحد من الناس ، و لا يدعو إلا بالمغفرة و الرحمة له و لجميع المسلمين ، مع ملازمته للصيام و الصلاة و العبادة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره و يأمر بتسلّمه منّي ، و إلا سرّحت سبيله فإني منه في غاية الحرج .

فلمّا بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر و أمره فيه بأمره ، فكان الذي تولى به السندي قتله أن جعل له سمّاً في طعام و قدّمه له ، و قيل في رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام موعوكاً ثلاثة أيام و مات ﷺ .



و لمّا مات أدخل السندي الفقهاء و وجوه أهل بغداد و فيهم الهيثم بن عدي و غيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق و أنه مات حتف أنفه .

(و روي) أنه لما حضرته الوفاة سأل السندي أن يحضر مولى له مدنيّاً ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولّى غسله و دفنه و تكفينه ، فقال له السندي أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء و أتمه ، فقال إنّا أهل بيت مهور نسائنا و حجّ صرورتنا و كفن موتانا و جهازنا من خالص أموالنا و أُريد أن يتولّى ذلك مولاي هذا ، فأجابه إلى ذلك و حضره له فوصّاه بجميع ما يفعل فلما مات تولّى ذلك مولاه المذكور كذا في الفصول المهمة[١] .

(و من) كتاب الصفوة لابن الجوزي قال بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه : لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون .

و قد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر و جعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم ، فأمر هارون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد و أن ينادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لايموت[٢]

---

١ – قد مضىٰ سابقاً أنّ الامام لا يتولّى غسله و كفنه و الصلاة عليه الا الامام .

٢ – لا يمكن أن يكون في الشيعة من يقول انّ الامام موسى بن جعفر عليهما السلام لا يموت و انه هو القائم المنتظر لاتفاق المسلمين كلهم على أنّ اسمه م ح م د على اسم نبيّنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فكيف يدّعي مدع أنّ الامام موسى هو القائم المهدي . بل الواقع أنّ هارون أمر السندي بوضع الجنازة على الجسر لاخفاء قتله ولاظهار أنه مات حتف أنفه، ويؤيده ما رواه الشبلنجي نفسه قبيل هذه السطور أنه مات حتف أنفه =

فانظروا إليه ميّتاً ففعل و نظر الناس إليه ثم حمل و دفن موسى الكاظم في مقابر قريش بباب التين ببغداد كذا في كتاب الأنساب و غيره .

و كانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث و ثمانين و مائة و له من العمر خمس و خمسون سنة .

﴿ **أما أولاده** عليه السلام ﴾ ففي الفصول المهمة كان له سبعة و ثلاثون ولداً مابين ذكر و أُنثى و هم علي الرضا و العباس و القاسم و إسماعيل و جعفر و هارون و الحسن و عبدالله و إسحاق و عبدالله و زيد و الحسن و أحمد و محمد و الفضل و سليمان و فاطمة الكبرى و فاطمة الصغرى و رقية و حليمة و اُم أسماء و رقية الصغرى و اُم كلثوم و ميمونة اهـ و لكنه لم يستوف العدد المذكور .

و من أولاد الكاظم كما في بغية الطالب : عون .

و إليه يرجع نسب سيدنا و مولانا الشيخ الكبير الولي المقرّب جامع الشرفين شرف النسب و شرف المعرفة بالله و الأدب ذي الكرامات الظاهرة و الغارات المتظاهرة أبي الاشبال علي الأهدل[1] .

= و قال العلاّمة الأربلي بعد ما نقل قضية تسميمه بالرطب : لمّا مات موسى عليه السلام أدخل السندي بن شاهك الفقهاء و وجوه أهل بغداد و فيهم الهيثم بن عدي و غيره فنظروا اليه و لا أثر به من جراح و لا خنق و أشهدهم على أنه مات حتف أنفه ، فشهدوا على ذلك و اُخرج و وُضع على الجسر ببغداد ، و نودي هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا اليه (**كشف الغمة** ج ٢ ص ٢٣٤) .

١ - **نور الأبصار** ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .



﴿ ٨ ﴾

﴿ الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ﴾

و هو أبو الحسن الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، قال الشبلنجيُّ :

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) علي بن موسى عليهما السلام بالمدينة سنة ثمان و أربعين و مائة من الهجرة و قيل سنة ثلاث و أربعين و مائة ، و أُمه أُم ولد يقال لها أُم البنين و اسمها أروي .

(و كنيته) أبو الحسن .

(و ألقابه) الرضا و الصابر و الزكي و الولي و أشهرها الرضا .

(شاعره) دعبل الخزاعي .

(بوّابه) محمد بن الفرات .

(نقش خاتمه) حسبي الله .

(معاصره) الأمين و المأمون .

﴿ أبيات أبي نواس ﴾

عن محمد بن يحيى الفارسي قال نظر أبو نواس الى علي بن موسى الكاظم ذات يوم و قد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه و سلّم عليه و قال : يا

ابن رسول الله ﷺ قلت فيك أبياتاً أُحبّ أن تسمعها منّي .

فقال له : قل ، فأنشأ أبو نواس يقول :

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهمُ ... تجري الصلاة عليهم كلّما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فماله في قديم الدهر مفتخر

أولئك القوم أهل البيت عندهمُ ... علم الكتاب و ما جاءت به السور

قال : قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ ، ما معك ياغلام من فاضل نفقاتنا ؟ قال ثلاثمائة دينار ، قال : ادفعها إليه ، ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لعلّه يستقلّها سق ياغلام إليه البغلة [1] .

﴿ قصيدة دعبل الخزاعي ﴾

و نقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي ، قال : دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى عليه السلام بمرو ، فقال يا ابن رسول الله ﷺ إنّي قلت فيكم أهل البيت قصيدة و آليت على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك ، و أُحبّ أن تسمعها منّي .

فقال له علي الرضا بن موسى عليهما السلام : هات قل ، فأنشأ يقول :

مدارس آيات خلت عن تلاوة ... و منزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى ... و بالبيت و التعريف و الجمرات

ديار علي و الحسين و جعفر ... و حمزة و السجاد ذي الثفنات

منازل كانت للصلاة و للتقى ... و للصوم و التطهير و الحسنات

---

١ - نور الأبصار ص ١٦٨ .



مــنازل جـبريل الأمـين يـحلّها مــن الله بــالتسليم و الرحـمات
مــنازل وحـي الله مـعدن عـلمه ســبيل رشـاد واضـح الطـرقات
قـفا نسأل الدار التـي خـف أهـلها مـتى عـهدها بـالصوم و الصلوات
و أين الأُلىٰ شطّت بهم غربة النوى فأمسـين فـي الأقـطار مـفترقات
أُحبّ فـضاء الدار مـن أجـل حـبهم و أهـجر فـيهم أُسـرتي و ثـقاتي
و هم أهل ميراث النبي إذا انـتموا و هـم خـير سـادات و خـير حـماة
أئــمة عــدل يـقتدى بـفعالهم و تــؤمن مــنهم زلة العــثرات
فـيا ربّ زد قـلبي هـدىً و بـصيرةً و زد حـبهم يـا رب فـي حسـناتي
لقد آمنت نـفسي بـهم فـي حـياتها و انـي لأرجـو الأمـن بـعد وفـاتي
ألم تـر أنـيّ مـن ثـلاثين حـجة أروح و أغــدو دائـم الحسـرات
أرى فـيئهم فـي غـيرهم متقسّماً و أيـديهم مـن فـيئهم صـفرات
و آل رسـول الله نـحف جسـومهم و آل زيــاد أغــلظ القــصرات
سأبكـيهم مـا ذرّ فـي الأُفـق شـارقٌ و نـادى مـنادي الخـير بـالصلوات
و ما طلعت شمسٌ و حـان غـروبها و بــالليل أبكـيهم و بـالغدوات
ديـار رسـول الله أصـبحن بـلقعاً و آل زيــاد تسكــن الحـجرات
و آل زيـاد فـي القـصور مـصونة و آل رســول الله فــي الفـلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غـدٍ لقـطع نـفسي إثـرهم حسـراتـي
خــروج إمـام لا مـحالة خـارج يــقوم عـلى اسـم الله بـالبركات
يــميز فـينا كـل حـق و بـاطل و يـجزي عـن النـعماء و النـقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري فــغير بــعيد كـل مـا هـو آت

و هي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة و عشرون بيتاً.

و لمّا فرغ دعبل من أنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا عليه السلام و قال لا تبرح فأنفذ اليه صرّة فيها مائة دينار و اعتذر اليه ، فردّها دعبل و قال و الله مالهذا جئت و إنما جئت للسلام عليه و للتبرّك بالنظر إلى وجهه الميمون ، و إني لفي غنىً فان رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرّك فهو أحبّ إليّ ، فأعطاه علي الرضا جبة و ردّ عليها الصرّة و قال للغلام : قل له خذها و لا تردّها فانك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها و أخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة فتجهّزت قافلة تريد العراق ، فتجهّز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق و نهبوا القافلة عن آخرها و أمسكوا جماعة من جملتهم دعبل ، فكتّفوهم و أخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوايقسمون أموالهم فتمثل مقدّم اللّصوص بقوله :

أرى فيئهم في غيرها متقسّماً   و أيديهم من فيئهم صفرات

و دعبل يسمعه فقال أتعرف هذا البيت لمن ؟

قال و كيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت قاله في قصيدة مدحهم بها .

فقال : دعبل أنا صاحب القصيدة و قائلها فقال : ويلك اُنظر ما تقول ، فقال : والله الأمر أشهر من ذلك و اسأل أهل القافلة و هؤلاء الممسكون معكم يخبرونكم بذلك .

فسألوهم فقالوا بأسرهم هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف ، ثم انّ دعبلاً أنشدهم القصيدة من أولها الى آخرها عن ظهر قلب .

فقالوا قد وجب حقّك علينا و قد أطلقنا القافلة و رددنا جميع ما أخذناه منها كرامةً لك ياشاعر أهل البيت .

ثم إنّهم أخذوا دعبلاً معهم و توجّهوا به إلى قم و وصلوه بمال و سألوه في بيع

الجبة التي أعطاها له أبو الحسن الرضا و دفعوا له فيها ألف دينار ، فقال و الله لا أبيعها و إنما أخذتها للتبرّك من أثره .

ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم و أخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم و ردّوها عليه ، ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك و يأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منّا و تركتها فأخذ الألف منهم و أعطاهم الجبّة ثم ارتحل عنهم .

و عن أبي الصلت الهروي قال قال دعبل الخزاعي : لمّا أنشدت مولاي الرضا عليه السلام هذه القصيدة و انتهيت فيها إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق و باطل ... و يجزي على النعماء و النقمات

بكى الرضا عليه السلام ثم رفع رأسه إليّ و قال يا خزاعي ! لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين[1] .

﴿ مكارمه و مآثره عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : انّه كان قليل النوم ، كثير الصوم ، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر و يقول : ذلك صيام الدهر ، و كان كثير المعروف و الصدقة ، و أكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة ، و كان جلوسه في الصيف على حصير و في

١ - نور الأبصار ص ١٦٩ و ١٧٠.

الشتاء على مسح .

قال إبراهيم بن العباس : سمعت الرضا عليه السلام يقول و قد سأله رجل يكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال : هو أعدل من ذلك ، قال : فيقدرون على كل ما يريدون ؟ قال : هم أعجز من ذلك .

و عن ياسر الخادم قال : سمعت علياً الرضا بن موسى عليهما السلام يقول : أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع : يوم يولد إلى الدنيا و يخرج المولود من بطن اُمه فيرى الدنيا ، و يوم يموت فيعاين الآخرة و أهلها ، و يوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا ، و قد سلّم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن و آمن روعته فقال : ﴿ **و سلامٌ عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حياً** ﴾[1] و قد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة مواطن فقال : ﴿ **و السّلام عليّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أُبعث حياً** ﴾[2] .

﴿ دخوله عليه السلام نيسابور ﴾

أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور : أنّ علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين عليهم السلام لمّا دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء ، و قد شقّ بها السوق ، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة و أبو مسلم الطوسي و معهما من أهل العلم و الحديث ما لا يحصى ، فقالا : يا

---

١ - مريم ١٩ : ١٥ .

٢ - مريم ١٩ : ٣٣ .

أيها السيد الجليل ! ابن السادة الأئمة ! بحقّ آبائك الأطهرين و أسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون و رويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك نذكرك به .

فاستوقف غلمانه ، و أمر بكشف المظلة ، و أقرّ عيون الخلائق برؤية طلعته ، و إذا له ذؤابتان متعلقتان على عاتقه ، و الناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك و صارخٍ ، و متمرّغٍ في التراب ، و مقبّلٍ حافرَ بغلته ، و علا الضجيج ، فصاحت الأئمة الأعلام : معاشر الناس ! أنصتوا و اسمعوا ما ينفعكم و لا تؤذونا بصراخكم .

و كان المستملي أبا زرعة و محمد بن مسلم الطوسي .

فقال على الرضا عليه السلام حدّثني أبي موسى الكاظم ، عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه علي زين العابدين ، عن أبيه شهيد كربلاء ، عن أبيه علي المرتضى ، قال : حدثني حبيبي و قرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال حدّثني جبريل عليه السلام ، قال : حدّثني ربّ العزة سبحانه و تعالى ، قال : «كلمة (لا إله إلا الله) حصني فمن قالها دخل حصني و من دخل حصني أمن من عذابي » .

ثم أرخى الستر على المظلة و سار قال فعُدّ أهل المحابر و أهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً قال عليه السلام لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه . و قال أبو القاسم القشيري : إتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أُمراء السامانية فكتبه بالذهب و أوصى أن يدفن معه في قبره فرؤى في المنامٍ بعد موته فقيل ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي بتلفظي بلا إله الا الله و تصديقي أن محمداً رسول الله أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير و غيره[1] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

﴿ علمه عليه السلام و إخباره بالغيب ﴾

قال الشبلنجيُّ : قال ابراهيم بن العباس ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء الا علمه ، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره ، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي[1] .

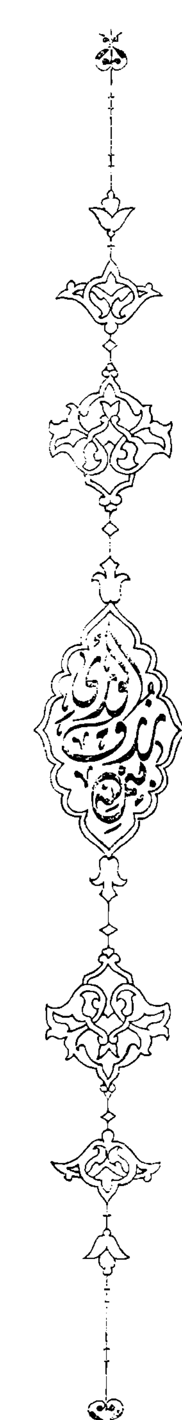
ثم ذكر الشبلنجيُّ : في نور الأبصار و ابن حجر في الصواعق قضايا في إخباره عن المغيبات :

[**الاولى**] من كتاب إعلام الورى للطبرسي قال روى أبو عبدالله الحافظ باسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام و كان قد وافى المسجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة و كأني مضيت إليه و سلّمت عليه و وقفت بين يديه فوجدته و عنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني و كأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة فتأولت أني أعيش بكل تمرة سنة .

فلمّا كان بعد عشرين يوماً و أنا في أرض لي تعمر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام و نزوله بذلك المسجد و رأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلّمون عليه ، فمضيت نحوه فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فيه و تحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته صلى الله عليه وآله وسلم و بين يديه طبق من خوص المدينة و فيه تمر صيحاني فسلّمت عليه فردّ السّلام و استدناني و ناولني قبضةً من ذلك التمر فعددتها فاذا هي

---

١ - المصدر .



بعدد ما ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم ثمان عشرة تمرة ، فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزدتك .

[الثانية] روى الحاكم أيضاً باسناده عن سعيد بن سعيد أنّ أبا الحسن علياً الرضا نظر إلى رجل فقال يا عبدالله أوص بما تريد و استعد لما لا بد منه ، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام .

[الثالثة] عن صفوان بن يحيى قال لمّا مضى موسى الكاظم عليه السلام و ظهر ولده من بعده علي الرضا خفنا عليه و قلنا إنا نخاف عليك من هذا يعني هارون الرشيد ، قال : ليجهدنّ جهده فلا سبيل له عليّ ، قال صفوان : فحدّثني ثقة أنّ يحيى بن خالد البرمكي قال لهارون الرشيد : هذا علي بن موسى قد تقدّم و ادعى الأمر لنفسه ، فقال هارون يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً ؟ ! .

[الرابعة] عن مسافر قال : كنت مع أبي الحسن علي الرضا عليه السلام فمرّ يحيى بن خالد البرمكي و هو مغط وجهه بمنديل من الغبار ، فقال الرضا : مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة ، فكان من أمرهم ماكان .

قال : و أعجب من هذا أنا و هارون كهاتين ، و ضمّ إصبعه السبابة و الوسطىٰ .

قال مسافر : فوالله ما عرفت معنى حديثه في هارون إلا بعد موت الرضا عليه السلام و دفنه إلى جانبه .

[الخامسة] عن الحسين بن يسار قال : قال علي الرضا عليه السلام : إنّ عبدالله يقتل محمداً ، فقلت : عبدالله بن هارون يقتل محمد بن هارون ؟

قال : نعم ، عبدالله المأمون يقتل محمداً الأمين ، فكان كما قال .

[السادسة] عن الحسين بن موسى قال : كنّا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى عليهما السلام و نحن شباب من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي و هو رثّ

الهيئة ، فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستزرٍ لهيئته و حالته ، و قال الرضا عليه السلام سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة .

فما مضى إلا شهرٌ واحدٌ حتى ولي أمر المدينة و حسنت حالته و كان يمّر بنا كثيراً و حوله الخدم و الحشم يسيرون بين يديه فنقوم له و نعظّمه و ندعو له .

[**السابعة**] روى عن جعفر بن صالح قال : أتيت الرضا عليه السلام فقلت : امرأتي أُخت محمد بن سنان ، و كان من خواص شيعتهم ، و بها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً ، قال هما اثنان ، فولّيت و قلت (في نفسي) : أُسمّي واحداً علياً و الآخر محمداً ، فدعاني فأتيته فقال: سمّ واحداً علياً و الآخر أُمّ عمرو ، فقدمت الكوفة فولدت غلاماً و جاريةً فسمّيت الذكر علياً و الأُنثى أُم عمرو كما أمرني ، و قلت لأُميّ مامعنى أُم عمرو ؟ قالت : جدّتك كانت تسمّى أُم عمرو .

[**الثامنة**] عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال : خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب و خرج علي بن موسى الرضا عليهما السلام من باب ، فقال الرضا عليه السلام و هو يعني هارون الرشيد : يا بعد الدار و قرب الملتقى ياطوس ستجمعيني و إياه .

[**التاسعة**] عن موسى بن عمران قال رأيت علياً الرضا بن موسى عليهما السلام في مسجد المدينة و هارون الرشيد يخطب قال تروني و إياه ندفن في بيت واحد[1] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

﴿كرامته عليه السلام عند الله تعالىٰ﴾

قال الشبلنجيُّ : لمّا جعله المأمون وليّ عهده و أقامه خليفة بعده ، كان في حاشية المأمون أُناس كرهوا ذلك و خافوا على خروج الخلافة من بني العباس و عودها لبني فاطمة فحصل عندهم من علي الرضا بن موسى نفور و كان عادة الرضا عليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالدهليز من الحجاب و أهل النوبة من الخدم و الحشم بالقيام له و السّلام عليه و يرفعون له الستر حتى يدخل ، فلمّا حصلت لهم هذه النفرة و تفاوضوا في أمر هذه القصة و دخل في قلوبهم منها شيء قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه و لا نرفع له الستر و اتفقوا على ذلك .

فبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا عليه السلام على جاري عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا و سلّموا عليه و رفعوا الستر على عادتهم فلمّا دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه و قالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه ، فلمّاكان في اليوم الثاني و جاء الرضا عليه السلام على عادته قاموا و سلّموا عليه و لم يرفعوا الستر ، فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مماكانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له و خرج .

فأقبل بعضهم على بعض و قالوا إن لهذا الرجل عندالله منزلة و له منه عناية أُنظروا إلى الريح كيف جاءت و رفعت له الستر عند دخوله و عند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ماكنتم عليه من خدمته فهو خير لكم [١] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٧٥ .



﴿ من كلماته و حديثه عليه السلام ﴾

قال صاحب كتاب نثر الدرر : سأل الفضل بن سهل علياً الرضا بن موسى عليهما السلام في مجلس المأمون فقال : يا أبا الحسن الخلق مجبرون ؟

قال : الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب .

قال : فمطلقون ؟ قال : الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده و يكله إلى نفسه .

و عن أبي الحسن القرظي عن أبيه قال حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه　　　و اصبر و غط على عيوبه
و اصبر على سفه السفيـ　　　ـه و للزمان على خطوبه
و دع الجواب تفضلاً　　　و كل الظلوم على حسيبه

دخل على عليّ بن موسى بنيسابور قوم من الصّوفية فقالوا : إن أميرالمؤمنين المأمون نظر فيما ولّاه الله تعالى من الأُمور ثمّ نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس ثمّ نظر في أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم فردّ هذا الأمر إليك و الناس تحتاج إلى من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يركب الحمار و يعود المريض و يشيع الجنائز .

قال : و كان علي الرضا عليه السلام متّكئاً فاستوى جالساً ثم قال : كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزرّرة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب و جلس على متكآت آل فرعون ، و حكم و أمر و نهى و إنما يراد من الإمام القسط و العدل ، إذا قال صدق و إذا حكم عدل ، و إذا وعد أنجز ، إنّ الله لم يحرم ملبوساً و لا مطعوماً ، و تلا قوله تعالى ﴿ **قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من**

الرزق ﴾[١] .

و عن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله تعالى حوضي ، و من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لأهل الكبائر من اُمّتي فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل » .

و عن علي الرضا عليه السلام أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الشيب في مقدّم الرأس يمنٌ و في العارضين سخاء و في الذوائب شجاعة و في القفا شؤم » .

و عنه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لما اُسري بي الى السّماء رأيت رحِماً معلقة بالعرش تشكو رحِماً إلى ربها أنها قاطعةٌ لها قلت :كم بينك و بينها من أب ؟ قالت نلتقي في أربعين أبا» .

و عنه أنه قال : « من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة .

و من استغفر الله تعالى في كل يوم سبعين مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و وجبت له من الله الكرامة .

و من تصدّق في شعبان بصدقة و لو بشقة تمرة حرّم الله جسده على النار » .

و عنه أنه قال : « من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله وجبت له الجنة .

و من صام يوماً من وسطه شفّع في مثل ربيعة و مضر .

و من صام يوماً في آخره جعله الله من أملاك الجنة و شفّعه الله في اُمّه و أبيه و إخوانه و أعمامه و عمّاته و أخواله و خالاته و معارفه و جيرانه و إن كان فيهم من هو

---

١ - الأعراف ٧ : ٣٢ .

مستوجب النار »[١].

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبدالله المأمون وكان قائماً بخدمة الرضا عليه السلام قال : طلبني سيدي أبو الحسن الرضا عليه السلام في يوم من الأيام قال لي : يا هرثمة ! اني مطّلعك على أمر يكون سراً عندك لا تظهره لأحد مدة حياتي ، فان أظهرته حال حياتي كنت خصماً لك عند الله .

فحلفت له إنّي لا أتفوّه بما يقول لي لأحد مدة حياته .

فقال لي : اعلم ياهرثمة ! أنه قد دنا رحيلى و لحوقي بآبائي و أجدادي ، و قد بلغ الكتاب أجله و إنّي أُطعم عنباً و رمّاناً مفتوتاً فأموت ، و يقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هارون الرشيد و إنّ الله لا يُقدره على ذلك ، و إنّ الأرض تشتدّ عليهم فلا تعمل فيها المعاول ، و لا يستطيع حفرها ، فاعلم يا هرثمة ! إنّ مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني لموضع عيّنه لي ، فاذا أنا متّ و جهّزت فأعلمه بجميع ما قلت لك لتكونوا على بصيرة من أمري و قل له : إذا أنا وضعت في نعشي و أرادوا الصّلاة عليّ فلا يصلّ عليّ و ليتأنّ قليلاً يأتكم رجلٌ عربي متلثّم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته و ينزل عنها فيصلّي عليّ فصلّوا معه عليّ فإذا فرغتم من الصلاة عليّ و حملت إلى مدفني الذي عيّنته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً في قعره ماء أبيض فاذا كشفت عنه الطبقات

---

١ - نور الأبصار ص ١٧١ .



نضب الماء فهذا مدفني فادفنوني فيه ، الله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا .

قال هرثمة : فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنباً و رمّاناً فمات .

(عن أبي الصلت الهروي) قال : دخلت على الرضا عليه السلام و قد خرج من عند المأمون فقال يا أبا الصلت ! قد فعلوها و جعل يوحّد الله و يمجّده فأقام يومين و مات في اليوم الثالث .

قال هرثمة : فدخلت على الخليفة المأمون لمّا بلغه موت أبي الحسن علي الرضا عليه السلام فوجدت المنديل بيده و هو يبكي عليه ، فقلت يا أميرالمؤمنين ! ثمّ كلام أتأذن لي أن أقوله لك ؟ قال : قل ، فقصصت القصة عليه التي قالها لي الرضا عليه السلام من أولها إلى آخرها فتعجّب المأمونِ من ذلك .

ثم إنه أمر بتجهيزه و خرجنا بجنازته إلى المصلى و أخّرنا الصلاة عليه قليلاً فاذا بالرجل العربي قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما قال ، فنزل و لم يكلّم أحداً فصلّى عليه و صلّى الناس معه ، و أمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً و لا لبعيره .

ثم إنّ الخليفة قال : نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها فتعجّب الحاضرون من ذلك ، و تبين للمأمون صدق ما قلته له ، فقال أرني الموضع الذي أشار اليه فجئت بهم اليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض ، فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبرٌ معمورٌ فاذا في قعره ماء أبيض و أشرف عليه المأمون و أبصره ثم إنّ ذلك الماء نضب من وقته ، فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها و التراب .

و لم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى و مما سمعه مني و يتأسف عليه و

يندم ، و كلما خلوت معه يقول لي ياهرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأُعيد عليه الحديث فيتلهّف و يتأسّف و يقول إنا لله و إنا اليه راجعون .

و كانت وفاته سنة ثلاث و مائتين في آخر صفر و قيل غير ذلك و له من العمر إذ ذاك خمس و خمسون سنة في قرية يقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان و قبره في قبال هارون الرشيد .

﴿ أولاده عليه السلام ﴾

فقد قال ابن الخشّاب في كتابه مواليد أهل البيت : ولد الرضا عليه السلام خمسة بنين و ابنة واحدة و هم : محمد القانع ، و الحسن ، و جعفر ، و إبراهيم ، و الحسين ، و البنت[١] .

﴿ ٩ ﴾

﴿ الامام التاسع محمد بن علي الجواد عليهما السلام ﴾

و هو أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن حسين الشهيد بن علي امير المؤمنين بن أبي طالب عليهم السلام ذكره الشبلنجيُّ هكذا :

---

١ – نور الأبصار ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

أُمّه أُمّ ولد يقال لها سكينة المريسية .

(كنيته) أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر .

(ألقابه كثيرة) الجواد و القانع والمرتضى و أشهرها الجواد .

(صفته) أبيض معتدل .

(شاعره) حمّاد .

(بوّابه) عمر بن الفرات .

(نقش خاتمه) نعم القادر الله .

(معاصره) المأمون و المعتصم .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس و تسعين و مائة من الهجرة .

قال صاحب كتاب مطالب السؤل في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : هذا محمد أبو جعفر الثاني فانه قد تقدّم في آبائه أبو جعفر محمدالباقر بن علي فجاء هذا باسمه و كنيته و اسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني و ان كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر و مناقبه عليه السلام كثيرة[1] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٧٧ .

﴿ **غزارة علمه عليه السلام** ﴾

(نقل) غير واحد أنّ والده علياً الرضا عليه السلام لمّا توفي و قدم المأمون بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد فاجتاز بطريق البلد و ثم صبيان يلعبون و محمد الجواد واقفٌ عندهم .

فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان و وقف محمد و عمره اذ ذاك تسع سنين .

فلمّا قرب منه الخليفة نظر اليه فألقى الله على قلبه حبّه ، فقال له : يا غلام ! ما منعك من الانصراف كأصحابك ؟

فقال له محمد مسرعاً : يا أمير ! لم يكن بالطريق ضيقٌ فأُوسّعه لك ، و ليس لي جرم فأخشاك ، والظن بك حسن أنك لا تضرّ من لا ذنب له .

فأعجبه كلامه و حسن صورته ، فقال له : ما اسمك و اسم أبيك ؟

فقال : محمد بن علي الرضا ، فترحّم على أبيه و ساق جواده إلى مقصده ، و كان معه بزاة الصيد فلمّا بعد عن العمران أرسل بازاً على درّاجة فغاب عنه ، ثم عاد من الجوّ و في منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجّب من ذلك غاية العجب ، و رجع فرأى الصبيان على حالهم و محمد عندهم ففرّوا إلا محمد فدنا منه و قال له يا محمد ما في يدي ؟

فقال : يا أمير ! انّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيده بازات الملوك و الخلفاء كي يختبر بها سلالة بني المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كرامة له .

فقال له : أنت ابن الرضا حقاً و أخذه معه و أحسن اليه و قرّبه و بالغ في اكرامه .

و لم يزل مشعوفاً به لمّا ظهر له بعد ذلك من فضله و علمه و كمال عقله و



ظهور براهينه مع صغر سنه و عزم على تزويجه بابنته أُمّ الفضل و صمّم على ذلك ، فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد إلى أبيه ، فلمّا ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميّزه عن كافة أهل الفضل علماً و معرفةً و حلماً مع صغر سنه ، نازعوه في اتصاف محمد بذلك .

ثم تواعدوا على أن يرسلوا اليه من يختبره ، فأرسلوا الى يحيى بن أكثم و وعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً و خجّله .

فحضر الخليفة و خواص الدولة و معهم يحيى بن أكثم ، فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد ، فجلس عليه ، و سأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب و أوضحها[1] .

---

١ - لا يخفىٰ أنّ الشبلنجي قد حذف عن العبارة اسئلة القاضي يحيى بن أكثم و كذا أجوبة الامام الجواد عليه السلام عنها و نحن نذكرها من كتاب **تذكرة خواصّ الأمة** ص ٣٧٠ اتماماً للمطلب و هو على ما يلي.

قال يحيي بن أكثم للمأمون : أتأذن لي يا أميرالمؤمنين أن أسأل أبا جعفر ؟

فقال له المأمون : استأذنه في ذلك .

فأقبل عليه ابن أكثم فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟

قال له أبو جعفر عليه السلام : سل ان شئت .

قال يحيى : ما تقول جعلني الله فداك في محرم قتل صيداً ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : قتله في حِلّ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حرّاً كان المحرم أم عبداً ؟ صغيراً كان أم كبيراً ؟ مبتدءاً بالقتل أم معيداً ؟

من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد كان أم من كباره ؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً ؟

محرماً كان بالعمرة اذ قتله أو بالحج كان محرماً ؟

فتحيّر يحيىٰ بن أكثم و بان في وجهه العجز و الانقطاع و تلجلج حتى عرف جماعة من أهل =



فقال له الخليفة : أحسنت يا أبا جعفر ! فإن أردت أن تسأل يحيى و لو مسألة

= المجلس أمره .

فقال المأمون : الحمد لله على هذا النعمة و التوفيق لي في الرأي ، ثم نظر الى أهل بيته و قال لهم : أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ؟ ثم أقبل على أبي جعفر عليه‌السلام فقال له أتخطب يا أبا جعفر ! (ثم ذكر ابن الجوزي قصة زواجه عليه‌السلام من أمّ الفضل ابنة المأمون و بعد ما فرغ المأمون من مراسم هذا الزواج أقبل على أبي جعفر عليه‌السلام و قال) ان رأيت ـ جعلت فداك ـ أن تذكر الفقه فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه و نستفيده ؟

فقال أبو جعفر عليه‌السلام : نعم ! انّ المحرم اذا قتل صيداً في الحلّ و كان الصيد من ذوات الطير و كان من كبارها ، فعليه شاةٌ ، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً .

فاذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن ، و اذا قلته في الحرم فعليه الحمل و قيمة الفرخ .

و ان كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقرة .

و ان كان نعامة فعليه بدنة .

و ان كان ظبياً فعليه شاة .

فان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ **المائدة** ٥ : ٩٥ .

و اذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه و كان احرامه للحجّ نحره بمنى ، و ان كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة .

و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء .

و في العمد : المأثم ، و هو موضوع عنه في الخطاء .

و الكفارة على الحرّ في نفسه ، و على السيد في عبده .

و الصغير لا كفّارة عليه ، و هي على الكبير واجبة .

و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، و المصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

فقال له المأمون ! أحسنت يا أبا جعفر ! أحسن الله اليك ، فان رأيت أن تسأل يحيىٰ عن مسالة كما سألك الخ .



واحدة .

فقال يحيى : يسأل فان كان عندي جواب أجبت به و إلا استفدت الجواب و الله أسأله أن يرشدني للصواب .

فقال له أبو جعفر محمد الجواد : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النّهار حلّت له ، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر حلّت له ، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا دخل وقت العشاء الآخر حلّت له ، فلما انتصف الليل حرمت عليه ، فلمّا طلع الفجر حلّت له ، فبماذا حلّت هذه المرأة لهذا الرجل ؟ و بماذا حرمت عليه في هذه الأوقات ؟

فقال يحيى بن أكثم : لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك .

فقال أبو جعفر : هذه أمة لرجل نظر اليها شخص في أول النهار بشهوة و ذلك حرام عليه ، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلّت له ، فلمّا كان الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العشاء كفّر عن الظهار فحلّت له ، فلما كان نصف الليل طلّقها طلقةً واحدةً فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت الفجر راجعها فحلّت له .

فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال هل فيكم أحدٌ يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟

فقالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فقال : قد عرفتم الآن ما تنكرون ، و ظهر في وجه القاضي يحيى الخجل و التغير ، و عرف ذلك كل من بالمجلس .

فقال المأمون : الحمد الله على ما منّ به عليّ من السّداد في الأمر ، و التوفيق في الرأي .

و أقبل على أبي جعفر و قال : إنّي مزوّجك ابنتي أُم الفضل و إن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي و ابنتي .

فقال أبو جعفر : الحمدالله إقراراً بنعمته ، و لا إله إلا الله إخلاصاً بواحدنيته ، و صلى الله على سيدنا محمد سيد بريته و على الأصفياء من عترته ؛ أما بعد فقدكان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى : ﴿ **و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم** ﴾[١] ثم إنّ محمد بن علي بن موسى خطب إلى عبدالله المأمون ابنته أُمّ الفضل و قد بذل لها من الصّداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ و له خمسمائة درهم جياد فهل زوّجتني إيّاها على هذا الصّداق ؟ فقال المأمون زوّجتك ابنتي أُمّ الفضل على هذا الصّداق المذكور فقال أبو جعفر قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصّداق المذكور .

(قال الرمالي) : و أخرج الخدم مثل السفينة من الفضّة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب و الماورد و المسك فتطيّب منها الحاضرون على قدر منازلهم .

ثم وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون و فرقّت عليهم الجوائز على قدر رتبتهم .

ثم انصرف الناس و تقدّم المأمون بالصّدقة على الفقراء و المساكين و أهل

---

١ - النور ٢٤ : ٣٢ .



الأربطة و الخوانيق و المدارس و لم يزل عنده محمد الجواد معظّماً مكرّماً إلى أن توجه بزوجته أُم الفضل إلى المدينة الشريفة .

(روي) أنّ أُمّ الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر و تقول إنه يتسرى عليّ ، فكتب إليها أبوها يقول يابنية إنا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالاً فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت[١] .

﴿ معجزتان ﴾

رواهما الشبلنجيُ :

﴿ الأُولى ﴾ عن أبي خالد قال :كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من الشام مكبلاً بالحديد ، و قالوا إنه تنبّأ .

قال : فأتيت باب السجن و دفعت شيئاً للسجّان حتى دخلت عليه ، فإذا برجل ذو فهم و عقل و لبّ فقلت :يا هذا ما قصتك ؟

فقال : إني كنت رجلاً بالشام أعبدالله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام ، فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي ، فنظرت إليه فقال لي : قم فقمت معه فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة ، فقال لي تعرف هذا المسجد ؟ فقلت : نعم هذا مسجد الكوفة ، قال : فصلّ فصلّيت معه .

ثم انصرف فانصرفت معه قليلاً فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت

---

١ - نور الأبصار ص ١٧٨ .

معه .

ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعى الذي كنت فيه أعبدالله تعالى بالشام ثم غاب عني فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت .

فلمّا كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل عليّ فاستبشرت به ، فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي ، فلمّا أراد مفارقتي قلت له : بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت ؟ فقال : أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر .

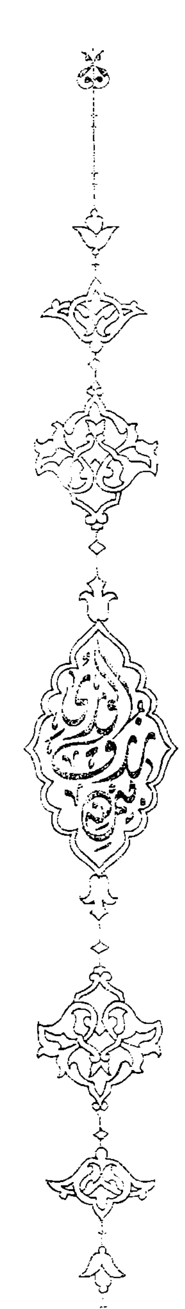
فحدّثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع ، فرفع ذلك إلى محمد بن عبدالملك الزيّات فبعث إليّ من أخذني من موضعي وكبّلني بالحديد ، و حملني إلى العراق ، و حبسني كما ترىٰ و ادّعى عليّ بالمحال .

فقلت له : أفأرفع قصّتك إلى محمد بن عبدالملك الزيات ؟

قال : افعل فكتبت عنه قصته و شرحت فيها أمره و رفعتها إلى محمد بن عبدالملك ، فوقّع على ظهرها قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن قال أبو خالد : فاغتممت لذلك و سقط في يدي، و قلت إلى غد آتيه و آمره بالصبر و أعده من الله الفرج ، و أُخبره بمقالة هذا الرجل المتجبّر .

فلمّا كان من الغد قال باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس و الموكّلين بالسجن في هرج ، فسألت ما الخبر ؟

فقيل لي : إنّ الرجل المتنبىء المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده و أصبحت قيوده و الأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندرى كيف خلص منها ؟ و طُلب فلم يوجد له أثرٌ و لا خبرٌ و لايدرون أ نزل في



الأرض أم عرج به إلى السماء .

فتعجّبت من ذلك و قلت في نفسي استخفاف ابن الزيّات بأمره و استهزاؤه بقصّته خلّصه من السجن كذا (نقله ابن الصباغ) .

﴿ **الثانية** ﴾ حكي أنّه لمّا توجّه أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيّعونه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيّب، فنزل هناك مع غروب الشمس و دخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلّي فيه المغرب وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة و قام ليصلي ، فصلى معه الناس المغرب ثم تنفّل بأربع ركعات و سجد بعدهن للشكر ، ثم قام فودّع الناس و انصرف فأصبحت النبقة و قد حملت من ليلتها حملاً حسناً فرآها الناس و قد تعجبوا من ذلك غاية العجب[1] .

﴿ من كلماته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : و من كلامه عليه السلام كما في (الفصول المهمّة) إنّ لله عباداً يخصّهم بدوام النعم فلا تزال فيهم مابذلوا فان منعوها نزعها الله عنهم و حولّها إلى غيرهم .

(و قال عليه السلام) ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت اليه حوائج الناس فمن لم يتحمّل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال .

---

١ - نورالأبصار ص ١٧٩ .

(و قال عليه السلام) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة اليه لأنّ لهم أجره و فخره و ذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبتدىء فيه بنفسه .

(و قال عليه السلام) من أجَلَّ إنساناً هابه ، و من جهل شيئاً عابه ، و الفرصة خلسة ، و من كثر همه سقم جسمه ، و عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه ، و في موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه .

(و قال عليه السلام) من استغنى بالله افتقر الناس اليه ، و من اتقى الله أحبّه الناس .

(و قال عليه السلام) الجمال في اللسان و الكمال في العقل .

(و قال عليه السلام) العفاف زينة الفقر ، و الشكر زينة البلاء ، و التواضع زينة الحسب ، و الفصاحة زينة الكلام ، و الحفظ زينة الرواية ، و خفض الجناح زينة العلم ، و حسن الأدب زينة الورع ، و بسط الوجه زينة القناعة ، و ترك ما لا يعني زينة الورع .

(و قال عليه السلام) حسب المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحداً بما يكره ، و من حسن خلق الرجل كفّه أذاه ، و من سخائه برّه بمن يجب حقه عليه ، و من كرمه إيثاره على نفسه ، و من إنصافه قبول الحق إذا بان له ، و من نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، و من حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك ، و من رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره ، و من حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ، و من علامة صداقته كثرة موافقته و قلة مخالفته ، و من شكره معرفة إحسان من أحسن اليه ، و من تواضعه معرفته بقدره ، و من سلامته قلة حفظه لعيوب غيره و عنايته باصلاح عيوبه .



(و قال عليه السلام) العامل بالظلم و المعين عليه و الراضي به شركاء .

(و قال عليه السلام) مِن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل ، و الطامع في وثاق الذلّ ، و من طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً .

(و قال عليه السلام) العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

(و قال عليه السلام) الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت .

(و عنه عليه السلام) ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة الاستغفار و لين الجانب وكثرة الصدقة ؛ و ثلاث من كنّ فيه لم يندم : ترك العجلة ، و المشورة ، و التوكل على الله عند العزم .

(و قال عليه السلام) لو سكت الجاهل ما اختلف الناس .

(و قال عليه السلام) مقتل الرجل بين فكيه ، و الرأي مع الأناة ، و بئس الظهير الرأي الفطير .

(و قال عليه السلام) ثلاث خصال تجتلب بهنّ المودّة : الانصاف في المعاشرة ، و المواساة في الشدة ، و الانطواء على قلب سليم .

(و قال عليه السلام) الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته ، و الناس اخوان فمن كانت اخوّته في غير ذات الله فانها تعود عداوة ، و ذلك قوله تعالى ﴿ **الا خلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين** ﴾[1] .

(و قال عليه السلام) من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه .

(و قال عليه السلام) كفر النعمة داعية المقت ، و من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك .

---

١ - **الزخرف** ٤٣ : ٦٧ .

(و قال عليه السلام) لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .

(و قال عليه السلام) من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه و من و عظه علانية فقد شانه .

(و قال عليه السلام) لا يزال العقل و الحمق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة ، فاذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه ، و ما أنعم الله عزّ و جلّ على عبد نعمة فعلم أنها من الله الاكتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها ، و لا أذنب عبد ذنباً فعلم أنّ الله مطلع عليه و أنه ان شاء عذّبه و إن شاء غفر له الاّ غفر له قبل أن يستغفره .

(و قال عليه السلام) الشريف كل الشريف من شرّفه علمه ، و السؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه .

(و قال عليه السلام) لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا و لا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم ، و ارحموا ضعفاءكم و اطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم .

(و قال عليه السلام) من أمل فاجراًكان أدنى عقوبته الحرمان .

(و قال عليه السلام) من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

(و عنه عليه السلام) لوكانت السّموات و الأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً .

(و عنه عليه السلام) أنه قال لِبشر بن سعد لمّا قدم مصر يا بِشر إنّ للمحن اُخريات لابدّ أن تنتهي اليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فان مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها .

(و عنه عليه السلام) من وثق بالله و توكّل على الله نجّاه الله من كل سوء و حرز من كل عدو ، و الدين عز ، و العلم كنز ، و الصمت نور ، و غاية الزهد الورع ، و لا هدم للدين مثل البدع ، و لا أفسد للرجال من الطمع ، و بالراعي تصلح الرعيّة ، و بالدعاء

تصرف البليّة ، و من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر ، و من غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المُنىٰ . و في هذا القدر كفاية ، وفّقنا الله للعمل المرضي و المسلمين بجاه سيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم [1] .

« شهادته عليه السلام »

قال الشبلنجيُّ : توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد و كان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة ، فقدم بغداد و معه زوجته أُم الفضل بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين و مائتين و كانت وفاته في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة و دُفن في مقابر قريش عند قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام .

و دخلت امرأته أُمّ الفضل إلى قصر المعتصم .

و كان له من العمر يومئذ خمس و عشرون سنة و يقال إنه مات مسموماً يقال إنّ أُمّ الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها .

(و خلف) من الولد علياً و موسى و فاطمة و أمامة [2] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

٢ - نور الأبصار ص ١٨٠ .



﴿ ١٠ ﴾

﴿ الامام العاشر علي بن محمد الهادي عليه السلام ﴾

و هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام .

و صفه العلامة الشبلنجيُّ هكذا :

قال ابن الخشّاب في كتابه مواليد أهل البيت عليهم السلام :

﴿ مولده عليه السلام ﴾

ولد أبوالحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة.

(و أُمّه) أُم ولد يقال لها سمانة المغربية و قيل غير ذلك .

(و كنيته) أبو الحسن لا غير .

(و ألقابه) الهادي و المتوكل و الناصح و المتقي و المرتضى و الفقيه و الأمين و الطيّب ، و أشهرها الهادي .

و كان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم .

(صفته) أسمر اللون .

(شاعراه) العوفي و الديلمي .



(بوّابه) عثمان بن سعيد .

(نقش خاتمه) الله ربي و هو عصمتي من خلقه .

(معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخي المتوكّل .

﴿ مناقبه عليه السلام كثيرة ﴾

قال في الصواعق : كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً و منحاً .

و في حياة الحيوان سمّي العسكري لأنّ المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة و أقرّه بسُرّ من رأى على صيغة المبني للمفعول ، و تسمّى العسكر لأنّ المعتصم لما بناها أنتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر .

و في تاريخ القرماني ما نصّه : سُرّ من رأى هي سامراء و هي مدينة عظيمة كانت على شرقي دجلة بين تكريت و بغداد ، بناها المعتصم سنة إحدى و عشرين و مائتين و سكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله و هي اليوم خراب و بها أناس قلائل كالقرية انتهى[1] .

---

١ - نور الأبصار ص ١٨١ .



﴿ إعجازه عليه السلام ﴾

نقل بعض الحفّاظ أنّ امرأة زعمت أنها شريفة[1] بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدلّ على محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فأجلسه معه على سريره و سأله فقال إن الله حرّم لحم أولاد الحسين عليه السلام على السباع فتلقى للسباع ، فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها .

ثم قيل للمتوكل ألا تجرّب ذلك فيه ؟

فأمر بثلاثة من السّباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعا به فلمّا دخل من الباب أغلقه و السّباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها فلمّا مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه و قد سكنت فتمسّحت به ، و دارت حوله ، و هو يمسحها بكمّه ثم ربضت ، فصعد للمتوكل فتحدّث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة .

و قيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه و قال تريدون قتلي ؟

ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك .

لكن نقل المسعودي : أنّ صاحب هذه القصة علي أبو الحسن العسكري ولده (المترجم له) و هو وجيهٌ لأنّ المتوكل لم يكن معاصراً لمحمد الجواد بل لولده علي الهادي عليه السلام[2] .

و أضاف ابن حجر بعد ما قال : مرّ أنّ الصواب في قضية السباع الواقعة من

---

١ – أي علوية من ذرية الحسين عليه السلام .

٢ – نور الأبصار ص ١٧٩ .



المتوكّل أنّه هو (أي علي الهادي عليه السلام) الممتحن بها و أنّها لم تقربه بل خضعت و اطمأنّت لمّا رأته، و يوافقه ما حكاه المسعودي و غيره أنّ يحيى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط لمّا هرب الى الديلم ثم أُتي به الرشيد و أمر بقتله، فأُلقي في بركة فيها سباع قد جوّعت، فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه و هابت الدنوّ منه فبنى عليه ركن بالجص و الحجر و هو حيّ[١].

﴿ اخباره عليه السلام بالغيب ﴾

(عن الأسباطي) قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام في المدينة الشريفة من العراق، فقال لي : ما خبر الواثق عندك ؟ فقلت : خلفته في عافية و أنا من أقرب الناس به عهداً و هذا مقدمي من عنده و تركته صحيحاً.

فقال : إنّ الناس يقولون إنه مات، فلمّا قال لي إنّ الناس يقولون إنه قد مات، فهمت أنه يعني نفسه، فسكتُّ.

ثم قال ما فعل ابن الزيّات ؟

قلت : الناس معه و الأمر أمره.

فقال : أما إنه شؤم عليه، ثم قال لابدّ أن تجري مقادير الله و أحكامه يا جيران ! مات الواثق، و جلس جعفر المتوكل، و قتل ابن الزيات.

فقلت : متى ؟ قال : بعد مخرجك بستة أيام.

---

١ - الصواعق المحرقة ص ١٢٤.



فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال[1] .

﴿ الامام الهادي و المتوكل ﴾

(حكي) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سرمن‌رأى أنّ عبدالله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب و الصلاة بالمدينة فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل و كان يقصده بالأذى .

فبلغ أبا الحسن سعايته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبدالله بن محمد عليه و قصده له بالأذى .

فكتب إليه المتوكل كتاباً يعتذر له فيه و يلين له القول و دعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول و الفعل .

و لمّا وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهّز للرحيل و خرج و خرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى المتوكل و من معه من الجند حافّين به إلى أن وصل إلى سرّ من رأى ، فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه ، ثم إنّ المتوكل أفرد له داراً حسنة و أنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرماً معظماً مبجّلاً في ظاهر الحال ، و المتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه .

(و في) تاريخ ابن خلكان و غيره أنه سُعي به إلى المتوكل بأنّ في منزله سلاحاً و كتباً من شيعته و أنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث إليه جماعته فهجموا عليه

---

١ - **نور الأبصار** ص ١٨٢ .

في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل و المتوكل يشرب فأعظمه و أجلّه و قال له أنشدني ، فقال له إني قليل الرواية للشعر فقال لابدّ فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم ... و أودعوا حفراً يابئسما نزلوا

ناداهمو صارخ من بعد ما رحلوا ... أين الأسرّة و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت محجّبة[1] ... من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تنتقل

يا طالما أكلوا يوماً و ما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أُكلوا

قال فبكى المتوكل و الحاضرون و قال له المتوكل : يا أبا الحسن هل عليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها و صرفه معظماً مكرّماً[2] .

و أضاف العلامة الإربلي : فأشفق من حضر على علي (الهادي) و ظنّ أنّ بادرة تبدر اليه ، فبكى المتوكل بكاءً كثيراً حتى بلّت دموعه لحيته و بكى من حضر ثم أمر برفع الشراب[3] .



١ - و في بغض الكتب « منعّمة » .

٢ - **وفيات الأعيان** ج ٣ ص ٢٧٣ .

٣ - **كشف الغمّة** ج ٢ ص ٣٨٦ .

﴿ من كلماته عليه السلام ﴾

حيث لم نجد شيئاً من كلماته في نور الأبصار و لا في الصواعق و الوفيات أضفناها من كشف الغمة للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى الإربلي (المتوفى ٦٩٣):

قال الامام علي الهادي عليه السلام مخاطباً فتح بن يزيد الجرجاني : من إتقىٰ الله يُتّقى و من أطاع الله يطاع .

(و قال عليه السلام) يا فتح ! من أطاع الخالق لم يبال بالمخلوق ، و من أسخط الخالق فأيقن أن يحلّ به سخط المخلوق .

(و قال عليه السلام) إنّ الخالق لا يوصف الا بما وصف به نفسه ، و أنّى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، و الأوهام أن تناله ، و الخطرات أن تحدّه ، و الأبصار عن الاحاطة به ، جلّ عمّا يصفه الواصفون ، و تعالى عمّا ينعته الناعتون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، و في قربه بعيد ، كيّف الكيف فلا يقال كيف ، و أيّن الأين فلا يقال أين ، اذ هو منقطع الكيفية و الأينية ، هو الواحد الأحد الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ، فجلّ جلاله (الى آخر كلامه الطويل)[1] .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : توفي أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد عليهما السلام بسرّ من

١ - كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٨٦ .



رأى و له من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و مائتين ، و دفن في داره بسرّمن رأى ، يقال إنه مات مسموماً و الله أعلم .

(و أولاده) محمد و الحسن و محمد أبو جعفر و له ابنة .

﴿ ١١ ﴾

﴿الامام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليهما السلام ﴾

هو أبو محمد الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ذكره الشبلني و ابن حجر في كتابيهما ، قال الشبلنجي :

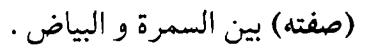
﴿ مولده عليه السلام ﴾

ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخرة سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين من الهجرة .

(أمّه) أمّ ولد يقال لها حديث و قيل سوسن .

(و كنيته) أبو محمد .

(و ألقابه) الخالص و السراج و العسكرى .



(صفته) بين السمرة و البياض .

(شاعره) ابن الرومي .

(بوّابه) عثمان بن سعد .

(نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السمٰوات و الأرض .

(معاصره) المعتزّ و المهتدي و المعتمد .

﴿ مناقبه عليه السلام كثيرة ﴾

ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه و هو صبي يبكي و الصبيان يلعبون فظن أنه يتحسّر على ما بأيديهم ، فقال له أشترى لك ما تلعب به ؟

فقال : يا قليل العقل ! ما للعب خُلقنا .

فقال له : فلماذا خلقنا ؟

قال : للعلم و العبادة .

فقال له : من أين لك ذلك ؟

فقال : من قوله تعالى **﴿ أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً و أنّكم الينا لا ترجعون ﴾**[1] ثم سأله أن يعظه ، فوعظه بأبيات ثم خرّ الحسن عليه السلام مغشياً عليه فلمّا أفاق قال له : ما نزل بك و أنت صغير و لا ذنب لك ؟

فقال : اليك عني يا بهلول ! اني رأيت و الدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا

---

١ - **المؤمنون** ٢٣ : ١١٥ .



تتقد إلا بالصغار و انّي أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم[١] .

﴿ اخباره بالغيب ﴾

قال الشبلنجيُّ :

﴿ كراماتٌ : الأُولىٰ ﴾ هي جامعة الكرامات حدّث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال : كنت في الحبس الذي في الجوسق[٢] أنا و الحسن بن محمّد و محمّد بن إبراهيم العمري و فلان و فلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه‌السلام و أخوه جعفر فحففنا بأبي محمد و كان المتولي للحبس صالح بن يوسف الحاجب .

و كان معنا في الحبس رجلٌ أعجمي ، فالتفت الينا أبو محمد و قال لنا سرّاً : لولا أنّ هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرّج الله عنكم ، و هذا الرجل قد كتب فيكم قصّة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه ، و هي في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون ، فاحذروا شرّه .

قال أبو هاشم : فما تمالكنا أن تحاملنا جميعاً على الرجل ففتّشناه فوجدنا القصّة مدسوسة معه في ثيابه و هو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه و حذّرناه .

﴿ الثانية ﴾ كان الحسن عليه‌السلام في السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه ، قال أبو هاشم : فكنت أصوم معه فلمّا كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامي

---

١ - **نور الأبصار** ص ١٨٣ و ذكره ابن حجر أيضاً في **الصواعق** ص ١٢٤ .

٢ - قريةٌ قرب بغداد .

فجاء لي بكعك فذهبت إلى مكان خال في الحبس فأكلت و شربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة و لم يشعر بي أحد .

فلمّا رآني تبسّم و قال أفطرت ؟ فخجلت ، فقال : لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت و أردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه ، و قال عزمت عليك أن تفطر ثلاثاً فان البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث .

قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في الحبس بسبب أن قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الصحراء و خرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلّما مدّ يده إلى السّماء هطلت بالمطر .

ثم خرجوا في اليوم الثاني و فعلوا كفعلهم أول يوم ، فهطلت السّماء بالمطر ، فعجب الناس من ذلك و داخل بعضهم الشّك و صبأ بعضهم إلى دين النصرانية فشقّ ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن عليه السلام من الحبس و ائتني به .

فلمّا حضر أبو محمد الحسن عليه السلام عند الخليفة قال له أدرك أُمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة .

فقال أبو محمد عليه السلام : دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث .

فقال له : قد استغنى الناس عن المطر و استكفوا فما فائدة خروجهم ؟

قال : لأُزيل الشك عن الناس و ما وقعوا فيه .

فأمر الخليفة الجاثليق و الرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم و أن يخرج الناس .

فخرج النصارى و خرج معهم أبو محمد الحسن عليه السلام و معه خلق من المسلمين ، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون و خرج راهب معهم و مدّ يديه الى السّماء و رفعت النصارىٰ و الرّهبان أيديهم أيضاً كعادتهم فغيمت السّماء في الوقت و نزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب و أخذ ما فيها ، فإذا ما بين أصابعه عظم آدميّ فأخذه أبو محمد الحسن و لفّه في خرقة ، و قال لهم استسقوا فانقشع الغيم و طلعت الشمس فتعجّب الناس من ذلك و قال الخليفة ما هذا يا أبا محمد ؟

فقال : هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء و ماكُشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السّماء إلا هطلت بالمطر .

فاستحسنوا ذلك و امتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمد الحسن عليه السلام إلى داره بسرّ من رأى و قد أزال عن الناس هذه الشبهة و سرّ الخليفة و المسلمون بذلك و كلّم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن ، فأخرجهم و أطلقهم من أجله و أقام أبو محمد بمنزله معظّماً مكرّماً و صلات الخليفة و إنعاماته تصل إليه في كل وقت ، نقله غير واحد[١] .

﴿ **الثالثة** ﴾ عن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لمّا دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس ، قال لى : يا عيسى ! لك من العمر خمس و ستون سنة و شهر و يومان قال و كان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال هل رزقت ولداً ؟ قلت : لا ، فقال : اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم أنشد :

---

١ - **نور الأبصار** ص ١٨٤ و ذكره ابن حجر أيضاً فى **الصواعق** ص ١٢٤ .

من كان ذا عضد يدرك ظلامته　　　إنّ الذليل الذي ليست له عضد

فقلت ياسيدي ! و أنت لك ولد ؟ فقال : إني و الله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً و عدلاً و أمّا الآن فلا .

﴿ **الرابعة** ﴾ عن إسماعيل بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنهم قال قعدت لأبي الحسن على باب الدار حتى خرج فقمت في وجهه و شكوت اليه الحاجة و الضرورة و أقسمت أني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه .

فقال : تقسم و قد دفنت مائتي دينار ، و ليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية ، أعطه يا غلام ما معك ، فأعطاني مائة دينار فشكرت له و ولّيت ، فقال : ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها .

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها فنقلتها إلى موضع آخر و دفنتها و لم يطلع عليها أحد .

ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها في مكانها فلم أجدها فحزنت و شقّ ذلك عليّ فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها و قد أخذها و أنفدها و لم أحصل منها على شيء و كان كما قال .

﴿ **الخامسة** ﴾ عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم و كان مؤاخياً لأبي محمد الحسن عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي بالغنى و كنت قد أملقت و خفت الفضيحة .

فخرج الجواب على يده : أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى ، مات ابن عمك يحيى بن حمزة و خلف مائة ألف درهم و لم يترك وارثاً سواك ، و هي واردة عليك عن قريب فاشكر لله و عليك الاقتصاد و إياك و الإسراف .

فورد عليّ المال و الخبر بموت ابن عمّي كما قال عن أيام قلائل ، و زال عنّي



الفقر و أدّيت حق الله تعالى فيه و بررت إخواني و تماسكت بعد ذلك و كنت قبل ذلك مبذّرا[1]

﴿ نبذة من كلماته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُ : عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول « إنّ في الجنة باباً يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف » فحمدت الله في نفسي و فرحت بما أتكلّف من حوائج الناس ، فنظر إليّ و قال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإنّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .

و عنه أيضاً قال سمعت أبا محمد يقول : بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها[2] .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

حكى الشبلنجيُ عن الفصول المهمة : و لمّا ذاع خبر وفاته ارتجّت سرّمن‌رأى و قامت صيحةٌ واحدةٌ و عطّلت الأسواق ، و غلقت الدكاكين ، و ركب بنو هاشم و القوّاد و الكتّاب و القضاة و المعدّلون و سائر الناس إلى جنازته ، فكانت سرّمن‌رأى يومئذ شبيهةً بالقيامة .

---

١ – نور **الأبصار** ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٢ – المصدر .



فلمّا فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبي عيسى بن المتوكل ليصلّي عليه فصلّى عليه[١] و دفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسرّمن‌رأى .

وكانت و فاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين و مائتين و خلف من الولد ابنه محمداً[٢] .

و قال ابن حجر : انه مات بسرّمن‌رأى و دفن عند أبيه و عمّه ، و عمره ثمانية و عشرون سنة ، و يقال انه سمّ أيضاً[٣] .

﴿ ١٢ ﴾

﴿ الامام الثاني عشر (محمد) المهدي بن الحسن عليهما‌السلام ﴾

و هو أبوالقاسم (محمد) المهدي بن الحسن‌العسكري بن علي‌الهادي بن محمدالجواد بن علي‌الرضا بن موسى‌الكاظم بن جعفرالصادق بن محمدالباقر بن علي زين‌العابدين بن الحسين بن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب **صلوات الله عليهم أجمعين** .

قال ابن حجر : و لم يخلف (أي الحسن العسكري عليه‌السلام) غير ولده (أبي

---

١ - لا يخفى أنّ الامام لا يصلّي عليه الا الامام و بناءً عليه فالصّلاة المذكورة كانت ظاهرية على ما رآه المتوكل ، و روايات الخاصة دالة على أنّ الامام المهدي عليه‌السلام هو الذي صلّى على أبيه (راجع **كتاب الغيبة للشيخ الطوسي** رحمه‌الله ص ٢٥٨) .

٢ - المصدر .

٣ - **الصواعق المحرقة** ص ١٢٤ .



القاسم الحجة عليه السلام) وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين[١] لكن آتاه الله الحكمة ، و يسمّى القائم المنتظر[٢] .

و قال الشبلنجيُّ :

(أُمه) أُم ولد يقال لها نرجس و قيل : صقيل و قيل : سوسن .

(كنيته) أبوالقاسم .

(لقّبه) الإمامية بالحجّة ، و المهدي ، و الخلف الصالح ، و القائم ، و المنتظر ، و صاحب الزمان ، و أشهرها المهدي .

(صفته) شابٌ مربوع القامة ، حسن الوجه و الشعر ، يسيل شعره على منكبيه أقنى الأنف أجلى الجبهة .

(بوّابه) محمد بن عثمان .

(معاصره) المعتمد .

و هو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية .

و في الفصول المهمة[٣] قيل : إنه غاب في السرداب و الحرس عليه ، و ذلك في سنة ست و ستين و مأتين .

قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان : و من الأدلة على كون المهدي عليه السلام حيّاً باقياً بعد غيبته و إلى الآن ، و أنّه لا امتناع في بقائه : بقاء عيسى ابن مريم و الخضر و إلياس من أولياء الله

---

١ - و على هذا كانت ولادته سنة (٢٥٥) لأنّ وفاة العسكري عليه السلام في سنة (٢٦٠) .

٢ - **الصواعق المحرقة** : ١٢٤ .

٣ - للشيخ نورالدين علي بن محمد بن الصبّاغ المالكي المكّي المتوفى (٨٥٥) و أمّا غيبة الامام الثاني عشر فى السرداب، فلم يقل به من علماء الامامية أحدٌ.

تعالى، و بقاء الأعور الدجّال و إبليس اللعين من أعداء الله تعالى، و هٰؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب و السنة.

أما عيسىٰ عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى ﴿ **و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته** ﴾[1] و لم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحدٌ فلابدّ أن يكون في آخر الزمان.

و من السنة ما رواه مسلم في صحيحه[2] عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجّال قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: « فينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين »[3].

و أمّا الخضر و إلياس فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر و إلياس باقيان يسيران في الأرض[4].

و أمّا الدجّال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حديثاً طويلاً عن الدجّال فكان فيما حدّثنا أن قال: « يأتي و هو محرّم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السّباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجلٌ هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول الدجّال إن قتلت هذا ثم

---

١ – النساء ٤: ١٥٩

٢ – **صحيح مسلم** ج ٤ ص ٢٢٥٣ كتاب الفتن و أشراط السّاعة ح ١١٠

٣ – قال في هامش **صحيح مسلم**: المنارة البيضاء: هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، و المهرودتان: روي بالدال المهملة و الذال المعجمة و المهملة أكثر، و معناه لابسٌ مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

٤ – راجع **تاريخ الطبري** ج ١ ص ٣٦٥ و ٤٦٤.



أحييته أتشكّون في الأمر ؟ فيقولون لا ، فيقتله ثم يحييه[١] فيقول حين يحييه و الله ما كنت فيك قطّ أشد بصيرة منّي الآن ، قال : فيريد الدجّال أن يقتله فلن يسلّط عليه ، قال إبراهيم بن سعيد : يقال إنّ هذا الرجل هو الخضر »[٢] و هذا لفظ صحيح مسلم .

و أمّا الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب و هو قوله تعالى ﴿ **إنّك من المنظرين** ﴾[٣] .

و أمّا بقاء المهدي فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى ﴿ **ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون** ﴾[٤] قال هو المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام .

و أمّا من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدي .

و قد قال مقاتل بن سليمان و من تابعه من المفسّرين في تفسير قوله تعالى ﴿ **و إنه لعلم للسّاعة** ﴾[٥] قال : هو المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان و بعد خروجه تكون أمارات السّاعة و قيامها[٦] .

(ثم قال الشبلنجي) قال القطب الشعراني في اليواقيت و الجواهر : المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ابن الحسين و مولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين و هو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا

---

١ - لا يخفىٰ أنّ الإحياء لا يقدر عليه أحدٌ الّا الله القادر المتعال أو من يأذنه .

٢ - **صحيح مسلم** ج ٤ ص ٢٢٥٦ كتاب الفتن و أشراط الساعة ح ١١٢ .

٣ - **الأعراف** ٧ : ١٥

٤ - **الصّف** ٦١ : ٩.

٥ - **الزخرف** ٤٣ : ٦١ .

٦ - نور الأبصار ص ١٨٦.

أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطلّ على بركة الرطل بمصر المحروسة و وافقه على ذلك سيدي علي الخوّاص .

(صفته) شابٌ أكحل العينين ، أزجّ الحاجبين ، أقنى الأنف ،كثّ اللحية ، على خدّه الأيمن خالٌ .

و أخرج الروياني و الطبراني و غيرهما : « المهديُّ عليه السلام من ولدي وجهه كالكوكب الدُرّيّ ، اللّون لونٌ عربيٌّ و الجسم جسمٌ إسرائيليٌّ أي طويل ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات .

و اعلم أنّ المهدي عليه السلام إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصّتهم و عامّتهم ، و له رجال إلهيّون يقيمون دعوته و ينصرونه ، هم الوزاء له يتحملون أثقال المملكة عنه ، و يعينونه على ما قلّده الله ، ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متّكئاً على ملكين ملك عن يمينه و ملك عن يساره[1] .

ثم قال الشبلنجيُّ :

« فوائد : الأولى » قال في الصواعق الأظهر أنّ خروج المهدي قبل نزول عيسى عليه السلام و قيل بعده .

[الثانية] تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه من أهل بيته و أنّه يملأ الأرض عدلاً .

[الثالثة] تواترت الأخبار على أنّه يعاون عيسى على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين بالشام .

[الرابعة] جاء في بعض الآثار أنه خرج في وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث

---

١ – **نور الأبصار** ص ١٨٧ .



أو خمس أو سبع أو تسع .

[الخامسة] أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرّق الجند إلى الأمصار .

[السادسة] أنّ السنة من سنيه مقدار عشر سنين .

[السابعة] أنّ سلطانه يبلغ المشرق و المغرب تظهر له الكنوز لا يبقى في الأرض خراب إلا عمره[1] .

علائم ظهوره عليه السلام

ثم قال الشبلنجيُ :

و هذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إذا تشبّه الرجال بالنّساء و النّساء بالرجال ، و ركبت ذوات الفروج السروج و أمات الناس الصلوات ، و اتبعوا الشهوات ، و استخفّوا بالدماء ، و تعاملوا بالربا ، و تظاهروا بالزنا ، و شيّدوا البناء ، و استحلّوا الكذب ، و أخذوا الرشا ، و اتّبعوا الهوى ، و باعوا الدّين بالدنيا ، و قطعوا الأرحام ، و ضنّوا بالطعام ، وكان الحلم ضعفاً ، و الظلم فخراً ، و الأُمراء فجرة ، و الوزراء كَذِبَة ، و الأُمناء خَوَنة ، و الأعوان ظَلَمة ، و القرّاء فَسَقة ، و ظهر الجور ، و كثر الطلاق ، و بدأ الفجور ، و قبلت شهادة الزور ، و استغنت النساء بالنساء ، و اتخذ الفيء مغنماً ، و الصدقة مغرماً ، و اتقي الأشرار مخافة ألسنتهم ، و خرج السفياني من الشام ، و اليماني من اليمن ، و خسف بالبيداء بين مكة و المدينة ، و قتل غلام من

---

١ - نور الأبصار ص ١٨٩ .

آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الركن و المقام ، و صاح صائح من السماء بأنّ الحق معه و مع أتباعه » .

قال : فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة و اجتمع عليه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأوّل ما ينطق به هذه الآية : ﴿ **بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾[١] .

ثم يقول : أنا بقية الله و خليفته و حجته عليكم ، فلا يسلّم عليه أحدٌ إلا قال السّلام عليك يا بقية الله في الأرض ، فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي و لا نصراني و لا أحدٌ ممن يعبد غير الله تعالى إلاّ آمن و صدّق و تكون الملّة واحدةً ملة الإسلام ، وكل ماكان في الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نارٌ من السماء فتحرقه و الله أعلم[٢] .

(أقول) هذه سلسلة الامامة و الخلافة الالٓهية التي بدأت في « غدير خمّ » من جانب الله تعالى تدلّ عليها الآية : ﴿ **و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا اليهم فعل الخيرات و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾[٣] .

(ان قلت) انّ سياق الآية أنّ المراد هم أنبياء الله تعالى كابراهيم و لوط و اسحاق و يعقوب ، فلا تشمل الأئمة الاثني عشر .

(قلنا) هل تشمل هذه الآية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟ و الجواب أنها تشمله يقيناً ، فكذا أوصياءه الاثنا عشر ، اذ لا معنى لوجود الأئمة الهادين في الزمان السابق و عدمهم في اللاحق لا سيما في زماننا هذا الذي مسائله أكثر و أصعب .

---

١ – **هود** ١١ : ٨٦

٢ – المصدر .

٣ – **الأنبياء** ٢١ : ٧٣



و قبل ذلك بينّا السلسلة التي وضعها الناس بإزاء هذه السلسلة الالٓهية ، فكأنّه هنا طريقان و سبيلان ، كما قال القرآن :

﴿ ألم نجعل له عينين و لساناً و شفتين و هديناه النجدين ﴾ [1]

و من البديهي أنّ واحداً من هذين الطريقين حق ، لا كلاهما ، فانظر أيهما هو ؟ لا ريب في أنّه هو الطريق الثاني ، أي طريق أهل البيت الطاهرين عليهم السلام و طريق الأئمة الاثنا عشر الذين دلّت عليه أخبار النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و هم قرناء القرآن في قوله صلى الله عليه و آله و سلم : عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمّاً فحمدالله و أثنى عليه و وعظ و ذكّر . ثمّ قال :

« أما بعد . ألا أيها النّاس ! فانما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب . و أنا تاركٌ فيكم ثقلين : أوّ لهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به (ثم قال) و أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي . أُذكركم الله في أهل بيتي . أُذكّركم في أهل بيتي » .

(ثم قال الراوي) فقلنا لزيد بن أرقم : من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال : لا و أيم الله ! إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر . ثم يطلّقها فترجع الى أبيها و قومها . أهل بيته أصله و عَصَبَتُه الذين حرموا الصدقة بعده[2] .

و هذا الطريق (أي طريق أهل البيت و هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام) عبّر عنه القرآن الكريم مرةً بلفظ «الصراط» كما في قوله تعالى : **﴿ اهدنا الصراط**

---

١ - البلد ٩٠ : ٨

٢ - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٤ ـ ١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة باب علي بن أبي طالب عليه السلام ح ٣٦ ـ ٣٧ .

المستقيم﴾[1] و قوله تعالى: **﴿ و الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾**[2] و قوله تعالى : **﴿ هذا صراط عليّ مستقيم ﴾**[3].

و روي في تفسير الخازن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : صراط علي هو المستقيم و صراط غيره غير مستقيم[4].

و قال القندوزي : انّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام قام على المنبر بالكوفة و هو يخطب فقال ممّا قال : ... أنا النبأ العظيم أنا الصراط المستقيم[5].

و هذا هو الصّراط الذي تهدّد الشيطان بالقعود عليه و إغواء الناس عنه ،كما قال الله العزيز في القرآن : **﴿ لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينّهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين ﴾**[6].

و مرةً أُخرىٰ بلفظ «السبيل» أو «سبيل الله» أو «سبيلي» ذكره القرآن في الآيات الآتية :

﴿ انّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً﴾[7].

و **﴿ و لا تتّبع الهوىٰ فيضلّك عن سبيل الله ﴾**[8].

---

١ – **الفاتحة** ١ : ٦

٢ – **البقرة** ٢ : ٢١٣

٣ – **الحجر** ١٥ : ٤١

٤ – **تفسير الخازن** ج ١ ص ١٧ ط مصر .

٥ – **ينابيع المودّة** الجزء ٢ الباب ٦٨ ص ١٥٣ ط ق .

٦ – **الأعراف** ٧ : ١٦ ـ ١٧ .

٧ – **الانسان** ٧٦ : ٣ .

٨ – **ص** ٣٨ : ٢٦ .



و ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا و من اتبعني** ﴾[1] .

و هذه هي السبيل التي يتحسّر الانسان يوم القيامة على الحرمان منها في دار الدنيا ، كما قال القرآن الكريم : ﴿ **و يوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا وليتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً** ﴾[2] .

﴿ عودٌ الى البدء ﴾

لقد طال بنا البحث تحت البرهان السادس في موضوع الامامة في ذيل الآية السالفة الذكر و هي : ﴿ **يوم ندعو كل اناس بامامهم** ﴾[3] فهذه الآية لا تدلّ على ضرورة الامام فحسب ، بل تدلّ على وجوده في كل عصر و زمان ، وكذلك الآية التي ذكرناها في البرهان الخامس (في سورة القدر)، و الّا فانّ الآيات الدالة على وجوده الشريف كثيرة أشرنا الى بعض منها في طليعة هذا الكتاب ، فراجع .

تفسير الآية ﴿ يوم ندعو كلّ أُناس بامامهم ﴾ من كتب أهل السنة

روى الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي عن أبي هريرة قال :

---

١ - **يوسف** ١٢ : ١٠٨ .

٢ - **الفرقان** ٢٥ : ٢٧ .

٣ - **الاسراء** ١٧ : ٧١ .

تلا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هذه الآية **﴿ يوم ندعو كل أُناس بامامهم فمن أُوتي كتابه بيمينه فأُولئك يقرؤن كتابهم و لا يُظلمون فتيلاً و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضلّ سبيلاً ﴾**[1] قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه و يمدّ له في جسمه ستّون ذراعاً و يبيّض وجهه و يجعل على رأسه تاج من لؤلوء يتلألأ فينطلق الى أصحابه الذين كانوا يجتمعون اليه في الدنيا فيرونه من بعيد فيقولون اللهم إئتنا بهذا فيأتيهم فيقول لهم : ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا [المتبوع على الهدىٰ] و أما الكافر فيعطى كتابه بشماله و يسوّد وجهه و يمدّ له في جسمه ستّون ذراعاً و يلبس تاجاً من نارٍ اذا رآه أصحابه قالوا : نعوذ بالله من شرّ هذا ، اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم أخّره ، فيقول لهم : أبعدكم الله فانّ لكل رجل منكم مثل هذا (قال رواه الترمذي أيضاً)[2] .

(أقول) لا يخفىٰ على المتأمل أنّ الشخص الأول هو الذي قد عرف امامه بالحق و تبعه في دار الدنيا ، و الثاني هو الذي لم يعرفه .

تفسير هذه الآية ﴿ يوم ندعو كل اناس ﴾
من كتب الشيعة

روى الكليني رحمه الله عن أبي جعفر (الامام الباقر) عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية **﴿ يوم ندعو كل أُناس بامامهم ﴾** . قال المسلمون : يارسول الله ألست امام الناس

---

١ - المصدر .

٢ - **ينابيع المودّة** ص ٤٨٣ و صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٤٥ ط. كراجي .

كلهم أجمعين ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا رسول الله الى الناس أجمعين و لكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي ، يقومون في الناس فيكذّبون ، و يظلمهم أئمة الكفر و الضّلال و أشياعهم ، فمن والاهم و اتّبعهم و صدّقهم فهو منّي و معي و سيلقاني ، ألا و من ظلمهم و كذّبهم فليس منّي و لا معي و أنا منه بريءٌ[1] .

هذا ختام البحث في مقام البرهان السادس و هو الاستدلال بالآية الشريفة : ﴿ **يوم ندعو كل اناس بامامهم الخ** ﴾ و نبدؤ الآن البرهان السابع من سنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (من العامة) .

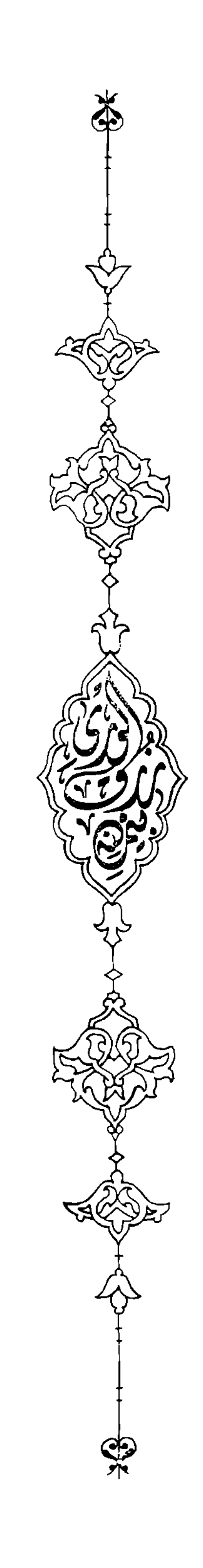
﴿ تمّ الجزء الثاني و يتلوه الجزء الثالث أوّله : البرهان السابع ﴾

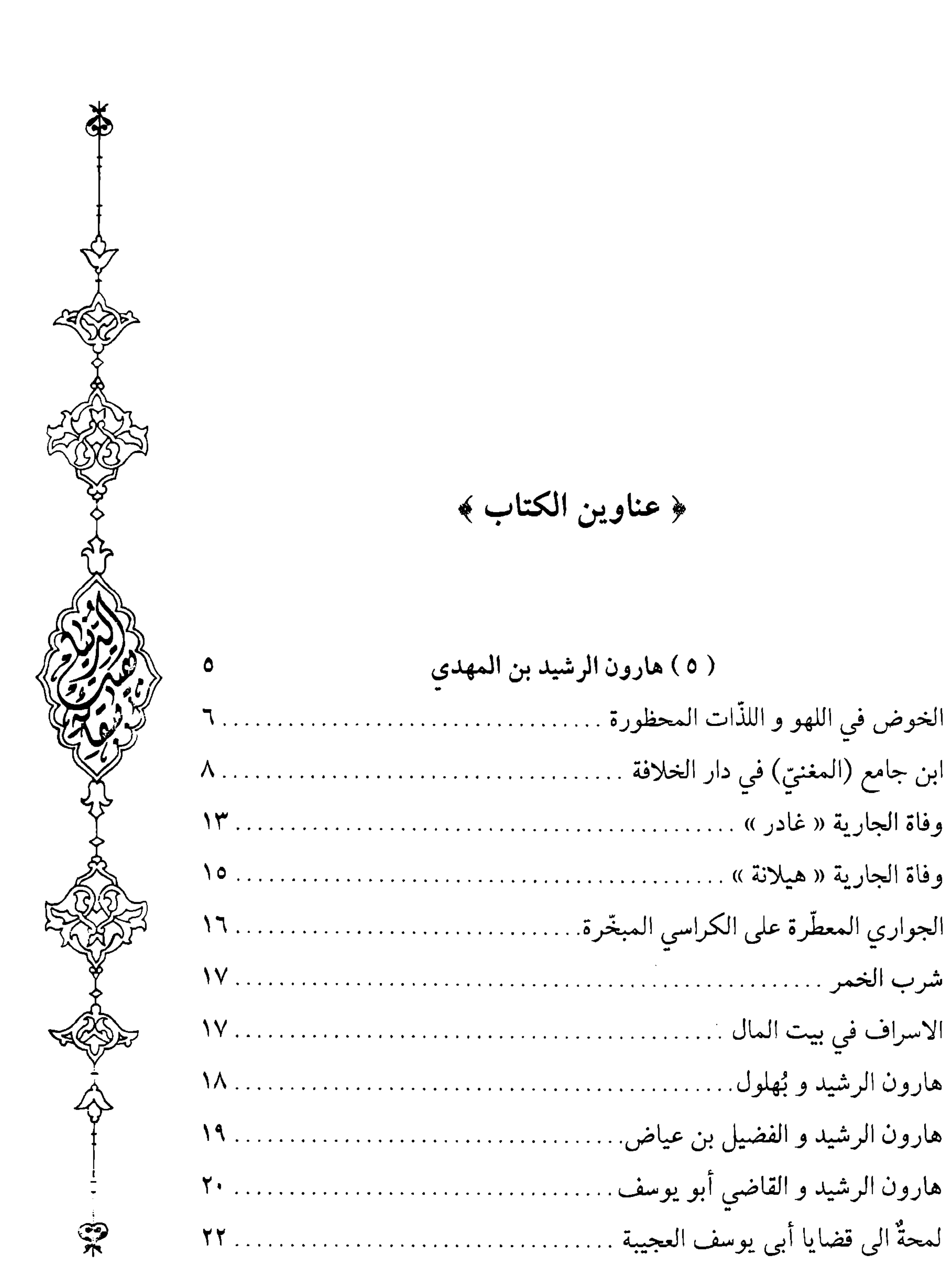
---

١ - **أصول الكافي** ج ١ ص ٢١٥ **كتاب الحجة** ، باب انّ الأئمة في كتاب الله امامان .



الفهرس





« عناوين الكتاب »




بقية الله







